الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة " أبو القاسم سعد الله"

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

قسم التاريخ

علاقة البندقية بالامبراطورية البيزنطية منذ القرن 12م الى غاية سقوطها في 1204م

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط

من اعداد الطالبة :

عداد تسعديت

تحت اشراف الاستاذة الدكتورة:

بن عميرة لطيفة

لجنة المناقشة :

أ/د بوكنة عبد العزيز .....رئيسا

أ/د بن عميرة لطيفة.....مقررا

أ/د تومي رشيد.....عضوا

أ/د صاحي بوعلام.....عضوا

السنة الجامعية:

1436هـ 2014 م-2015

يقول عماد الاصفهاني قولا جميلا عن الكتابة:

"...اني رأيت أنه لا يكتب أحد كتابا في يومه الا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهو من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر..."

اهداء

أقدم ثمرة جهدي هذه الى كل من:

تسمو روحه وتتألق بشفافية طلب وحب العلم،

يضحي من أجل سمو راية العلم فوق سحاب الجهل والأمية،

يقدر العلماء ويثمن جهودهم ، ويتيح لهم فرص النجاح بتشجيع

المبادرات الفعالة والدراسات الرامية الى بناء صرح العلم

الجزائري وبالتالي العربي ،

... والى كل من يتأجج فؤاده بحب التاريخ.. وتشغف نفسه بالبحث

في اعماقه...

كلمة تقدير وعرفان

أتقدم بخالص شكري وصادق عرفاني وامتناني، لتوفيق الله عزوجل الى ما وصلت اليه ولفضله علي وتيسيره لإتمام هذه المذكرة ؛ ومن ثم أشكر تشجيعات والداي ودعائهما الدائم لي .

كما أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان وفائق التقدير لاستاذتي ، الحسنة الذكر والطيبة القلب والنقية الفؤاد بحب العلم. الاستاذة الدكتورة بن عميرة لطيفة، التي صرفت وقتها وجهدها وضحت بصحتها في سبيل احياء العلم والتعليم وتوجيه الطلبة وأنا منهم ، فوالله والشهادة لله وحده ، أنها تخلص وتتفانى حتى في اسداء النصائح .

كما أشكر كل الأساتذة الذين ساعدوني وأرشدوني وأفادوني سواء بالمعلومات أو بالكتب أو بالتوجيهات و التشجيعات ، وأخص بالذكر :

الأستاذ هواري موسى و الأستاذ الدكتور تومي رشيد و الأستاذة كربال زكية و الاستاذة مباركي .. والى كل عمال المكتبات الذين سهروا على توفير الكتب والمصادر لي ..... شكرا للجميع.

والله ولي التوفيق والسداد.

المقدمة

المقدمة:

أهمية الموضوع:

لقد شغل موضوع العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، حيَزا كبيرا ضمن الدراسات التاريخية، نظرا لأهميته الملحوظة. وجسد موضوع العلاقات بين بيزنطة والبندقية جانبا من هذه الدراسات، حيث كانت البندقية من أقوى دول غرب أوروبا وأكثرها نفوذا، بينما اعتبرت بيزنطة سيدة الشرق. وقد ربطت بينهما مصالح عميقة، تخللتها فترات من الصراع المرير. الذيلم يمنع من قيام التحالف بينهما لمواجهة العدو المشترك. غير أن هذا التحالف الخاضع لقيمة المصلحة لم يلبث أن انفرط عقده أثناء الحملة الصليبية الرابعة.

وضمن هذه الحركة الصليبية التي ظلت البابوية تدعو اليها وتتغنى بها، لحماية المسيحيين في الشرق. وتميزت خلالها الحملة الصليبية الرابعة، لما أحدثته من تغيرات جذرية في توازن القوى الأوربية شرقا وغربا ابان القرن 13م. وكان المستفيد الأول هو: البندقية.التي شكلت طرفا فاعلا في هذه الحملة، وتمكنت جراء ذلك من لعب دور أساسي في تغيير مسارها. ومن ذلك تبدو جليا أهمية الموضوع في ميدان الدراسات التاريخية؛ حيث يميط اللثام عن احدى الحلقات المثيرة في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في شقيها السياسي والتجاري.

الاشكالية:

على أن موضوع العلاقات بين الشرق اليوناني والغرب اللاتيني، الطافحة بالصراعات، قبلوأثناء الحملات الصليبية ، وخاصة الرابعة منها؛ يعد موضوعا مدروسا بشكل واسع.

وقد جرت العادة في مثل هذه الأبحاث،الاهتمام بالجانبين السياسي والعسكري، فيما تتعرض فصوله الأخرى للاهمال الواضح وخاصة تلك المتعلقة بالحياة الاقتصادية وعلى رأسها التجارة.

وبما أن السياسة مرتبطة بالتجارةبمختلف الأشكال، وبما أن البندقية اشتهرت بنشاطاتها التجارية القوية مع الطرف البيزنطي ، لذلك ارتأيت دراسة موضوع أسميته **"علاقة**

البندقية بالامبراطورية البيزنطية منذ القرن 11محتى عام1204م"وترتبط سنة 1204م بأعظم حدث طبع العلاقة بين الاغريق واللاتين، ألا وهو احتلال الصليبين مدينة القسطنطينية ممثلة العالم الأرثوذكسي من بلاد الشرق.

وفي اطار توجهاتها التجارية البارزةتمكنت البندقية من النفوذ الى الساحة البيزنطية الواعدة بعد عقد تحالفات سياسية وعسكرية مع القسطنطينية. وعلى اثرها، تحصلت البندقية على امتيازات هامة سمحت لها بممارسة النشاط التجاري في أرجاء الامبراطورية الشاسعة؛ فأكسبتهاثراء باهرا ومجدا ساطعا وقوة سياسية فالعلاقة اذا، بين التجارة والسياسة، هي علاقة تكاملية بالنسبة لهذا الموضوع.

هذا وامل أن أكون قد وفقت في انجاز هذا الموضوع بما يتماشى وقواعد البحث العلمي السليمة ، كما أتمنى أن يشكل هذا العمل العلمي المتواضع لبنة جديدة تضاف الى صرح المكتبة الوطنية والعربية.

الخطة:

ولقد دعت طبيعة الموضوع الى ضرورة تقسيم هيكل هذا البحث الى أربعة فصول.ويحمل الفصل الأول عنوان" تأسيس جمهورية البندقية "، انه بمثابة تمهيدللاشكالية المطروحة، تطرقت فيه الى موقع البندقية الجغرافي، وذكرت اقليمها وخليجها، ثم أصول سكان البندقية. وتحدثت عن تأسيس هذه المدينة بعد سلسلة منالغزوات الجرمانيةوالفرنجية، وختمت هذا الفصل بالإشارة الى العوامل المساهمة في تطور المدينة عمرانيا وحضاريا.

وتمحور الفصل الثاني الذي أعطيته عنوان " التحالف البيزنطي البندقي ونتائجه" ، حول التحالف البندقي البيزنطي والعوامل التي أدت الي ذلك، خاصة بعد ظهور خطر النورمان ومساعي القائد النورمانديروبرت وأهدافه التوسعية على بيزنطة من جهة،ومصالح البندقية في الأدرياتيك من جهة أخرى. وتناولت بالحديث الصراع المرير الذي استحكم بين المتحالفين والنورمان. هذا التحالف الذي توجبما نالته البندقية من امتيازات ملحوظة. وفي نهاية الفصل تعرضت الى توتر العلاقات بين البندقية وبيزنطة.

ودرست في الفصل الثالث الذي أسميته " الحملة الصليبية الرابعة" الحملة الصليبية الرابعة؛ ووضحت جذور فكرة احتلال القسطنطينية، ومحاولات الاوروبيين العديدة لتحقيق ذلك. ثم ذكرت مراحل الحملة بداية من انحرافها نحو "زارا" وبتغير مسارها في اتجاه القسطنطينية وسقوطها في الأخير.

وتناولت في الفصل الرابع الذي أخذ عنوان" دور الحملة الصليبية الرابعة في تطوير تجارة البندقية" تداعيات الحملة الصليبية الرابعة على البيزنطيين و الأوروبين على حد سواء وكذا توسع نفوذ البندقية من خلال نيلها ممتلكات واسعة في القسطنطينية ذاتها وعبر أراضيها في البحرين الأدرياتيك و الأيوني . وختمت البحث بتسليط الضوء على دور التجارة في تطور هذه المدينة، وأهمية هذا النشاط الاقتصادي في القرون الوسطى.

المنهج المتبع:

واعتمدت لانجاز هذا البحث، على منهج علمي قائم على مقارنة النصوص وتحليلها ونقدها. اذ قارنت بين معلومات المصادر والمراجع وحاولت تحليل ما يحتاج الى التحليل أو النقد. ثم أنهيت البحث باستخلاص النتائج .

أهممصادر ومراجع هذا البحث:

على الرغم من شح المصادر الخاصة بهذا الموضوع في مكتباتنا الوطنية، فقد تمكنت من العثور على البعض منها، أهمها:

المصادر المعاصرة:

كتابفيلهاردوين "VILLEHARDOUIN" الذي يحمل عنون: " فتح القسطنطينية" " LA CONQUÊTE DE CONSTANTINOPLE, PARIS, 1969".

وترجع أهمية هذا المصدر الى كون صاحبه شارك في الحملة الصليبية الرابعة وكان أحد قادتها البارزين، واستفدت منه كثيرا في هذه الدراسة ، حيث أمدني بتفاصيل غزيرة عن هذه الحملة وعن مختلف مراحلها. ويأتي بعده المؤلف " روبرت دىكلارى" Robert deClari

الذي ألف كتابا أسماه " فتح القسطنطينية" Conquête de Constantinopleحيث كانت معلوماتهما متقاربة جدا، وتفاصيل الأحداث متقاربة الى حد بعيد، وذلك باعتبارهما شاهدي عيان في الحملة.غير أنهما اختلفا في مسألة واحدة، وهي أسباب انحراف الحملة، فالأول عزاها الى الصدفة ، في حين كشف الثاني عندور البندقية في توجيه مسار الحملة نحو القسطنطينية.

المصادر المترجمة:

وقد اعتمدتعلى مصدر اغريقي مترجم الي اللغة الفرنسية هو: Alexiad , Règne de l'Empereur Alexis Comnène (1081-1118), Paris, 1937.،والذي ألفته المؤرخة "Anne Comnène" وترجمه المؤرخ: برنارد لايب "Bernard Leib". يقع هذا المصدر على عدة أجزاء، غير أن اعتمادي كان على الجزأين الأول والثاني فقط. استفدت منهما في دراسة علاقة البندقية ببيزنطة في عهد ألكسيسكومنين، وفي معرفة الشق الخاص بتحالفهما ضد النورمان.وكذاالامتيازات التي ظفرت بها البندقية من الامبراطورية. فقد كانت هذه المؤرخة دقيقة في سرد الأحداث التاريخية.

أهم المراجع:

المراجع العربية:

وأهمها مؤلفا المؤرخ عادل زيتون وهما

-العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصورالوسطى،دمشق، 1980.

-العلاقات الاقتصادية بين ا لشرق والغرب في العصورالوسطي؛ بحث في النشاط التجاري للجمهوريات الايطالية في ا لحوض الشرقي للبحرالمتوسط في القرنين 13م و14م،دمشق،1980.

وكانامرجعين يحملان أهمية جليلة في سياق هذا الموضوع، سواء ما تعلق بالحملة الصليبية الرابعة أو بالصراع مع النورمان ،أو ما يخص ا متيازات البندقية أو تجارتهاخلال تلك الفترة بشكل عام.

المراجعالأجنبية:

بالنسبة للمراجع اعتمدت على كتابي المؤرخ Charles Diehl و هما :

- Une République Patricienne de Venise.

، والجزء الخامس من كتابه :

:- Histoire du Moyen Age , Europe Orientale, Paris, 1945.

وأفادني الكتاب الأول في التعريف بمدينة البندقية وأصل سكانها أي البنادقة وعوامل تطورها، ودور التجارة في ذلك. في حين تضمن الكتاب الثاني معلومات قيمة عن أوروبا الشرقية و الامبراطورية البيزنطية ؛وكذا عن الحملة الصليبية الرابعة.

وعند دراستي أسباب تغيير مسار الحملة الصليبية نحو القسطنطينية، اعتمدت على مرجعين أساسيان وهما:

Recherche sur la deviation de la IVcroisade vers Constantinople, Paris, 1955. .A-Frolow للمؤلف :

و كتاب: Quatrieme croisade, la diversion sur Zara et Constantinople, Paris, 1884. .Jules Tessier للمؤلف:

قدم هذان المؤرخان تحليلات مفيددة عن تغير مسار الحملة. كما اعتمدت علىكتاب:

Histoire de l’Empire Byzantin, Picard, 1932.

للمؤلف : A_A Vasiliev.والذيترجمهمنالروسيةاليالفرنسيةالمؤلفان:

P-Brodin ; A-Bourguna

وقد أفادني هذا المرجع في دراسة أوضاع بيزنطة الداخلية كما تضمن تحليلا وافيا عن أحداث الحملة ونتائجها ،وكشفأيضا عن سر مكاسب البندقية في أراضي الامبراطورية من تطورها وازدهارها. كما استخدمت كتابا هاما وقيما بالنسبة لهذا البحث، يحمل عنوان:

Essai sur le règne d'Alexis Comnène (1018-1118), Paris, 1960.

للمؤلف: فرديناندشالندن ، Ferdinand Chalandon

ولهذا المؤلف أيضا كتابا اخر لا يقل أهمية عن الأول، يحمل عنوان:

Les Comnène : Jean II Comnene (1118-1143) ; Manuel Comnène (1143-1180), Paris,1912.

واستقيت منهما معلومات غزيرة ومفصلة حول صراعات بيزنطة مع النورمان ؛ وكذا الامتيازات التي تحصلت عليها البندقية في خضم ذلك.

وساعدني كثيرا كتاب المؤرخ هايد الذي يحمل عنوان:

Histoire du Commerce du Levant, Leipzig, 1885.

وورد في جزئين، مكنني من فهم طبيعة العلاقات والمصالح التي تربط بين البندقية وبيزنطة، وكذا معرفة تطور تجارة البندقية و نفوذها السياسي في هذه الحقبة من التاريخ الوسيط.

الصعوبات التي واجهتني:

وقد واجهتني أثناءاعداد هذه الدراسة عدة عراقيل ؛ صعبت علي مهمة البحث عن المعلومات أو دراستها دراسة معمقة. فبعد المنطقة جعل من المصادر الاغريقية و اللاتينية بعيدة المنال؛ زد الى ذلك عدم معرفتي باللغات الاغريقية و اللاتينية والانجليزية جعلني أخشى الخوض في غمارها للبحث عن المعلومات. لكن سأسعى جاهدة للتعلم، لأن العلم يستدعي البحث والتقصي عن المعلومة التاريخية في كل مكان و بأي لغة كانت.

والى جانب ذلك، كان لعامل الوقت الكثير من الأهمية للتوصل الى مصادر المعلومات التاريخية ودراستها بعمق والعمل على المقارنة والتحليل والنقد. ونظرا لضيق الوقت ، بات من الصعب على ان أقوم بتجهيز دراسة علمية تاريخية دقيقة، ومفصلة.

ولا يسعني في الأخير الا أن أتقدم بالشكر والامتنان الخالصين الىالأستاذةالدكتورة " بن عميرة لطيفة" ؛ التي ان شكرتها لا أوفي وان وصفت طيبة قلبها لا أكفي... فليس لي الا أن أدعو لها لأن الدعاء لله و الله ذو فضل كريم. كما أقدم شكري الى كل الأساتذة الذين ساعدوني بالكلمة الطيبة والتشجيع بالمراجع. وأرجو في الأخير أن أكون قد وفقت في هذا والله المستعان.

الفصل الأول

تأسيس جمهورية البندقية

I– موقع مدينة البندقية وأصل سكانها

1 - الموقع الفلكي و الجغرافي

2- اقليم فينيتو (vénèto)

3- خليج البندقية(vénitie)

4- اصلسكان البندقية

5- وصفمدينة البندقية

II- الغزوات الخارجية وتأثيراتها على منطقة فينيسيا

1 -غزوات الجرمان

2 -غزوات الفرنجة

أ| -أسباب الغزوات على منطقة فينيسيا

ب| -غزو بيبين لفينيسيا

ت| المساعدات البيزنطية للبندقية

ث| المواجهات بين الطرفين

ج| الاستقرار في ريالتو وتأسيس البندقية

3. لقديس مرقس، سيد البندقية:

أ- تعريف القديس مرقس

ب- جهوده التبشيرية

ت- علاقة القديس مرقس بالبندقية

ث- القديس مرقس السيد الأول في البندقية

III- عوامل تطور مدينة البندقية

1. العوامل الطبيعية المساعدة على التطور
2. الأحداث التاريخية
3. العوامل السياسية المساهمة في تطور البندقية

أ- نظام الحكم البندقي

ب- سلطة ونفوذ الدوق

ت- المزواج السياسي

ث- العلاقات الخارجية

4. ادارة الدولة

أ- التجارة

ب- المجتمع

ت| الميدان العسكري

5. العامل البشري

أ| صفات البنادقة

ب| علاقة البنادقة بالبحر

ت| التعليم والدين عند البنادقة

6 - قوة الأسطول

أ| -دار بناء السفن

ب| الطرق التجارية

ت| الرحلات التجارية

ث| التبادل التجاري

ج| الأسطول الحربي

I – موقع المدينة :

1) الموقع الفلكي والجغرافي:

البندقية (Venezia أو Venise))، مدينة ومرفأ إيطالي، وعاصمة إقليم فينيتو (Veneto)، تقع فيشمالشرقإيطاليا وتطل على بحر الأدرياتيك " Adriatique " وتشرف على الخليج الذي يحمل إسمها البندقية [1].

تقع هذه المدينة، عند تقاطع دائرة عرض 45 ^{0} و 26 $^-$ و 2 $^=$ شمالا وخط طول 12 ^{0} و 20 $^-$[2]، وتبعد عن مدينة ميلانو بحوالي 250 كلم شرقا [3].

وتتمتع البندقية، بموقع جغرافي مُتميز، وفريد في أوربالكونها تتمركز في عمق الخليج الأيوني، وبقلب بحر الأدرياتيك، كما أنها تتصل بعدد من الجزر والبحيرات الساحلية بشمال نهر البو (PÔ) [4].

بنيت المدينة على ركائز وأعمدة أساسية وعلى 118 جزيرة وسط البحيرات Lagune وهي عبارة عن أحواض ومستنقعات صغيرة ساحلية ضحلة المياه [5].

وتتصل هذه الجزر * فيما بينها بعدّة جسور وقنوات صالحة للملاحة، أهمّها القناة الكبرى التي يفصلها عن البحر لسان رملي[6] يسمى شاطئ. ويبلغ طوله 120 كلم وعرضه

---

[1] -وحيد وليد. الجلاد: **الموسوعة العربية، " البندقية " العلوم الإنسانية، التاريخ والجغرافيا والآثار** ، مج 5، 2012، ص: 386, محمد فريد وجدي، دائرة المعارف الإسلامية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، مج 2، ط .3، ص: 359.

[2] -أو على خط طول 10 ^{0} و Ó و 9 شرقًا.أنظر: محمد وليد الجلاد، المرجع السابق، ص: 386، أو تقع المدينة بين دائرتي عرض 45 ^{0} و 10 و 45 ^{0} و 3 وبين خطي طول 29 . 27 و 30 ^{0} 20 شرقًا . ولتفاصيل أكثر ارجع أيضا الى:

M. Léon, Galibert, **Histoire de la République de Venise,**Funne et Cie, Paris, France, 1854, P . 7.

[3] - La grande Encyclopédie, **Société des Savants et de gens des Lettres**, Paris, France, Ed .1986 a 1902, t-1, P. 181.

[4] -حسين جودة، " جغرافية أوروبا الإقليمية "، منشأة المعارف، مصر 1996، ص: 54 ; Jean, Kinnamos, Chronique, p. 280

- نهر البو (PÔ): من أطول أنهار إيطاليا الشمالية، ينبع من جبال الألب في أسفل مرتفعات (Viso)، ويعبر هذا النهر منطقة لومبارديا ثم يصب في بحر الأدرياتك، ويبلغ طوله حوالي 560 كلم، ويبلغ طول هضبة البو حوالي 40.000 كلم^2، وهي منطقة غنية وخصبة، تقع بين الألب والبينينيووالأدرياتيك.أنظر: الموسوعة العربية الميسرة، ص. 420.

[5] -La grande Encyclopédie, Op.cit, P. 810 ;EncyclopédieUniverselle, sous la direction de Paul Guerén, Paris, France, T. 6, 1986, P . 1030 ; الموسوعة العربية، المرجع السابق، ص. 380;

*- ويذكر الزهري عن البندقية أنها تقع على ساحل البحر، وتوجد بها جزائر عديدة منها أربعة ؛ انظر : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري: كتاب الجغرافية، حققه: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ص.132.

[6] - La grande Encyclopédie, Op.cit., P. 103.

4.5 كلم[1]، ويشبهه البعض بجبال الرملية، فكأنّه سلسلة طويلة من الرمال تفصل اليابسة عن البحر، وجاء في الدراسات الفلكية تحت اسم" LIDO " [2].

وقد اختلف المؤرخون في ضبط مساحة البندقية، فقدّرالبعض طولها بحوالي 9 كلم وعرضها 4 كلم، وحصرها آخرون بين 48 كلم في الطول وبين 16 كلم في العرض [3].

2) إقليم فينيتو (Veneto)

ويمتد إقليم فينيتو (Venito) من نهر أديج (Adige) إلى نهر تاقليامنتو (Tagliamento)، يحدّهُ من الشمال مقاطعة أودين (Audine) وترفيز (Trévise) ، ومن الغرب مقاطعة باردوا (Pardoue)، ومن الجنوب مقاطعة روفيقو (Rovigo)[4].

وتقدر مساحة هنا الإقليم بحوالي 2.432 كلم^2 أو بـ 2.199 كلم^2[5]. كما يتمتع فينيتو بسمات جدّ مميزة، إذ أنّه يشرف من جهة على سهل خصب تمر به أنهار عديدة تنبع من جبال الألب في الشمال، ومنطقة ساحلية تتخللها بحيرات أوهي مستنقعات [6].

3) خليج البندقية:

يقع خليج البندقية في الجزء الشمالي الغربي من البحر الأدرياتيكي بين منطقتي فينسيا وإستريا Venitie et Estrie، ويمتد من مصب نهر تقليامنتو Tagliamento إلى دلتا نهر البو PÔ، يتراوح طوله بين 90 و 120 كلم وعمقه بين 10 و 20 كلم.

وتصب في هذا الخليج، عدّة أنهار تنبع من جبال الألب، أشهرها:

أديج، ليفانزا، بيافي، بوكوقليان،البو، برانتا.

Adige , La Livanza, La Piave, Le Bocchugliane,
Le PÔ, Le Brenta[7].

---

[1]-أو يقدر طوله بـ 7 كلم، لتفاصيل أكثر ارجع الى: Morion, Kaminski : Venise, h.f, Ullman , Potsdam, Allemagne, .488 2010,

[2]-Kaminski, Op.cit., P. 488; Galibert, Op.cit., P. 7 ;Encyclopédie, Universelle, Op.cit., P. 1030.

[3] - Kat- Curry- Lindhal, **Les continants en couleurs,** Europe , Hachette, Paris, France, 1968, P. 790 ; دائرة المعارف، ص. 359.

[4]- نفسه ; La grande Encyclopédie, Op.cit., P. 815

[5] - تراوح عدد سكان الإقليم سنة 1901 بين 990. 361 ن و 030-400 ن ;ولمزيد من التفاصيل ارجع الى: Encyclopédie, Universelle, Op.cit., P .1030.

[6] -La grande Encyclopédie : Op.Cit., P . 815.

[7] -منير بعلبكي،**" موسوعة المورد "**، دار العلم للملايين، ط 1، 1983، مج 1، ص: 84 ; La grande Encyclopédie, Op.cit., P. 815

4) أصلسكان البندقية " Vénétes, Vénétiens":

لاشك أن مصطلح البنادقة venitiensمشتق من كلمةفينيتVenètes، السكان القدامى للبندقية، غير أن أصلهم، شغل واتعب العديد من الدارسين لصعوبة البحث فيه وتعقيد مشاربه وذلك نظرًا لإختلاف المعطيات التاريخية، التي أدت بالضرورة إلى بروز قراءات مختلفة، وبالتالي تباين الاراء حول هذه المسألة.

ولذلك برزت عدة فرضيات في هذا الشأن، حيث أشار الباحث سبيليكوس " Sabellicus " الى أن الفينيت Vénètes بهذا الاسم هم فرع من سكان " غال Gaule ". ويقارن هذا المؤرخ بين العنصرين، ويؤكد أن الشبه لا يقتصر على الإسم فقط، إنما يشمل العادات والتقاليد وحب البحر، وممارسة الملاحة والتجارة.

ونقلا عن المؤرخ الاغريقي بوليبيوس " Polybios " الذي توفي عام 120ق.م- يقر الباحث بيار دارو Pierre Daru صحة هذه النظرية إلا أنّ بوليبيوس يرى أن اللّغة تفصل بينهما[1]. ويُعدهم آخرون من الفرع الهندوأوروبي الذي انتشرفي أغلب منطقتي إيطاليا الشمالية وأرموريا[♦] وبهذا الاختلاف والتعدد في طرح النظريات أضحى من الصعب إثبات حقيقة أصلهم [2].

ويقسم الفينيت عموما إلى فرعين: **فنيت الأدرياتيك** " Vénètes de L' Adriatique" وهم الذين سكنوا منطقة فينسيا الحالية، وكانوا تُجّارًا مسالمين، وملاحين في حوض المتوسط، كما تحالفوا مع الرومان ضد الغاليين وأثناء الحرب البونية الثانية أي في نهايةالقرن (2) ق.م خضعوا للحماية الرومانية [3].

فينيتالأرموريك " de L'ArmoriqueVénétesLes" ينسبون إلى مدينة عتيقة، تقع على الجهة الغربية من أرموريا[4]. أو هم فرع من مجموعة سكانية من غالا الأرموركية، من ضواحي الفان " Vannes " و بريست " Brest في إقليم يسمى

---

[1]- Pierre Daru :Op.cit., PP. 14-15

♦ - أرموريا: باللغة اللاتينية " Armorica "، مقاطعة توجد قديما ببلاد غالة وتمتد من نهر " السان " إلى غاية " جيروند "، وقد تعرف حاليًا باسم بريتاني، ، ولتفاصيل أكثر انظر الى : Grand Larousse Universelle, T1,Paris, France, 1997, P. 683.

[2]- Michel- Mourre : Op.cit., P. 5694 ; EncyclopédiaUniversalis : Op.cit., T. 23, P. 409 ; Dictionnaire Encyclopédique, La rousse, P .1068.

[3]- Galibert : Op.cit., P . 11 ; Gd. Larousse : Op.cit., T. 15, P. 1068 ; Mourre :Op.cit., PP . 56-95.

[4]- Darru :Op.cit., P . 15.

" Vénédetie "، وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه المنطقة تسمى حاليا مقاطعة موربيهان " Morbihan "بريتاني "Bretagne" [1].

وهؤلاء الفنيت يمارسون التجارة، ويملكون سفنا ضخمة، لكنهم تعرّضوا لهجوم مفاجئ سنة 51 ق. م من طرفقيصر الروم الذي أخطأهم ، فكانت النتيجة، أن قتل عدد كبير منهم وإسترّق من بقي على قيد الحياة [2].

في حين يؤكد بعض المؤرخين، أن الفنيت " Vénétes " وفدوا من منطقة بافلاجونيا" Paphlagonie"، الواقعة بشمال آسيا الصغرى، وكان " Strabon" و" Titelive" و " Caton" من أصحاب هذه النظرية، التي مفادها ، أن ما تبقى من سكان تلك المنطقة هاجروا إلى سواحل الأدرياتيك في إيطاليا، بعد انهزامهم في حرب طروادة ومقتل قائدهم. ويواصل المؤرخ " EoruliusWepos "، في هذا الإتجاه ويؤكد أن كلمةالفينيت " Vénétes " مشتقة من كلمة الهينيت" Hénétes " وهم شعب يسكن بلدة تروي " Troyes " في عمق خليج الأدرياتيك.

ومن خلال تلك الهجرة التي يفيد المؤرخون ، أنه سبقتها هجرات أخرى في أوقات مبكرة [3]واختار هذا القوم الهينيت " Hénétes " ملجأ يقع بين البحر والجبال الألب وقاموا بتأسيس مدينة بادوا " Padoue "[4].

ويلخص الباحث بيار داروا " Pierre Darru " الإختلاف في أصل الفنيت والهينيت وكيفية هجرتهم إلى إيطاليا، فيقول: لقد هاجرالهينيت " Hénétes " بإتجاه إيطاليا، ويُثبت الإمبراطورجوستينيان " Justenien527-565م " صحة ذلك، بأن سكان

[1] Galibert : Op.cit., P .11 ; Mourre :Op.cit., PP .56-95.-
[2] Ibid; Larousse : Op.cit., T. 15, P. 10681. -
[3] Strabon :Géographie, T.4, Seconde partie , imprimerie Royale, Paris, France, 1816, PP.27-28.-
[4] Ibid.-

بفلاجونيا " Paphlagoniens" هاجروا عدّة مرات إلى إيطاليا وإستقروا في بلاد فينسيا " Vénéties " [1].

ويتضح مما سبق، أنّ الآراء تباينت، وتبقى مسألة تحديد العرق، أمر في غاية الصعوبة، لكون هذه القضية تتعلق بمسألة الأصول البشرية، والبحث عن الأصل يفتقر الى عاملي الدقة والوضوح بسبب عدم استقرار الشعوب وتشابه أسمائها، مما استدعى اللجوء الى الاعتماد على فرضيات قد تكون غير دقيقة لتحديد أصول هؤلاء السكان.

وصف البندقية:

ونظرًا لجمال ورونق مدينة البندقية، فانها كانت محل إعجاب الزوار والشعراء والمؤرخين الذين أطنبوا في وصفها لانبهارهم بروعة مناظرها وبتركيبتها العمرانية العجيبة، فهذا الجغرافي سترابون " Strabon" يكتب عن منطقة فنيسيا " Vénétie "، فيقول بأنّها جدّ خصبة لكثرة الأنهار بها، زيادة على حركة المدّ التي تتعرض لها، فالمياه تتقدم إلى اليابسة، وتكوّن مستنقعات مالحة لذلك يشبهها بالمحيطات [2].

وتعجب من قدرة هؤلاء الفنيت " Vènétes " على إدارة اتجاهات المياه والتحكم فيها وتعديل مستواها بالاعتماد على القنوات، ويشير أيضا، بأن بعضها جزرٌ، وبعضها الآخر يحدّها الأدرياتيك، كما أنها تتصل مع البحر عن طريق الأنهار.

في حين يبدع باحثون اخرون في التعبير عن الموقع الذي حظيت به البندقية، فيقول إن الفنيت، يسكنون البحر وتشكل بلادهم نصف دائرة تقع على طول الساحل، وعدد مدنها خمسون ، يسكنها بشر كثير [3].

ويتحدث المؤرخ البيزنطي بروكوب (ت في 562م)" Procope " عن تنقل الفنيت بين الأحياء والأنهار، فتعجب من طريقة نقلهم للسلع بين المستنقعات في السفن التي كانوا

[1] Strabon : Op.cit.,PP.15-16.-
[2] Léon, Galibert : Op.cit., P.5.-
[3] Ibid, P.6.-

يصنعونها، معتمدين في ذلك على حركة المد وينتظرون الجزر، الذي يحملهم خارج الممرات البحرية الضيّقة.

ويرى المؤرخ جاليبيرGalibert، أنّ أحسن وصف لمنطقة فينيسيا" Vénètie " هو ما أوردوه " Cassiodore" في رسالة إلى جزر البندقية، أشاد فيها بموقعها الجغرافي المتميّز، حتى إذا هبت الرياح القويّة واستعصى على أهلها الإبحار في الأدرياتيك، تفتح لهم الأنهار ممراتها الآمنة [1].

الغزوات الخارجية وتأثيراتها على منطقة فينيسيا

ا) غزوات الجرمان:

تعرضتأوروبا منذ القرن الخامس الميلادي لغزوات هائلة من قبل المتبربرين، حيث اجتاح القوط الغربيون شمال إيطاليا، وجاء بعهدهم الهون، ثم القوط الشرقيون والفرنجة ومن بعدهم اللامبارديون[2].

وبدأت المواجهات بين " ألاريك " قائد القوط الغربيين و " آتيلا " زعيم الهون عندما احتل هذا الأخير شمال إيطاليا. وإقليم البندقية [3].

ولم تكن سنة 476 م تاريخ سقوط الإمبراطورية الرومانية على يد الهون نهاية غزوات الجرمان، فقد جاءت موجّة أخرى قضى فيها القوط الشرقيون بقيادة" ثيودوريك " على قائد الهون "أودواكر " فخضعت بذلك للقوط الشرقيين.

لكن، بعد وفاة الأمبراطورجوستيان " Justinien " (427-565م)، فتح المجال أمام اللامبارديين فاستولوا على منطقة فينيسيا من جهة اليابسة واحتلوا مدينتي " Padoue, Aquilée " في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي [4].

---

[1] - Léon, Galibert : Op.cit., P. 6.

[2] - Charles, Diehl : **une république patricienne,** Venise, Ernest Flammarion, Paris, France, 1928, P4.

[3] -أوفينيسيا، أنظر:
Rivière, sestier(M) :**Venise et Les Iles de la lagune**, Horizons de France, Paris, France, 1928, P. 9.

[4] Thiriet - Freddy: Histoire de Venise , P.U.F., France, 1969, P. 10 ; Sestier :Op.cit., P. 9.

وانتشر الخوف نتيجة الهجمات المتكررة على السكان، فسارعوا إلى تغيير منطقة سكناهم وعلى هذا الأساس، اعتبر المؤرخون هذا الحدث، بداية لدخول المنطقة في التاريخ[1].

هجرة الفينيت:

لقد تركت هجمات المتبربرين، الخوف والرعب في نفوس سكان فينيسيا، ما أدى بهم إلى الهجرة، بحثا عن مكان يتوفر فيه الأمن والإستقرار كأول شرط للحياة.

لذلك، انتقلت الشعوب المستعمرة من منطقة سكناهم الأولى إلى البحيرات بين القرنين الخامس والسادس الميلاديين واتخذوها ملاذا فابتعدوا بذلك عن الجرمان وشرهم[2].

واختلف المؤرخون حول تفاصيل هذه الهجرة، حيث ذكر المؤرخ هنري بيرين " PirenneHenri"، أن المهاجرين حطوا رحالهم في جزرسبينالونجا " Spinalunga "،أوليفولو " Olivilo " ،دورسودورو "Dorsurduro " [3].

وأكدّ المؤرخ ديهل " Diehl "، أن الهجرات لم تكن على دفعة واحدة، بل كانت على عدّة دفعات تّبعا لهجوم العدو، إذ رحل سكان أكيلي " Aquilée" إلىجرادو " Grado "، التيتقع على نهر
ايبونزو" Ibonzo "، بينما استقبلت جزيرة ليفانزو " Lirenzo " وايورل " Eaorle " مهاجرينكونكورديا" Concordia " وأوى سكان أبيترجيوم " Opitergiun " في هيركليانا " Heracliana" واكيليانا " Equiliana" وهَاجرمواطنو مونسيليس " Monselice" و بادوا " Padoue " إلى الجنوب.

وتحدث الباحث Freddyباختصار عن تلك الهجرات، فذكر أن أهل " Padoue " هجروا إلىمالاموكو " Malamocco "، واستقر سكان تريفيز" Trévise " فيتورشيلو " Torcello " بينما هرب مواطنوا فريول دي كاورل Frioul de Caorlإلى جرادو" Grado"

---

[1] - Freddy: Op.cit., P. 10 ;Diehl: Op.cit., P . 4.Thiert

[2] - Avise Zorzi, **une Cité, une République, Un Empire, Venise,** Fernand, Nathan, P.2;Diehl : Op.cit, P. 5.

[3] - Les villes du moyen âge, Maurice Lamantin, Bruxelles, 1927, P. 27.

وكان الباحث سيستيي " Sestier" أكثر اختصارا، حيث قسّم الهجرة إلى فترتين، قسم من السكان هاجر زمن غزوات الهون والقوط وتمركزوا في تورشيلو" Torcello " وقت هجوم اللامبارد وسكنوا في ملاموكو " Malamocco".

ب-غزوات الفرنج:

أسباب الغزوات:

اختلفت الروايات التاريخية، حول حروب بيبين القصير " Pépin Le Bréf " ومنطقة فينيسيا، فاعتبرها المؤرخون، إحدى المخططات الكارولنجية، لبسط نفوذ الفرنجة على المنطقة، وإنهاء الحماية البيزنطية عليها، لأجل ذلك تم إدخالها في ظل حكم الكارولنجيين.

ومن بين مؤيدي هذا الرأي المؤرخ زورزي " Zorzi " الذي ذكر أن هجوم بيبين القصيرعلى المنطقة كان مخططا سياسيا سعى الى تنفيذه، نظرًا لأهميته ، حيث فرض على حكام إيطاليا إقامة علاقات مع القسطنطينية، لتحقيق التقدم الذي ترمي إليه سياسته ويستلزم ذلك، إيجاد صلة مع مدينة البندقية، أو منطقة فينسيا وجعلها الطرف الوسيط بين الشرق والغرب، بحكم موقعها الجغرافي، ومن أجل ضمان ما أطلق عليه، مثلث التقدم الإقتصادي الذي تمثل فيه البندقية القاعدة. وقد اشتركت أضلاعه بين الشرق البيزنطي والشرق الإسلامي والغرب الأوروبي.وعلى هذا الأساس، أضحى أمر إدخال منطقة فينسيا في ظلّ الحكم الكارولنجي ضروريًا، لضمان أقصى ما يمكن من الفوائد بينما ذكر مؤرخون آخرون أن تدخل بيبين القصير " Pépin " في منطقة فينسيا، وقع إثر استنجاد رئيس بطريركيةجرادو " Grado " من البلاط الفرنجي، لمساعدته على السيطرة على المنطقة وذلك بعد سلسلة من الحوادث الشخصية والصراعات السياسية، وهذا ما أفضى بالتالي إلى تشجيع بيبين " Pépin " على غزو المنطقة [1].

[1] Zorzi : Op.Cit., p.130; Galibert : Op.cit., P .29.

الأوضاع في فينسيا قبل الغزو الفرنجي:

وقد عرفت منطقة فينسيا في أواخر القرن السادس وخلال القرن السابع، إضطرابات مسّت أمنها السياسي، وعكرّت صفو الأمن الاجتماعي حيث ظهرت المؤامرات السياسية واغتيال الأدواق و سَمْلٍ أعينهم، وتغيير الحكام بصفة مستمرة.كما حدث سنة 764 م وبعد أن سمّلت عيني الدوق دومينيكو مونجريو " Dominique Mongrio " خلفه أحد مواطني هرقلية" Heracléa "، الدوق " Maurice Galbaio "وهو سليل أسرة ثريةسرعان ما أشرك ابنه " Jean " في الحكم سنة 787 م ليرثه بعد وفاته [1].

و بدأت علاقة البندقية مع حكام إيطاليا، بإبرام اتفاقية بين بيبين القصير " Pépin " وإمبراطور بيزنطة، تمّ الإعلان فيها عن استقلالية المنطقة، و قام الدوق " GalbaioJean " بتجديدها من أجل ضمان أمنواستقرار المنطقة [2].

وتوترت العلاقات بين حكام المدينة وبطارقة " Aquilée " و " Grado " وسعى الدوق " Maurice Galbaio " إلى مصالحة البطرقيين بساحة روما، وكانت نتيجة ذلك أن استفادت البندقية من أسقفية جديدة أوليفولو " Olivolo "، عّين عليها أسقفًا. لكن سرعان
ما وافته المنية و ينبغي الإشارة، إلى أنّ شغور هذا المنصب سيزيد الطين بلّة، وسيعقد من سير الأمور، إذ عمد " Jean Galbaio " إلى تعيين راهب أو أسقف بيزنطي بغية مجاملة الإمبراطور البيزنطي، وكذا للحدّ من نفوذ بطريق "Grado " وهو بريلا"Prélat" [3].

وفي هذه المرحلة، بدأت الصراعات السياسية التي مسّت بعض الشخصيات خاصة بعد استياءالإكليروس البندقي، حيث اختار " Jean " أسقفا من البيزنطيين وليس من رهبان الكنيسة، فشعرهذا الأخير بالإهانة ورفض مباركة الأسقف الجديد، لهذا السبب

1- Galibert : Op.Cit. , p.29 ; Pierre Darru : Histoire de la république de Venise, Imprimerie FirmanDidot, Paris, France, 1821, 2 Ed, II , P .65.

2- Galibert : Op.cit., P. 27.

3- Ibid.

خرج " Jean " إلى " Grado " لتسوية الخلافات، لكن رفض البطريق " Prélat " المطلق لقرار الدوق المفروض عليه بالقوة، كلفه حياته، وعلى أساس ذلك سلّم منصب بطريق جرادوإلى " Fortunat " [1].

المؤامرة:

ولما استلم فورتونات " Fortunat " بطريكيه جرادو " Grado " استشاط غيظا من الدوق
جالباو" Galbaio " وابنه، لأنهما قتلا عمه، وأراد الانتقام لروح عمه، لذلك وحين رأى أن الوقت مناسبا، تحالف مع أوبيليوريو" Obelerio " [2] من أجل إزالة دوق البندقية وابنه من رأس الدوقية.

لكن حدث وأن اكتشفت خيوط المؤامرة في وقت مبكر، فكان افتراق أصحاب هذه المؤامرة أمرًا محتومًا، حيث اتجه أوبيليريو" Obelerio " إلى مقاطعةتريفيز " Trévise " بهدف الحفاظ على الاتصالات بين مناصريهم في المدينة وبين فورتونات" Fortunat "، الذي قصد شارلمان يطلب منه المساعدة بعد أن قام بتشجيعه لغزو منطقة فينسيا وتحريضه ضد البنادقة.

غزو بيبين بن شارلمان لمنطقة فينسيا:

وسرعان ما اختمرت فكرة الغزو في عقل شارلمانوابنه الملك بيبين، الذي تلقى الأمر من والده بطرد كل الفنيت من إقليم " رافينا "، حتى بالنسبة للكنيسة الرومانية. فقد كانت قراراتها مجحفة بحقهم، حين طردوا منها، خلال القيام بالشعائر الدينية كالصلاة.

وتجدر الإشارة إلى أن مناصرو " Obelerio " قد عُينوا دوقا على المنطقة، وما إن سمع الأهاليبذلك، حتى باتوا يهتفونباسمه.

[1] -Fortunat : هو ابن أو ابن أخت " Prélat "، من أجل هذه الصلة التي تجمعهما قرّر البطريق الجديد الأخذ بالثأر، لتفاصيل أكثر عد إلى:
Darru : Op.cit., PP. 64-65 ; Galibert, Op.cit., P.28.

[2] - Obelerio: مواطن Malamucco، عين مفوظها السامي، وتحالف مع Fortunatبالإشتراك مع George Foscon و DemetruisMarsmano , للمزيد من المعلومات، يُرجى العودةالى :.Darru : Op.cit., P. 65

وكانت النتيجة، أن استولى الرعب على قلب الدوق " Galbaio " وابنه " Jean " وفرّا إلى منطقة مونتريو" Monterio " وبمجرد إخلاء الساحة، دخل زعيم المناصرين " Obelerio " إلى " Malamocco " سنة 804 م، وعّين عليها دوقًا وقام بإشراك أخيه " Béat " في الحكم [1].

ونظرًا لتقدم القوات الفرنجية بقيادة " Le BrefPépin " في الجهة الغربية من الأدرياتيك،واستيلائه على (استريا) و (فريول) " Istrie " " Furioul "، ومحاولته غزو منطقة دالماشيــا على الساحل الشرقي للأدرياتيك، فقد اعترى التوتر والخوف دوق فينسيا الجديد " Obelerio "، هذا الذي كان يشجع " Pépin " ويحثه على غزو المنطقة.

ولكونه المسبّب الأول في هذا الوضع المُحرج، لمنطقة فينسيا، فقد بادر إلى اعتماد أسلوب المفاوضات وإرسال السفراء إلى قائد القوات الفرنجية " Pépin "، لكن ولسوء حظّه، فقد فات الأوان، لأن ملك إيطاليا سبق وأن أمر بالهجوم على المنطقة [2] وتخريب، وتدمير، وإحراق كل مكان تمرّ به الجيوش، خاصة في منطقتي " Heraclée " و Equilo " [3].

المساعدة البيزنطية لفينيسيا:

وأثناء تلك الأحداث التي كان يتخبط فيها الفينيت، جاءت النجدة من الإمبراطورية البيزنطية، فقد أرسل حاكمها الامبراطور نقفور " Nicephore " أسطولا عسكريا، تواجه مع الأعداء واستطاع استرجاع عدّة نقاط من الأدرياتيك.

وتفطن سكان فينسيا للامبالاة- الدّوق " Obelerio " وخيانته ومكره وسوء نيته، فقاموا بنفيه مع شريكه في الحكم إلى القسطنطينية وزارا " Zara " [4].

2- Galibert : Op.cit., P. 28 ; Darru : Op.cit., P .67.

2- Bec :Histoire , P. 8 ; Galibert : Op.cit., P.29 ; Sestier : Op.Cit., p.13.

3- Bec: Op.cit., P. 8 ; Darru: Op.Cit., P. 69.

4- Ibid, P.72.

ولما كانت البندقية تقوم بالتجهيزات العسكرية والدفاعية، لصدّ هجومات " Pépin " كان هذا الأخير، قد فرض سيطرته علىبوندولو " Bondolo " في مصب نهر أديج " Adige " وجزرشيوجيا " Chioggia " وبليستريا " Palestria " و أبيولا " Abiola "، ولم تبق إلا قناة واحدة، تفصل قواته عن عاصمة ملاموكو" Malamacco ".

وفي تلك الأوقات الحرجة ظهرت شخصية أنجيلو بارتيشيباسيو" Angello Participazio "،التي قلبت موازين القوّة لصالح البندقية، فقد كان هذا الرّجل، ذكيا، حيث أمر سكان تلك المنطقة بالهجرة إلى مكان آخر، فترك السكان محيطهم وانتقلوا إلى ريالتو" Railto "، الذي كان في نظر بارتيشيباسيو " Participazio " أكثر أمنًا وأوفر حماية، خاصة أنه بعيد عن البحر، وفي غضون نصف يوم، اقتحم العدو العاصمة، فوجدها مهجورة [1]، فكان بالفعل قرار " Angello " حكيما وفعالاً حتى ولو كان سريعًا.

ثم انتقل " Angello " الى المرحة الثانية من مخططه الدفاعي ، بأنّ طبق أسلوب المفاوضات مع العدو، لكنّه باء بالفشل، فلجأ إلى إعداد العدة وتجهيز الجنود، والبحارة، والسفن؛ إلى جانب ذلك فكرّ في خطة محكمة لإسقاط العدوّ، مرّة واحدة. فكلّف" Victor " بقيادة الأسطول، ولمّا تقابل هذا القائد مع قوات العدو وجها لوجه؛ لم يتقدّم نحوه ليقاتله، إنما ذهب باتجاه اليابسة، ليحاصر الفرنجة.ولم يتفطّن " Pépin " لهذا الفخ بل تبع أسطول " Victor " إلى أن عرقلت حركة الجزر سير سفن العدو. بأن عملت هذه الظاهرة الطبيعية على خفض مستوى المياه وبالتالي بات من المستحيل تنقل السفن أو مواصلة سيرها.

هذا كان هدف " Angello " من وضع هذه الخطة، لذلك، قام البنادقة بإشعال النار في بعض من سفن العدو، فعمت النيران وزادها اشتعالا الرياح القوية المختلفة الاتجاهات. ولم تتمكن السفن الفرنجية من صدّ هذا الهجوم البندقي، إلى أن ارتفع منسوب المياه بفعل حركة المدّ، فهرب بيبين بأسطوله إلى " Malamacco ".وأمام هذه الهزيمة المروعة، قام

[1] - Galibert : Op.Cit., P.30.

" Pépin " بالثأر لنفسه، فهدّم وأحرق وخرّب بعضًا من أجزاء فينسيا، ومن ثم عاد أدراجه إلى البر.[1]وهكذا انهزم"Pépin" أمام قوة وصمود البنادقة وعزيمتهم.

وقد ذكر " Sestier " أن " Pépin " [2] وقع في فخ " Participazio "، بعد أن خدعته ابنة هذا الأخير " Estelle "، فكانت الطعم الذي بلعه " Pépin "، إذ بعثها والدها سفيرة إلى العدو لتشغله بالحديث والمسايرة، إلى أن بلغت به المستنقعات.

وهنا تختفي " Estelle " في حين تكون سفن البندقية، قد حاصرتهم، وأحرقت عددا من سفنهم، وبصعوبة شديدة يواصل " Sestier " قائلا: نجا " Pépin " وهرب من تلك المنطقة سنة 810 م[3].

ولم يذكر هذا المؤرخ، خلال حديثه عن الفرنجة،وغزوهم لمنطقة فينسيا، معلومات عن هجرة السكان إلى "Rialto "، بل ذكر أسطورة الهجرة في موضع آخر، لا يمتُ بصلة إلى غزو " Pépin "، وكان محورها، أنّ سكان " Padoue "، طلبوا المساعدة من الرَّب، لينجّيهم من خطر البرابرة [4]، فاستجاب لدعوتهم، بان أرسل إليهم حمامًا كثيرًا لكن العجب في ذلك الحمام، أنّ منقاره، كان ممُتدًا على شكل صليب، فأدركوا أنّها إشارة من الله.

وعلى هذا الأساس، إتبعوا تلك الجموع من الحمام، أينما رفرفت إلى أن حطّت في الجزيرة التي اتخذوها موطنا لهم، وأسموها " Rivo- Alto "، فاستقروا فيه سنة810م[5].

ليس المهم أصل الرواية ،بل المهم يك من في هجرة السكان إلى " Rialto " سواءً بفعل الفرنجة أو غيرهم، فقد تم استقرارهم في تلك المنطقة، وهو المكان الوحيد الذي ضمن لهم البقاء والعيش.

---

[1] Molmenti: Op.Cit., P.20 ;Darru :Op.Cit., P P .73-74; Galibert : Op.Cit., PP. 31-32.-

[2] Edouard, Gibbon: Op.Cit., P . 707-

[3] Op.cit., P.20-

[4] -كما نلاحظ، أن المؤرخ لم يُحدِّد أيّ عرق من المتبربرين، أنظر : Ibid

[5] -Ibid ؛ وقد كان ريفو ألتو مركز البندقية في القرن 12م وأقدم حي فيها و اعيد بناء الجسر الذي يحمل اسمه بين سنتي1588و1591م، انظر: Grand Larousse Universsel, T.13, p.8994.

وفيه تأسست مدينة البندقية، والتي أصبحت عاصمة المنطقة كلها، وباتت نواة مدينة تاريخية، تروي حياة وبطولات هذا الشعب الذي يصارع الموت بكل فخر واعتزاز.

وقد عيّن " AngelloParticipazio " دوقا على البندقية، بعد أن أطلق عليه شعبه لقب منقذ البندقية. وبعد سنة 811 م تم عقد اتفاق بين شارلمان والإمبراطورية البيزنطية، ينص على اعتراف حاكم إيطاليا باستقلال البندقية و تبعيتها للشرق [1].

-[1] Freddy: Op.Cit., P.13 ; Darru: Op.Cit., P. 74 ;Galibert :Op.Cit., P. 32 ; Bec:Op.Cit., P. 8 ; Dictionnaire du Moyen- Age Sous la direction : Claude,Gauvard, Alain de Libera, Michel, Zink, P.U.F , France, 2002, P .1438.

سيد البندقية Saint Marc:

أ) تعريف الشخصية:

هو القديس مرقس، يهودي الأصل وإسرائيلي المولد، ولد بإفريقية، في بلدة تسمى أبرياتولس بإقليم ليبيا، وكان يحمل إسمان يوحنا و مرقس لكنه اشتهر بالإسم الثاني.

نشأ القديس " مرقس " في أسرة متدينة، كان لها صلة وطيدة بالسيد المسيح " عيسى عليه السلام " وعلى علاقة مع القديسين " بطرس " و " بولس "، وقد ساعده هذا الوسط الديني، والثقافي، على تعلم العديد من اللغات كاليونانية واللاتينية والعربية. فاكتسب الدين والزهد والثقافة.

كان يعيش حياة هادئة، إلى أن توتر الوضع بهجوم البرابرة على أملاك أسرته في إفريقية في عهد أغسطس قيصر، فهاجرت عائلته إلى فلسطين، حيث بدأت الدعوة المسيحية، ونظرًا لرصيده العالي من المعرفة بالدين والثقافة واللغات، فقد إنضم إلى رفاقه المسيحيين [1].

2) جهوده التبشيرية:

بدأ القديس مرقس، نشاطه التبشيري في فترة مبكرة من شبابه، وقد ساعده على ذلك القديسين بطرس وبولس و برنابا[2].

وجاء في الكتب الدينية، أن مرقس نشر التعاليم المسيحية في أورشليم وفي مصر ولبنان، كما وعظ في مناطق من سوريا وأنطاكية، وبقبرص إلى جانب إفريقية و روما.

وذكر شنودة الثالث أن مرقس بَشّر في إيطاليا وفي روما. فما الذي يمنعه من أن يصل إلى المنطقة التي بنيت فيها البندقية، وتشيربعض الروايات كذلك، إلى أنه قام

[1] -البابا شنودة الثالث: تناظر الإله الإنجيلي مرقس الرسول، القديس والشهيد، ص ص.9-12.
[2] -شنودة الثالث، المرجع السابق، ص. 19.

بالوعظفي Aquilée، وبشر بإنجيله هناك، تاركا بذلك بالغ الآثر في سكانها، فإعترف به الإيطاليون و البنادقة و انتسبوا إلى كرازته، وخلَّدوا اسمه [1].

لكن وأمام تزايد قوة كرازته، وتبشيره بالمسيحية، اشتد غيظ الوثنيين عليه وباتوا يترقبون الفرصة للغدر به وقتله.وألقوا القبض عليه خلال احتفالات عيد الفصح، القيامة، بكنيسة بوكاليا سنة 68 م. وبعد القاء القبض عليه، عذبوه أشد العذاب؛ فمات صباح اليوم التالي.

وتجدر الإشارة إلى أنهم لم يكتفوا بذلك، إنما ارادوا حرقه، ولكن ما اشتعلت النيران حتى هبت رياح وعواصف قوية وممطرة، أطفأتها، فأخذ أصحابه جثته، وصلوا عليه في كنيسته بوكاليا ودفنوه فيها ، فأصبحت تحمل اسمه[2].

علاقة القديس مرقس بالبندقية:

وقد اتخذ أهل البندقية من القديس مرقس قائدهم ومنقذهم، طبقا لعدِّة روايات تاريخية، توحي بمعجزاته التي قام بها من أجل المدينة. وقد اختلفت هذه الأخيرة، بحسب المعطيات؛ حيث يُقال أن مرقس كان يقوم بالوعظ بالقرب من إيطاليا بشواطئ الأدرياتيك فهبت عاصفة هوجاء، ودفعت بمركبه إلى المستنقعات الموجودة في منطقة فينيسيا.
وفي تلك الأثناء يُروى أن ملاكا ظهر لمرقص، وبشره بتأسيس مدينة كبيرة في هذه المنطقة ستحمل اسمه[3].

وتوجد أيضا رواية أخرى تفيد بأنّ مرقس هو شفيع المدينة وحاميها من الظلمات.إذ أنه في ليلة، طلب 3 رجال من بحار أن يُقلِّهم إلى " Lido "، وما أن انطلقوا حتى هبَّت عاصفة وهاج البحر، وبرزت الأشباح. فتسّلل الخوف والرعب إلى قلوب الركاب والبحارة، ماعدا راكب واحد، الذي كان يصلي ويدعو، فوصفته الرواية، بأنه كان طيبا، وهادئًا. وبعد أن هدأت العاصفة، ونزل الركاب بسلام، خاطب ذلك الرجل الطيب صاحب القارب قائلا: "

[1] -نفسه، ص. 19- 24.
[2] -شنودة الثالث :المرجع السابق، ص ص. 63-64.
[3] -نفسه, ص ص.68-69.

أنا مرقس الرسول المسيح، خُذ الخاتم وسلمه إلى حاكم المدينة فيكافئك، أجل المكافأة على ما تكبدت من مشاق وأهوال من أجلنا في هذه الليلة، وأعلم أني ما جئت هذه الليلة (....) إلا لإنقاذ البندقية من طغمات الشياطين التي أحاطت بها (...)".

فذهب ذلك البحار بالخاتم إلى الحاكم، ولما رآه صُعق، لأن الخاتم عادة، يكون في الخزينة.فكانت تلك معجزة، ومن أجلها نال البحار مكافأة، وجعل حاكم المدينة، من ذلك اليوم عيدًا جليلاً، يُحتفل به بنجاة المدينة وأهلها [1].

على أي هاتين الروايتين، تمّ اتخاذ مرقس قائدًا روحيا للمدينة فالأمر غير محدد، لكن المهم أنه أصبح سيد المدينة، وأعطاها اسمه، وشفاعته، وبركته كما أتخذ أهلها أسده رمزا وإنجيله شعارًا للجاه الملكي.

هذا الأسد الذي كان أولى معجزات و وبطولات القديس، سواءْ عندما قتل مرقس أسدًا ولبؤة بإسم "الرب"؛ أوفي الإنجيل الذي كتبهالذييبدأ بصراخ أسد في البرّية.
أم لاعتبار إنجيله يمثل بصفة مباشرة السيد المسيح في جلاله وملكه. لهذا نال أسّد مرقس شهرة كبيرة، بأن بات مرافقا له في معظم صوره، وأقام له البنادقة تمثالا في ساحة مرقس، وكان يجسّد على أنه أسد أليف هادئ، لأن القديس انتزع منه وحشيته [2].

القديس مرقس سيد البندقية:

دفن القديس مرقس، بالإسكندرية في كنيسة بوكاليا، وبقيت رفاته هناك [3]، إلى أن سرقها البنادقة.وقد نفذ هذه العملية، في سنة 828 أو 829م، راهبان أو تاجران، وهما روستيكوRusticoمنTorcello و بونBon من " Malamacco ".

وتروي المصادر أنهما، احتالا على الراهب " استزجيوس " والقس " تادريس " وأوهامهما، أنّ الكنيسة التي يبنيها البابا في الإسكندرية، ستهدم وهما يخشيان على ضياع

[1] -شنودة الثالث، المرجع السابق ,ص.,69 ; 84.. Darru :Op.cit, P
[2] -شنودة، المرجع السابق، ص ص: 18-19.
[3]- ويقول البعض من المؤرخين، أنهما يونانيين، أنظر:.82. Darru :Op.cit, P

رفات القديس [1]. فلم يقبل الراهبان في بادئ الأمر.فيذلك الوقت، خرج القس والراهب في مهمة كلفهما بها البابا. فعمد البنادقة الى سرقة جثة " مرقس "، فأخذوها بحذر شديد، وغطوها باللفائف، وحملوها إلى سفنهم، التي تنتظرهم في الميناء.ولجئوا إلى حيلة، فقاموا بتخبئة رفات القديس في سلة؛ ووضعوا من فوقها الأعشاب وجلد الخنزير حتى لا يتمكن أحد من أهالي المنطقة من اكتشاف أمرهم [2]. ولما وصلوا إلى السفن، وضعوا الجثة بين طيات الأشرعة، وبهذا غادروا الميناء باتجاه البندقية فرحين بما قاموا به من نقل رفات سيد مدينتهم ! .

لكن حدث وأن عرقلت عاصفة مسيرهم ويُقال إنَّ إيمانهم بالقديس، كان قويًا لدرجة أن ظهر لأحد التجار، مُحذرًا إياهم من بسط الأشرعة لمقاومة الرياح القوية، هكذا واصلوا طريقهم أهلها به وبانتصار البندقية وتركوا مدينتهم تحت حماية الأسد المرقسي [3].

ولأهمية هذا الحدث، قرّر الدوق جوستيان بناء هيكل جميل يوضع فيه جسد القديس، لكنه احترق، فجدَّد الدوق Orseoli بناءه، ثم بعدها بُنيت له كنيسة اعتبرت من أضخم الكنائس وسميت باسمه، سنة 1052م، وانتهت أشغالها في القرن 18 أو 19 م[4].

[1] - شنودة الثالث، المرجع السابق، ص. 74 ; Kaminiski : Op.Cit, P .96

[2] - Darru : OpCit, PP . 83-84; انظر أيضا الى: شنودة الثالث، المرجع السابق، ص.74.

[3] - Kaminiski : Op.Cit, P. 96; Darru : Op.Cit, PP .83-84

[4] - Kaminiski : Op.Cit, P .96.

عواملتطور مدينة البندقية:

أ) العوامل الطبيعية:

تتمتع مدينة البندقية، بموقع جغرافي متميِّز، فهي تمتد على أراضي وبحيرات و تعبرها أنهار عديدة تنبع من جبال الألب، جعلت الأراضي المحيطة بها خصبة، كما توفرت على مميزات لم تجتمع في مدينة أخرى، فهي كما يصفها المؤرخون، بمثابة صحراء لخلائها من الماء الصالح للشرب ومن الأبنية [1]. لكن هذا لم يمنع سكانها الأوائل من محاولة البناء وتشييد معالم دولتهم. فعلى الرغم من كون البندقية عبارة عن جُزر متناثرة وصعبة التأقلم، غير أن البنادقة، وضعوا أسسًا وركائز لبناء مدينة وسط البحر [2].

وكان أول عمل مارسه هؤلاء، هو استخراج الملح وصيد الأسماك للغذاء والمُتاجرة إذ يعتبر الملح والسمك من أهم سلع التبادل التجاري، وأولى الثروات التي ساهمت في تطوير المدينة [3].

كما جعل أهل المدينة من الأنهار، ممّرات تعبرها مراكبهم المصنوعة من الأخشاب الموجودة في الغابات الكثيفة التي تُجاور المنطقة. فقد اغتنم السكان تلك الوفرة من الخشب لصناعة المراكب وبناء الأساطيل [4].

وعلى الرغم من تناثر المدينة في جزر عديدة، فقد استغلّ أهلها تلك السهول الخصبة، فغرسوا أشجار العنب والبساتين وجنوا المحاصيل [5].كما لجأ السكان إلى بناء الصهاريج لتوفير الماء الصالح للشرب، وكانوا حريصين على الحفاظ عليه وعدم الوقوع في أزمة نقص المياه [6].

ولم تكن الثروات التي تتمتع بها البندقية عند بلوغها الصدارة في التقدّم والازدهار، مُتوفرة عند تأسيسها، ولم تكن البداية دائمًا سهلة، إنّما كانت صعبة لا ينالها إلا

1- Diehl :Op.Cit, PP. 1-6.
2- sestier : Op.c it, P.10.
3- Freddy: Op.Cit, P.9; Diehl: Op.Cit, P. 4.
4- sestier :Op.Cit, P. 10.
5- Zorzi :Op.Cit, p.14 ;Diehl, Op.cit, P 6.
6- Diehl: Op.Cit,p.6.

الجرئالمثابر. وذلك بعد أن أدرك البنادقة ومنذ وقت مُبكر، أنّ الحياة في تلك المدينة تعتمد على البحر ومنه يجمعون ثرواتهم وفيه يكمن مُستقبلهم، لذلك روّضوه لخدمة مصالحهم، فجعلوا
من صعوبة البحر وقساوة الطبيعة، سبيلاً للدفاع والتحدي، من أجل بلوغ هدف واحد، وهو بناء دولة قوية، عالية الشأن، ذات نفوذ واسع .... فتحقق لهم ذلك.

2- التطورات التاريخية:

لقد تظافرت عدّة عوامل ساعدت على تطور البندقية، من ذلك الأحداث التاريخية فقد كان لها دور بارز في النهوض بالمدينة نحو السؤدد الملحوظ.

إذ ساهمت الغزوات الجرمانية في تغيير مقر السكن الأول للبنادقة، فإنتقلوا
إلى البحيرات خلال القرن 5 م، لذلك يعتبر المؤرخ ديهل " Diehl "، أنّ هذا القرن هو بداية تاريخ البندقية [1].ومنه تغير نمط عيشهم وحوّلوا وجهتهم نحو البحر و صناعة السفن والصيد.

كما أدّت الحماية البيزنطية للبندقية، إلى التقدم السريع الذي عرفته المدينة نظرًا للنتائج الإيجابية لهذا التحالف الذي دام طويلا [2].فقد هدّد النورمان الإمبراطورية البيزنطية، فطلبت هذه الأخيرة المساعد والنجدة من مدينة البندقية، وعلى أساس استجابتها، نالت المدينة تلك إمتيازات معتبرة ساهمت في بناء قوتها وثرائها[3].

إلى جانب هذا، استغلت البندقية فترة الحروب الصليبية أحسن استغلال، إذ قامت بمساعدة الصليبيين،كتقديم السفن لهم، ونقل جنودهم، و كذا البضائع، والمؤن الضرورية لهمإلى بلاد الشام.

---

[1] -Op. cit., P .4 ; Marabini :Op.Cit., P .23.

[2] -(من ق 6 إلى ق 9 م)، أنظر : Diehl:Op.cit., P.4.

[3] -Ibid. وسيتم التفصيل فيها في الفصول اللاحقة.

وتتفق الدراسات التاريخية، على أن تلك المساعدة، كانت حيويّة، إذ لولاها، لماتوا جوعًا هناك ولانهزموا من شدة الضعف والفقر، لهذا السبب، نالت البندقية عدّة إمتيازات تمثلت في منحها حرية التبادل التجاري واعفائها من الرسوم الجمركية [1].

ولقد استفادت البندقية من هذه الإمتيازات الاقتصادية بشكل واسع حيث مكَّنتها من إحداث قفزة نوعية نحو التقدم والنفوذ الدولي، التي توجت بإسقاط مدينة القسطنطينية في أيد اللاتين سنة 1204 م خلال الحملة الصليبية الرابعة.

3- العامل السياسي:

- نظام الحكم:

عرف الحكم في البندقية، أنظمة سياسية مختلفة، تلك التي عرفت بدورها تطورات عديدة، فمنذ القرن 6 م، فرضت الإمبراطورية البيزنطية حمايتها على الإقليم، والذي بدوره أعلن الولاء والإخلاص لها رغم الظروف الصعبة التي كانت تمّر بها.

وكان المسؤولون عن أحياء إقليم فينيسيا، مفوضّون من الشعب (Tribuns) يتم اختيارهم من الأرستقراطية المحلية ويُعيِّنهم السكان، ثمّ يوافق عليهم الإمبراطور البيزنطي [2].

وفي القرن السابع الميلادي، ظهر ما يُعرف بمنصب " الدوق ". وكلمة الدوق لاتينية الأصل، وهي مُشتقة من " Dux " أو " Duc "، ومعناها " القائد " [3].

ولقد تعددّت مفاهيمه حسب الفترات التاريخية والبلدان التي استخدم فيها المصطلح.

حيث كانت وظيفة الدوق تمثل المنصب الأول بعد الأمير، ليصبح خلال القرن 5 م، قائدا عسكريا للقوات المحلية،أما في بيزنطة، فيختار الدوقنبلاء القصر، ويعتبر في الجوهر نائبًا للملك [4].

---

[1] Diehl:Op.Cit., P .34.-

[2] Diehl: Op.Cit., P .12.-

[3] -دائرة المعارف الإسلامية، الملك بطرس البستاني، دار المعرفة، بيروت لبنان، مج 8، ص: 149 ; Grand Larousse universel :Paris, France, 1997, T.5 , P .3427.

[4] Ibid.-

وتذكر الدراسات التاريخية، أن منصب الدوق أصبح وراثيا خاصة في فرنسا وألمانيا منذ سنة 987 م، وصارت المنطقة التي يحكمها تسمي " دوقية ". كما أضحى الدوق صاحب نفوذ قوي خلال العصور الوسطى، إذ بات مُشابها للملك ومُناظرًا له، وتوسع نفوذه وسلطته، حتى شملت مهمته وضع القوانين وإقامة الحروب وعقد الصلح، وسك العملة باسمه [1].

و في البندقية، فقد كان الدوق في البداية، يعين من طرفبيزنطة ليكون مسؤولا عن المدينة، لكنّ في سنة 742م، تغيّر النظام، فأصبح الدوق يُنتخب مَحليا [2].

كان هذا النظام، مهمًّا في تاريخ البندقية، لأنه يخدم مصلحة الدولة، لان الدوقتمتع بكلّ القوة والسلطة واستطاع توريث منصبه إلى أحد أبنائه قبل الوفاة،لذلك كانيُشارك أباه الحكم.

وهكذا أصبح نظام الحكم وراثيًا، واستمر حوالي قرنين كاملين، ومن أهم الأسر التي توارثت هذا المنصب أسرة " Perteciaci " (811م-887م)، وأسرة " Candiani " (932م-976م)، وأسرة " Oreseoli " (976م-1032م). ومن هنا ظهر ما يُعرف بصراعات الأسر النبيلة العريقة [3] التي تتنافس على الظفر بزمام الدوقية.

لم تكن القوة والنفوذ الواسعين، والحكم المُتبع في المدينة، محل إعجاب ورضَا جميع الطبقات الإجتماعية، فالطبقة الأرستقراطية، كانت مُستاءة من هذا الوضع، لأنها ترى في نفسها الأحق لتولي المناصب العليا في الدولة، وتسيير الجمعية العامة باعتبارها من الأسر النبيلة، فهم أغنياء وأصحاب جاه ويملكون العقارات ويسيطرون على التجارة.

وكانت الأرستقراطية تسعى الى تسيير شؤون المدينة، بل أكثر من ذلك فقد شاركت في الثورات ضد الحاكم القوي، هذه الثورات التي كانت غالبًا ما تنتهي بانقلاب

[1] -دائرة المعارف الاسلامية، مج 8، ص. 149.
[2] -Diehl: Op.Cit., P . 12
[3] -Ibid, P . 82 ;Feddy:Op.Cit., P . 13.

عسكري أو قتل المغلوب. فقد كان هدفها، أن تحدّ من قوة الدوق وتسترجع نفوذ الشعب وحقه في المشاركة في الحكم .[1] وقد حدث هذا التغيير ببطء وأصبحت البندقية جمهورية.

وعرفت فترة تغيير الحكم في البندقية، أحداثًا كثيرة، وثورات وانقلابات دامت طويلا، انتهت بقيام النظام الجمهوري في المدينة في القرن الثاني عشر الميلادي[2].

سلطة الدوق:

تشير أغلب الدراسات التاريخية، إلى أنّ حاكم البندقية كان يتمتع بالشهرة والقوة ويتسِّم بالقسوة والنفوذ الواسع.

حيث أكّد المؤرخ دييهل " Diehl " أن دوق البندقية، كان ينافس إمبراطور بيزنطة سواءً
في طريقة ممارسة الحكم المطلق والنظام الملكي أو في اللباس الرسمي الذي يضاهي عباءة الإمبراطور، إلى جانب أنه كان يتلقى ألقابا شرفية وتكريمية من بلاط بيزنطة، ويحظى بألقاب المناصب كالبطريق أو القنصل [3].وفضلا عن ذلك، كانت تؤدى الصلوات على الدوق مع القيام بالدعاء له في الكنائس حسب التقاليد الإغريقية.

ولقد نمت سلطة الدوق، وقويّت شوكته واتسعت حدود قوّته إلى أن شملت جميع قطاعات الدولة، فبمجرّد أداء يمين الولاء يصبح الدوق الحاكم الأوّل، يبسط يده على بلاط المحكمة العليا، ويسيّر الجمعية العامة، ويُعين المفوّضين، والقضاة، وقادة الجيش.

كما كان الدوّق يصادق على المعاهدات والإتفاقيات ويدير الشؤون المالية. لكل ذلك، يمكن القول أنّ حكمه كان مطلقا شاملاً، خاصة إذا علمنا أن الدوق يتحكم في الخزينة العامة، ويمارس حكمه المباشر على رجال الكنيسة[4]، كان إذا رمزا للقوة والسلطة.

---

[1] - Diehl:Op.cit., P.82-83 ; Gibbon: Op.Cit., PP.709-710.

[2] - Diehl: Op.Cit., P .82-83.

[3] -وذلك خلال القرنين 9 و 10م، أنظر الى : Freddy : Op.Cit., P .13

[4] - Ibid; Diehl: Op.Cit., P. 14.

الزواج السياسي:

تبنّت مدينة البندقية سياسة وفّرت عليها الكثير من الجهد والوقت، لبناء علاقاتها الخارجية وعقد الإتفاقيات والمخالفات. فقد أتت هذه السياسة بثمارها؛ بأن وفّرت الإمتيازات السخّية والفرص الرّابحة لهدف تطوير المدينة بشكل أوسع، وتتمثل في الزواج السياسي. حيث عمد الدوق إلى مصاهرة العائلات الحاكمة والإمبراطورية في بيزنطة من أجلكسب التأييد السياسي والشهرة للبندقية [1].وتدلهذه السياسة على أن الدوق بلغ درجة هامة من القوّة سمحت له بتقريب الهوة بينه وبين الإمبراطور.

وهذه المصاهرة أو ما يطلق عليه:بالزواج السياسي، لم يتم مع العائلات البيزنطية الإمبراطورية فحسب، بل مع قياصرة الجرمان أيضا، إذ قام القيصر" Otton I " في القرن 10م، بتزويج ابنة أخيه بالدوق البندقية [2]، وبهذا الترابط تعدّدت الإمتيازات وتطوّرت المصالح السياسية المشتركة بين الطرفين.

العلاقات الخارجية:

عمدت البندقية في طور نشأتها إلى البحث عن حلفاء أقوياء، يشدّون أزرها، فكان أوّل حليف لها هو الإمبراطورية البيزنطية، التي كانت في البداية، تحت حمايتها. فباتت حليفتها، ثم أصبحت عدوّتها، وفي الأخير قضت عليها وورثت جزءا هاما من أملاكها [3]، وهذا التطوّر يثبت القوة التدريجية التي عرفتها المدينة منذ ظهورها.

فعلى الرّغم من الظروف الصعبة والأطماع الخارجية التي تهدد كيان الدّولة الفتيّة، فان الفرنجة مثلا بقيادة شارلمان وابنه " Pépin " وحدهم، كادوا أن يفتكوا بها، لولا دهاء الدوق وحماية بيزنطة ومساعدتها لها ، مما جعلها تكرس ولاءها وإخلاصها للقسطنطينية[4].

[1] Diehl: Op.Cit., P. 11.-
[2] Ibid, P .19.-
[3] Diehl: Op.Cit., P . 11. -
[4] Ibid, P . 17.-

ويرى المؤرخ " Thiert "، أن مسألة تحالف البندقية مع بيزنطة، كانت ضرورة سياسية وإقتصادية بالنسبة لهذهالأخيرة، فقد استعان الإمبراطور" Basile II " بسفن البندقية لمواجهة خطر العرب المسلمين في سنة 992 م، وكسبت البندقية جراء ذلك إمتيازات ومكاسب تجارية معتبرة[1].

إلى جانب هذا، فقد ساعدت بيزنطة البندقية، في مواجهتها خطر كرْواتيا وهنغاريا في سنة 1042 م. لهذا أعتبر المؤرخون، المدينة وسيطًا بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني [2].

4- إدارة الدولة:

لقد وضعت مدينة البندقية، قوانين إدارية صارمة تضمن حُسن تسيير المدينة في جميع الميادين، كالتجارة والمجتمع والميدان العسكري وغير ذلك.

- التجارة:

اهتمت إدارة البندقية بالتجارة بشكل كبير، حيث اعتبرها البنادقة من مقومات الإزدهار والتقدّم، على هذا الأساس، حددّت سلطات الدولة المهتمة بالتجارة، شروط التعامل والتبادل سواء داخل أو خارج المدينة، فمنعت الشراء والبيع للتجار في بعض الدول التي تمنع إرساء البواخر والبضائع في موانئها، مما يُعرِض صاحب هذه الجنحة إلى عقوبة الغرامة أو مصادرة أملاكه.

- المجتمع:

وضعْت البندقية، قوانين تخص الحياة الإجتماعية، وتسهر على حماية أفراد المجتمع من منطلق الأحداث التي تهّدد أمنهم، حيث كانت تسهر على المراقبة الصارمة لقمع

Op.Cit., P . 17.-
Ibid, PP.18-20.- [2]

التهريب، والغشّ، والتزوير، والسرقة، وتحارب الإجرام والمجرمين [1]؛ بوضع عقوبات صارمة تحد من تفشي هذه السلبيات.

الميدان العسكري:

سعت البندقية، إلى تحديد سلطات الحكام والقادة وضبط مهامهم، كردع قوة ونفوذ القبطان إلى جانب القادة العسكريين، الذين يُشكلون خطرًا مباشرًا على أمن وسلامة المدينة، إذا ما مُنحت لهم حرية التغيير [2].

وبحكم هذا، تمكنت سلطات البندقية، من توحيد عملها بتوحيد إدارتها وسياسيتها التي وضعتها بيد الدوق باعتباره الزعيم الأول للدولة.

ولم تكن السلطات الإدارية تضع القوانين فحسب، بل كانت تستخدم في علاقاتها سواءً منها الإقليمية أو الخارجية، أسلوب التفاوض، والحوار مع الطرف الآخر، يتجسّد ذلك، في المعاهدات والاتفاقيات، التي عقدها البنادقة، والإمتيازات التي تحصلوا عليها.

ولقد أشاد المؤرخون، بالحنكة السياسية، والحكمة، وممارسة الدبلوماسية [3] التي تتمتع بها البندقية.وبأنَّ أهلها يُتقنون فنون الحوار والتفاوض من أجل تحقيق المصالح المشتركة وتفادي المخاطر الخارجية [4].وأنّ هذه السمات هي التي تُنير طريق التقدم والغنى والرقيّ بتحقيق قوة أيّة دولة.

5- العامل البشري:

1) صفات البنادقة:

أشادالبعض من المؤرخين ، بالخصال التي يتحلى بها البنادقة، حيث أشتهر أهل تلك المدينة، منذ بداية تاريخها بالقوة، والشجاعة، والعمل الدّؤوب، لتأسيس مكان يستقرون فيه، ولم يُيسّر لهم ذلك بسهولة،بل عانوا عناءً شديدًا، وذاقوا مرارة الصبر لتحقيق هدفهم.وقد

1- Diehl: Op.Cit., P . 29-30 ; Freddy: Op.Cit., P. 16.
2- Freddy: Op.Cit., P. 16 ; Diehl: Op.Cit., P . 29-30
3- Pirenne :Op.Cit., P . 97 ; Diehl : Op.Cit., P .163.
4- Zorzi : Op.Cit., P. 32.

عبّر أحد رعايا حاكم ايطاليا الملك القوطي ثيودوريك 458-526م " Théodoric " عن ذلك قائلا:" كانوا يعيشون في أقفاص مثل العصافير المائية " [1].

واتسم البنادقة بالمهارة والذكاء والرّوح الجماعية، المفعمة بالشعور بالإتحاد والتضامن والتآزر [2]، فقويت شوكتهم وصنعوا النفوذ والقوّة والثروات، كما قال الشاعر النورماني " Guillaume D'Apulie "، إن البندقية " غنية بالمال غنيّة بالرجال " [3]. فعن حق، لا خوف على بلاد كان فيه رجال كهؤلاء ! .

غير أن المؤرخين لم يتفقوا حول ذلك، فالمؤرخ حنا كيناموس" Jean Kinnamos " كتب في حولياته، أنّ البنادقة قوم بدائيون، ووصف عاداتهم بالسوقية، والإبتذال، ونسب إليهم الخيانة والمكر، والفضاضة والكلام الغليظ [4].

ولعلّ هذا الوصف ينطبق على فئة قليلة، لم تنل قسطا كافيا من التعليم، نظرًا لاشتغالها بالبحر والتجارة.فالمقولة قد لا تنطبق على بقية البنادقة، على الرغم من كون المؤرخ معاصرًا للأحداث فقد يكون على الأغلب، شاهد منهم ما يجعله يصفهم بذلك، وربما ذلك راجع الى تصرفات البنادقة غير لائقة في القسطنطينية تجاه البيزنطيين؛ لكن تعميم تلك الصفات عليهم لعله ليس المقصود وراء هذا الوصف.

علاقة البنادقة بالبحر:

ارتبط البنادقة بالبحر، فهو مصدر رزقهم، وحاميهم من خطر البرابرة، حيث كان الصيد واستغلال الملح، مصدر رزقهم وأصل تجارتهم [5]. وبدأت الأمور تتطوّر شيئًا فشيئًا، وإلى أن برزت ضرورة امتلاك السفن والأساطيل الحربية، لردع الأخطار

1- Jean , Marabini : Op.Cit., P .23.
2- Pirenne: Op.Cit., P .76;Freddy: Op.Cit., P.9.
3- Ibid.
4- Op.Cit., P .181.
5- Freddy: Op.Cit., P.9 ; Yves: Op.Cit., P.62.

الخارجية[1] .وهكذا تطورت معرفة البنادقة ومهاراتهم في الملاحة والتجارة، هذه التي ضمنت لهم أرباحا و ثروات طائلة.

أكد المؤرخ سيستيي" Sestier "، أن التجار البنادقة ورجالهم، لم يكونوا كذلك، إلا بعد أن أمتهنوا الملاحة وأتقنوها، وكذلك كتبا لمؤرخ Diehl أنه: " لا يوجد أيّ شعب في العالم، أكثر شجاعة ومهارة في المعارك البحرية، وأكثر معرفة بفنون إدارة السفن في البحر مثل البنادقة [2].

التعليم والدين عند البنادقة:

لقد نال المواطن أو التاجر البندقي، من العلم ما يكفيه لممارسة مهارات، وفنون السياسة، والمعاملات. وتجدر الإشارة، إلى أن وظيفة التعليم كانت من صلاحيات رجال الدين، فهم الذين يسهرون على تعليم البنادقة الكتابة [3]، وارتبط العلم بالتجارة، وأصبحت العلاقة بينهما تكاملية.أمّا ما يتعلق بالجانب الديني للبنادقة، فقد اختلف حوله المؤرخون إذ يؤكد الباحث دييهل" Diehl " أن روح البنادقة آمنت بمصالح الدولة وقدسيتها بالدرجة الأولى وبالسهر على ازدهارها وبلوغها القمة [4]. في حين ذكر المؤرخ هنرى بيرينHenri Pirenne، أن دين البنادقة هو دين المعاملات التجارية ورجال الأعمال، وكأن التجارة أصبحت هاجسهم الوحيد. ويبرز ذلك في تعامل البنادقة مع المسلمين، رغم أن ذلك يعرّضهم لشكوى البابا والصليبيين في مدى مصداقية إيمانهم بالقضية المقدسة، والحروب الصليبية، فقد كان شعارهم الدّائم : " مصالح الدولة قبل كل شيء [5] ".

وباختصار كان البنادقة، مميّزين في نمط التفكير والتصرّف وطريقة التعامل، كما اتسموا بالشجاعة والحنكة والجرأة.

1- Jean Marabini : Op.cit., P .25.
2- Sestier : Op.cit, P . ; Op.Cit., P .27. -
3- Diehl: Op.Cit., P.163.-
4- Ibid, P . 164. -
5- Pirenne : Op.cit., P P .77-78.-

6- قوة الأسطول:

فرض موقع مدينة البندقية، على سكانها اللجوء إلى وسائل نقل مائية تتمثل فياستخدام المراكب، للتنقل بين الأحياء واتصال الأفراد ببعضهم، وحفزّهم ذلك على إقامة مشاريع لبناء السفن لوازمها فظهرت دور الصناعة.

دور صناعة السفن:

لقد سهّلت حكومة البندقية عملية بناء السفن، وساعدها على ذلك توفر مادة الخشب التي توفرها غابات دالماشيا [1]، اذ تأسست أول دار لصناعة العتاد البحري سنة 1104 م خلال حكم الدوق أوردلافو فالييه (Ordelafo Falier 1102-1118م) [2]، فكان أضخم مشروع صناعي بحري، أنجزته البندقية طيلة فترة العصور الوسطى.

فهذا دانتي " Dante " كتب في " الك وميديا الإلهية " يصفه بـ: " النشاط القوي والضحية (...)، والحرارة التي تُمثل في عينيه جهنَّم الموجودة على الأرض "..

في حين قال عنه المؤرخ الفرنسي فيليب دىكومينس" Philipe de Commynes" أنّه: " أحسن وأجمل شيء أو مشروع وجد في هذا العالم " [3].

مرّت هذه الدار أو المؤسسة البحرية البندقية بعدة مراحل، فقد كانت تتطور جنبًا إلى جنب مع المدينة ونمو تجارتها. وفي سنة 1325م، أسست البندقية دارًا جديدة أطلقت عليها إسم " Arsenal Nuovo". وفي سنة 1473م، بنت مصنعًا للعتاد البحري إلى جانب الأول، والثاني، وأسمته: " Arsenal Nuovissimo "[4]. واستمرت التطورات إلى غاية 1570م، حين وسّعت من مساحة الدار أضعاف ما كانت عليه من قبل، إلى أن بلغت

1- Freddy: Op.Cit., P.15.
2- Christian, Bec: Op.Cit., P.121; Sestier: Op.Cit., PP.10-19; Camille Mauclain :Venise, ed.Henris, Lauriens, Paris, France, 1921, P . 157.
3- Marion, Kaminiski : Venise, P.482.
4- Camille : Op.Cit., P.151.

25 هكتارا تقريبا فاعتبرت بذلك،أضخم مؤسسة بحرية في العالم خلال العصور الوسطى[1].

وجاءت هذه التطورات، نتيجة سياسة المدينة الصارمة في تطبيق قوانين التصنيع إذ فرضت بعض المواصفات على السفن، أهمَّها:

1- وحدة النموذج: أكدّت المدينة على توحيد النموذج، لتحويلها إلى سفن حربية تحسبًّا لأّي طارئ .

2- تجميع السفن من نفس النوع في مكان واحد.

3- أن يقوم حاكم الجمهورية بتعيين قبطان السفينة.

4- أن يكون رئيس دار الصناعة نقيبا أو رائدًا للأسطول الحربي أو قبطان البحر[2] .

وقد تحدثت بعض الدراسات الإحصائية حول نسبة اليد العاملة في هذا المصنع والتي تبدو غير دقيقة، وفي مجملها مُبالغ فيها، حيث يشيرالمؤرخ كامنيسكي الى أن بعض الدراسات الاحصائية تفيد بأن عدد العاملين في هذا المصنع بلغ مليون عامل ذو كفاءة وخبرة عالية في مرحلة التأسيس سنة 1104م، لكن عدم دقة هذه الاحصائيات يدفع الى اظفاء طابع المبالغة على هذا الحجم[3]

ولقد وضع لهؤلاء العمّال، منهاج عمل مُحدد، يتميّز بالتسلسل في الصناعة تبًعا لأولويات ومراحل صناعة السفينة، حيث تهتم مجموعة منهم بصناعة الهيكل الخارجي للمركب، وأخرى تسدُّ الفراغات أو تقوم بدهنها خارجيًا، بينما تعتني طائفة أخرى

1- Kaminiski : Op.Cit., P.482.
2- Christian, Bec, Op.Cit., P.38 ; Sestier :Op.Cit., P. 19 ;Diehl :une République, P.30.
3- Kaminiski: Op.Cit., P .482.

من العمال بتجهيز مُعداتها، في حين تشتغل الفئة الأخيرة بتسليح السفينة ووضع وسائلها الدفاعية [1].

بهذا التطور في تقنيات العمل، زاد عدد المراكب من 200 قطعة بحرية في حدود سنة 995م، على 3000 سفينة سواء تجارية أو حربية في القرنين 14 و 15م، لذلك كان القرن 11م، بداية لازدهار المدينة ونموّها الإقتصادي والسياسي [2].

ويدلُّ هذا التطور على عبقرية البنادقة في ممارسة هذه الصناعة، فقد أتقنوها وصنعوا عدّة أنواع، منها: السفن الشراعية: الطويلة والسريعة" كالغليون و ترافال " [3] والسفن البيضاوية الشكل (Coqs)[4] والسفن الحربية [5].

ولم تتوقف مهارتهم عند السفن ذات الصفين من المجاديف، بل مهروا أيضا في ابتكار مراكب ذات ثلاث وأربع صفوف من المجاديف مزودة بحصن لرماة الرماح [6].

وتميزت سفن البنادقة بالارتفاع، والسرعة الكبيرة، وسهولة الاستعمال، سواء بعمودين أو ثلاث [7]. كما صنع عمّال دار العتاد البحري، سلاح المدفعية لرمى المنجنيق، ودرّعوا سُفنهم بالتروس المصنوعة من الجلد المدبوغ، وذلك بغية حماية جوانب السفينة والمدرّع الموجود في مُقدِّمة المركب من النيران اليونانية.[8]

إلى جانب ذلك، طوّر البنادقة المراكب الحربية، فأصبحت أكثر سرعة وقوة،وأكبر حجمًا، وهي التي أطلق عليها اسمغاتي " Gatti ". وقد بلغ عدد مُجاديفها مائتين و 20 قاذف للحجارة، كما أطلقوا على سفنهم عدة أسماء منها جرومبيانا و توريدا و بوشيوس[9]"Torida, Bucuis, Grombiana" . و أوردباك " Bec "،أن حجم تجارة

---

1 - Kamniski: Op.Cit., P. 482.

2 - Diehl:Op.Cit., PP. 20-30; Sestier :Op.Cit., P. 19.

3 - وهي بالأجنبية على التوالي: Galions et Caravelles

4 - Sestier :Op.Cit., P.19 .

5 - وهي بالأجنبيـــة Galères et Galées

6 - Sestier:Op.Cit., P.19; Diehl:Op.Cit., P.30.

7 - Christian Bec:Op.Cit., P. 38.

8 - هي سهام مُحرقة صنعها الصينيون، واستعملها الصليبيون في حروبهم، وتسمى بالأجنبية: " Grégeois "،ولتفاصيل أكثر أنظر الى: (قاموس داغر، ص. 626).

9 - Diehl: Op.Cit., P.30 ;ChristianBec:Op.Cit., P. 38.

البندقية عرفت زيادة نوعية، إذ كانت تتراوح بين 3000 و 5000 طن سنويا خلال القرن 13م، لترتفع هذه النسبة من 7500 إلى 10000 طن في القرن 14، ثمّ إلى أزّيد من 120000 طن سنويا في القرن 15م[1] .

الطرق التجارية:

أ- الخطوط البحرية:

مهر البنادقة في ركوب البحر، نظرًا لتميّز موقع مدينتهم الذي يتركز وسط البحر؛ على جانب امتلاكهم أسطولا بحريًا قويًا، الذي نتج عن تطور صناعة السفن والمراكب.

كما ساعدت حاجتهم إلى جلب العديد من المواد والبضائع من البلاد المُجاورة، على تشجيعهم لركوب البحر، والقيام برحلات بحرية. تلك التي يلتزم فيها البحارة بالمساحلة لخوفهم من الغرق أو الضياع، خاصة في حالة هبوب العواصف والرياح القوية أو الأمطار [2] .

وقد لجأ البنادقة إلى الإبحار في أساطيل مجتمعة مُرفقة بسفن حربية لحراستها، و الدفاع عنها لتفادي خطر القراصنة في المعابر المائية خاصة في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط [3] .

ويؤكد الباحثون في تاريخ الاقتصاد خلال العصور الوسطى، أنه لا توجد خطوط بحرية مُحدّدة، وثابتة، خاصة في حوض الأبيض المتوسط. والخط البحري الذي كان يسلكه أسطول البندقية مُتفرع إلى عدّة اتجاهات بحسب البلدان التي تمارس فيها التجارة. حيث تخرج السفن من المدينة باتجاه الغرب (أوروبا) وباتجاه الشرق (مصر، الشام، أناضول).

---

[1] -Ibid

[2] -سعيد عبد الفتاح عاشور :" أوروبا العصور الوسطى (النظام والحضارة)، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1959، ج 2، ص. 115.

[3] -عادل زيتون : " العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى "، دمشق، 1900، ص . 16;
عزيز عطية سوريال، " العلاقات بين الشرق والغرب ، ترجمة: فيليب صابر سيف، دار الثقافة، 1972، ص. 165

- الطريق إلى غرب أوروبا:

تخرج السفن من البندقية بمحاذاة الساحل وتدور نحو الأدرياتيك ومن هناك إلى جنوب إيطاليا، ثمَّ تعبر مضيق مسينا باتجاه نابلي، فمالطا، مرورًا بجنوب سردينيا لتصل إلى مضيق جبل طارق ثمّ تتوجه إلى لشبونة بالبرتغال، وإلى بوردو بفرنسا ثمّ تعبر مضيق دوفر لتصل إلى كاليه وبروج، فألمانيا في شمال أوروبا. أو هي تخرج من بروج إلى لندن والفلاندرز[2] .[1]

أما الطريق الجاري الذي يربط البندقية بالشرق، فينقسم إلى فرعين، باتجاه مصر والشام.

الخط البحري نحو مصر:

ينطلق الأسطول من البندقية بشمال بحر الأدرياتيك، ثم يُحاذي سواحل دالماشيا ويجتازراجوزا " Raguse "، فكورفو، ليدور في شبه جزيرة البلقان، ثمّ يرسو فيمودون و كورون " Modon " و " Coro "، أين يتجّه مباشرة إلى الإسكندرية[3].

باتجاه الشام :

وبعد وصول سفن البندقية إلى محطة مودون، تتوجه إلى جزيرة كريت، لتمر بقبرص، ورودس [4] ، ثمّ موانئ بيروت وطرابلس والشام وعكَا [5] .

كما يتفرّع من جزيرة " كريت "، طريق بحري آخر يتجّه إلى جزيرة خيوس Chios ومنه إلى القسطنطينية Constantinople ، وهناك تتفرّع عدة خطوط تجارية

---

[1] -نعيم زكي فهمي : " طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى)، الهيئة المصرية العامة، 1973 ص.178.

[2] - نفسه.

[3] -نور الدين حطوم :" **تا**ريخ العصر الوسط في أوروبة "، دار الفكر، ص. 880؛ عادل زيتون :المرجع السابق ,ص.226.

[4] -حاطوم : المرجع السابق، ص. 880.

[5] -نعيم زكي : المرجع السابق، ص. 178.

باتجاه طرابيزونTrebizonde ، فأضنةAdhana إلى البلغار Bulgarie ومنها إلى وسط آسيا، وأخرى إلى أدرنةAderna، و نوفيبازارNovibazar[1] .

الطريق إلى السواحل الإفريقية:

أما الإبحار إلى إفريقية فلم يكن على اتجاه واحد أو مباشر، بل من الإسكندرية، تخرج سفن البندقية، قاصدة طرابلس الغرب وتونس، لتعود إلى نقطة انطلاقها [2] .

ونظرا لتعدد المسالك البحرية في العصور الوسطى واتجاهات الملاحين العديدة، لم يتفق الدارسون علي تحديد طريق البندقية التجاري، فـديل " Diehl " مثلا، يذكر أن سفن البندقية كانت تسلك الطريق التجاري القديم الذي كان ينطلق من جنوب إيطاليا إلى جنوب فرنسا، ومنها تتجه إلى الفلاندرزوأنجلترا[3] .

ويذكر سعيد عبد الفتاح عاشور أنّ البندقية افتتحت طريقا ملاحيًّا جديدًا سنة 1317م، هذا الذي يتجه إلى أنجلتراوالفلاندرز[4] .

في حين يذكر " Diehl " أنّ هذا الطريق التجاري الجديد الذي تسلكه سفن البندقية، يجري ببحر الأدرياتيك، في شرايين نهر البو، بإتجاه بافيا، ثم جبال الألب إلى فرنسا، وبعبور البينيني تصل إلى الشاطئ، ومن جهة أخرى تمر عبرسبلوجن " Splugen " و برنين" Brenen " لتصل إلى مشارف ألمانيا [5] .

الطرق البرية:

تعددت الطرق البرّية والتي كانت أكثر عرضة للأخطار، وتهديدات قطاع الطرق، والعواصف. ومن بين هذه الطرق، تلك التي تربط وسط آسيا والهند بنهر الآتيل؛ حيث تلتقّي القوافل الوافدة من الصين، ثمَّ تتوجه إلى بخارى، وفي هذه النقطة ينقسم الطريق إلى فرعين:

---

[1] -أنظر إلى الخريطةرقم (01)، ص. 209.
[2] -نفسه، ص. 179.
[3] -Diehl: Op.Cit., P. 21.
[4] -سعيد عبد الفتاح عاشور :المرجع السابق، ص.199.
[5] - Op.Cit., P. 21; حاطوم : المرجع السابق، ص. 880.

الفرع الأول: يسير باتجاه بحر قزوين، فنهر الفلجا ثمّ إلى بلاد البلغار.

الفرع الثاني: يتجه إلى البحر الأوسط، ومنه الى القسطنطينية وأوروبا.في حين، يبدأ بالاتجاه المعاكس من راجوزا أو من سبلاتو " Spalato " باتجاهبليفج (Plevlje)، أين تلتقي القوافل وتتوحد لتصل إلى مدينة " Prepolje" على نهر " Lim " ، ثم تتجه نحو مدينة نوفيبازار؛ وهي محطة تجارية امتلك بها البنادقة فنادق ودكاكين وتواصل القوافل سيرها إلى مدينة نيش " Nich "، التي تؤدي إلى بلغراد، أكبر مركز تجاري تملكه البندقية، لتختتم دورتها هذه بالعودة إلى القسطنطينية [1] .

الرحلات التجارية:

حددت حكومة البندقية عدد الرحلات البحرية التجارية، باثنتين في السنة، وضبطت تواريخها، وذلك بأن تكون العودة في شهر سبتمبر للأولى و 25 من ديسمبر بالنسبة للثانية، وهذا يُصادف فترة الاحتفالات الدينية وأعياد الميلاد والمعارض التجارية [2].

وتجدر الإشارة على أنّ حكام المدينة كانوا يسهرون بأنفسهم على مراقبة سلامة السفن،وقدرتها،وصلابتها. ويُحددّون نسبة حمولتها، إلى جانب السهر على تهيئة المعدات العسكرية ولوازم الرحلة التجارية. كما يتم تعيين قائد الرحلة، من قبل حاكم المدينة وممثل للدولة، وذلك لمنع تمردات التجار والحدّ من نفوذهم [3] .

ولم تكن البندقية تنتظر وصول السلع والبضائع الأجنبية إلى موانئها، بل سعت جاهدة للوصول إليها، كي تضمن الربح الوفير، ولتحصل على كل ما تحتاجه من السلع والبضائع بأسعار مُغرية [4] .

وعلى هذا الأساس، اختلفت. اتجاهات الملاحين البنادقة، وذلك حسب البلدان التي كانت تسمح بممارسة التجارة معها. ونظرًا لموقعها الجغرافي المتميِّز، فهي تتوسط الشرق

[1] -نعيم زكي : المرجع السابق، ص ص.185-186.
[2] -Bec: Op.Cit., P .38; Diehl:Op.Cit., P.31.
[3] -Bec: Op.Cit., PP. 37-38.
[4] -Ibid,

و الغرب، عمدت إلى القيام بدور الوسيط التجاري بين المنطقتين، وجهزت ستَّ' أساطيل ذات اتجاهات مختلفة.

حيث يتوجه الأول إلى البحر الأسود، لنقل السلع من روسيا وآسيا الوسطى. والثاني يتجه إلى القسطنطينية وموانئ رومانيا واليونان. ويُبحر الثالث إلى الشام وآسيا الصغرى. ويرسو الأسطول الرابع في موانئ مصر. بينما تستقبل موانئ إفريقية وإسبانيا الأسطول الخامس، أما الجزر البريطانية والفلاندرز وجبل طارق فكانت وجهة الأسطول السادس والأخير [1].

وقد ذكر " Diehl "، المحطات التجارية، والأسواق المُوزعة عبر العالم آنذاك، التي كان ينزل فيها تجار البندقية، وكان سوق " Rialto " مركزًا تجاريًا ضخمًا، تتمُّ فيه المبادلات التجارية، إلى جانب أسواق إيطاليا الجنوبية، وألمانيا [2].

وكان أسطول المدينة يصل إلى غاية بيلوبونيز (Péloponése) ومودن (Modon)، وكورانت (Corinthe). كما كانت أسواق نيقروبونت (Negropont) وأندروس (Andros) مفتوحة لها، وكانت سفنها ترسو بجزر شيوس (Chios) وليمنوس (Lemnos) إلى غاية ألميروس (Almyros) على خليج (Volo)، بجانب سالونيك (Thessalonique)* في مقدونيا.

إلى جانب ذلك، كانت سفن البندقية تصل إلى أبيدوس (Abidos) في الدردانيل وإلى رودوستو (Rodosto) في بحر مرمرة، ومن هناك، تتجه الأساطيل البندقية إلى القسطنطينية ومن ثمَّ إلى سواحل البحر الأسود ومنها إلى جزيرة (Crimeé) في حدود

1- Molementi :Op.Cit., P . 99 ; Auguste Bailly : La Sérénissime République de Venise, A ,thème,Eayand, Paris, France, 1946, P. 29.

2- Diehl : Op.Cit., P. 35.

*- ميناء بقع في شمال اليونان وبعد الحملة الصليبية الرابعة أصبحت مملكة سالونيك لاتينية تضم تساليا و مقدونيا انظر: Gd Larousse , t.14 ,p. 101185.

آضنة ببحرأزوف (Azov)، أين تحصل على قمح روسيا الجنوبية، وتوابل الهند في آسيا الوسطى[1] .

التبادل التجاري:

التجارة في البندقية:

يُعد الملح والأسماك من المنتوجات المحليةالأساسيةلاقتصاد البندقية، وبهما استهلت حركتها التجارية، لكن هذا لا يعني عدم توفر مواد أخرى تشتهر بها هذه الجمهورية. فقد توفرت على بعض الصناعاتالمربحة كصناعة الزجاج، والمجوهرات، وأنواع كثيرة من الجلود. وكانت تصدر ما تنتجه من هذه المواد إلى جانب السكر الذي يأتيها من كونديا (Candie)، و جزيرة قبرص (Chypre)، والقمح، والخمور، والصوف، الذي تقتنيها من محطاتها التجارية المنشرة في الشرق البيزنطي، خاصة بعد سقوط القسطنطينية سنة 1204م بيّد الصليبيين [2] .ومع ذلك يبقى الملح والأسماك من أهم منتوجاتها المصدرة، باعتبارها أهم موارد الجمهورية.

أما بالنسبة لوارداتها، فقد شملت ما يصعب عليها زراعته أو صناعته أو غرسه كالقمحن وتوابل الهند، والخشب ، ومواد البناء، بالإضافة إلى القير، والقنب الهندي.

وينبغي الإشارة إلى أنّ، التجارة كانت تجري في موانئ البندقية على القناة الكبرى. لذلك فرضت المدينة ضريبة على السفن الأجنبية، التي ترسو موانئها ؛بعد أن جعلت ذلك شرطًا ضروريًا للتبادل التجاري، وهذا من أجل دفع الرسوم الجمركية لتأشيرة الدخول، والخروج، وزيادة الأرباح[3] .

1- Diehl:Op.Cit., PP.35-36;Feddy: Op.Cit., P. 26.
2- Feddy: Op.Cit., P. 26 ;Bec: Op.Cit., PP.37-38.
3- Bec : Idem.

التجارة الإقليمية:

التجارة مع الغرب:

اعتبر المؤرخون، البندقيةبمثابة وسيط إقتصادي بين الشرق البيزنطي والغرب الأوروبي، اذ كانت تربط ببينهما، لإيصال البضائع من الغرب إلى الشرق وبالاتجاه المعاكس،ولذلك كان غرب أوروبا يصدر بواسطتها الأخشاب، والحديد، والصوف، وشراشف الصوف، والحرير، والذهب، والأقمشة، والكتَّان.

ومن جهة أخرى، تستورد بأسطولها التجاري، التوابل التي تأتي من آسيا والعطور، والعبيد، والحرير، إلى جانب القطن، والملونات، والشَّب [1]، هذا، وتجدر الإشارة إلى أن البندقية، كانت تموِّن الغرب بالملح، والزجاج، والجلود، الذي جعل من المدينة في نظر المؤرخين، أحد أكبر مراكز تبادل التجاري والموضة [2].

التجارة مع السلاف:

كانت البندقية تمارس التجارة مع السلاف، الذين يصدرون إلى أسواقها: الأخشاب ، والعسل، والجلود، والقُنَّب، والشمع. وتبيع لهم البندقية بالمقابل الملح، والزجاج، والقمح، والسَّكَر [3].

التجارة الخارجية:

التجارة مع بيزنطة:

كانت البندقية على علاقة وطيدة مع القسطنطينية في المجال الاقتصادي، وبخاصة التجارة منه، لذلك، تعتبر أسواق إيطاليا، وروما، وإيطاليا الجنوبية، وعلى رأسها البندقية، مراكز للمنتجات الشرقية تقام بها معارض تجارية مغرية.

1- Bec: Op.Cit., P. 37; Feddy: Op.Cit., P.26 ; Diehl: Op.Cit., P.21.

2- Bec: Op.Cit., P.38.

3- Ibid., P.37.

على أن البندقية تصدِّرالى بيزنطة كل ما تنتجه محليا أو ما تشتريه في أوروبا الغربية وتتمثل صادراتها إلى الشرق البيزنطي في القمح، والخمور، وأخشاب دالماشيا، والملح، والعبيد [1].

وتستورد من أسواقها، كل ما تحتاجه أسواقها والأسواق الأوروبية من التوابل الآسيوية والمنسوجات، والأقمشة الأرجوانية، والزرابي، والعطور، والسكر، والأحجار الكريمة [2].

التجارة مع العالم الإسلامي:

لم يمنع البندقية المعتقد الديني من ممارسة التجارة مع المسلمين، فهي تهتم فقط بالمعاملات التجارية، وجمع الأرباح، فكانت تحصل على توابل الهند، وآسيا، والحرير الصيني من بلاد المسلمين، كما كانت تتزود بالسكر والكتان والقطن والعطور منها [3].

الأسطول الحربي:

تشيد المصادر التاريخية، بقوة البندقية البحرية والتطور الذي عرفته دار صناعة العتاد البحري، سواء منه التجاري أو الحربي.

حيث رافق الأسطول الحربي توأمه التجاري في رحلات البنادقة البحرية، لضمان الأمن والهدوء وسلامة إرساء السفن في الموانئ الأجنبية العديدة بل حتى في الإقليم الأوروبي، ضد قراصنة حوض البحر الأبيض المتوسط.

لذلك عملت البندقية أولا وقبل كل شيء، وبالاعتماد على سفنها، على تطهير سواحل الأدرياتيك من خطر القراصنة الذي يُعرقل حركة المدينة التجارية [4].

وسخرت حكومة البندقية، كل الإمكانيات الممكنة، لبناء السفن وتطوير العتاد الحربي البحري، بإيجاد تقنيات جديدة لتسليح المراكب، وصنع المدافع، وتقوية الأشرعة،

1- Louis Bréhier :La civilisation Byzantine, Le Monde Byzantine, Albiol Michel, Paris, 1950, P .206.

2- Ibid.; Diehl: Op.Cit., P. 21, Bec:Op.Cit., P.37.

3- Louis Bréhier :Op.Cit., P. 206 ;Bec :Op.Cit., P. 37.

4- Daru : Op.Cit., P . 177.

جورج لوفران :" تاريخ التجارة منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث "، ترجمة: هاشم الحسيني، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص. 44.

والمجاذيفإلى أن باتت تمتلك في سنة 1202 م، 110 قطعة حربية كبيرة و 60 مركبًا للنقل ونفس العدد بالنسبة للسفن الطويلة [1].ويتحدث المؤرخون عن إحصائيات أخرى، توحي بقوة البحرية وتطور صناعتها للسفن الحربية، إذ بلغ عددها 230 مركبًا، و 50 سفينة حربية مُجهزة أحسن تجهيز، لهذا بلغ عدد قطع أسطول البندقية الحربي 280 قطعة[2].

واستخدمت المدينة أسطولها القوي، في مواجهة أعدائها الإقليميين كالسلاف، الذين استولوا على ايستريا (Istrie) وكراوتيا (Croatie) ، التي يعتبرها المؤرخون من أهم المراكز التجارية للبندقية. لذلك سعت لصدِّ هذا التهديد، بعد أن توقفت عن دفع الضرائب لهم منذ سنة 1000م، ونجحت باسترجاع مراكزها التجارية [3] ، وإخضاع أهم جزر الأدرياتيك مثل: Eurzola، Spalato، Arbe، Veglia، Zara، *Raguse، Logosta[4]

ونتيجة تطور البحرية البندقية، استغاثت بها بيزنطة لنجدتها من خطر النورمان هذا الخطر الذي يُهدد الكيان التجاري للمدينة ويحدُ من توسعاتها وتبادلاتها التجارية ولهذا وافقت على منحها المساعدة. وتشير بعض الدراسات التاريخية، إلى أن البنادقة استخدموا السهام المُشتعلة، ووسائل أخرى تدل على مدى تجهيزْ الأسطول الحربي [5] .

وقد استفادت البندقية من الحروب الصليبية فقامت بكراء سفنها وتسخير أساطيلها سواء منها التجارية أو العسكرية، لنقل الإمدادات من مؤن وذخيرة باتجاه المشرق [6] (فلسطين وبلاد الشام).

وبفضل هذه الإمدادات، نجح البنادقة بالبقاء في تلك البلاد، وحصلوا على امتيازات ممارسة التجارة في الموانئ التي احتلها الصليبيون في الشام وفلسطين.

---

1 - Vicenzio, Formaleoni : Essai sur la marine Ancienne des Vénitiens, Trad. Le chevalier D'hennin, Venise, 1788, PP.29-30.

2 - Vicenzio, Formleoni: Op.Cit., P.30.

3 - Freddy: Op.Cit., P .14; Diehl:Op.Cit., P .25.

*-راجوز Raguse: وتسمى قديما ابيدوروسEpidaurus وهي تقع في دالماسيا على الساحل الشرقيللادرياتيك ، انظر: JaquesGaffot : La Discours du voyage de Venise a Constantinople contenant la querélle du grand Seigneur contre le Sophi, Palais du Paris , France, 1550, p.6.

4 - Diehl : Ibid.

5 - Pierre, Daru : Op.Cit., T. 3, PP .184-185.

6 - Daru : Op.Cit., T. 3, P .180 ; Diehl: Op.Cit., P .33.

ولعلّ أحسن ما يدل على قوة الأسطول العسكري، وتجهيزاته التي بلغت 230 قطعة حربية بحرية [1]، استطاعت بها اقتياد الصليبيين إلى قلب الإمبراطورية البيزنطية ودخول عاصمتها، لتكون فيها السيّدة، سنة 1204 م [2] .ويتجلى بوضوح، مدى تأثير الملاحة البندقية على عالم العصور الوسطى، بحيث أنها سجلت اسمها على سجِّل المجد والقوة.

وباجتماع هذه العوامل، تمكنت البندقية من تقوية كيانها الناشئ وتثبيت وجودها،وقد ساعدتها الطبيعة والموقع المتميزان على المثابرة والاصرار على الفوز هذا على الرغم من الصعوبات الجمة، كما ساهم العامل السياسي والاداري على توطيد دعائم المدينة. هذا الى جانب، ما تحلى به البنادقة منشجاعة لا تلين وروح تحد منقطعة النظير ومن ايمان راسخبضرورة النجاح اعتمادا على البحر وقوة أسطولهم ، اللذين يعتبران مصدر فخر واعتزاز لهم.

1 - Vicenzio, Formaleoni: Op.Cit., PP.29-30

2 - Diehl: Op.Cit., P .33.

الفصل الثاني

التحالف البندقي البيزنطي ونتائجه

I– التحالف البندقي البيزنطي:

1) **عوامل التقارب بين البندقية وبيزنطة:**

- موقع المدينة الجغرافي.

- أسباب التحالف بين البندقية و بيزنطة.

2) العدو المشترك:

أ- خطر النورمان على بيزنطة.

ب- خطر النورمان على البندقية.

ج- أهداف النورمان إتجاه بيزنطة.

د- مشروع روبرت الانتقامي

3) التحالف العسكري بين بيزنطة والبندقية ضد النورمان:

II– الصراع مع النورمان:

1) **التحالف العسكري.**

أ- المرحلة I.

ب– المرحلة II .

2) **الصعوبات التي صادفت الطرفلن.**

أ- النورمان.

ب- البنادقة.

3) الصراع بعد جويسكارد.

III– نتائج الصـراع:

1) **الإمتيازات:**

أ- في عهد بازيل الثاني

ب- في عهد الكسيس كومنين.

2) سوء العلاقات بين الطرفين

I– تحالف البندقية مع بيزنطة:

تظافرت مجموعة من العوامل يسرت التقارب بين البندقية وبيزنطة، منها الطبيعية كالموقع الجغرافي والخطر الخارجي وكذا المصالح التجارية للطرفين.

1- الموقع الجغرافي للبندقية :

إن موقع البندقية الجغرافي أكسبها مكانة خاصة في أوروبا، إذ يشيد كثير من المؤرخين والدارسين بموقع المدينة البحري، فميناؤها شُيّد على رأس بحرالأدرياتيك، هذا البحر الذي يتوسط قارة اوربا ويربط بين شقيها البارزين [1] .

لقد أهّلها هذا الموقع، لتكون مدينة بحرية وتجارية بامتياز، حيث استطاعت أن تقوم بدور الوسيط في مجال النقل والتجارة، بين الغرب اللاتيني والشرق البيزنطي [2] وتكوِّن حلقة وصل بين المنطقتين [3] .

ومن ذلك قدر للبندقية أن تتحول الى قوة بحرية تجارية تطوّرت إلى قوة عسكرية ضاربة في عالم العصور الوسطى مكنها ذلك من ترك سجل حافل بالمجد والشهرة.

2- أسباب التحالف بين البندقية وبيزنطة:

وفي نفس الوقت، جلب إليها هذا الموقع المنفرد أطماعًا خارجية، ومخاطر شديدة كادت أن تهز أركانها، لولا المساعدات التي أمدتها بها الإمبراطورية البيزنطية.

---

[1] - عادل زيتون، " العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني.في العصور الوسطى "، دار دمشق، 1980، ص: 113 ; انظر أيضا الى : Henri, Pirenne Op.Cit., P . 9 .

[2] -Freddy : Op.Cit., pp.12,18.

[3] - عادل زيتون: المرجع السابق، ص.113 ; Ibid.

حيث دخلت منطقة فينسيا في ظلِّ الحكم البيزنطي خلال الحملة العسكرية التي قادها القائد بليسار " 500-565م" Bélisaire، في ظل حركة الاسترداد التي وقعت في عهد الإمبراطور جستنيان Justinien سنة 553م.

وعلى الرغم من بُعد مركز حكم السلطة البيزنطية وضعفها، إلاّ أن أهالي تلك المناطق قبلوا الخضوع للبيزنطيين، تفاديًا لهجمات الأعداء المحيطين بهم وأولهم اللامبارديون[1] .الذين اجتاحوا منطقة فينسيا سنة 740م، فتلقى الفينيت" Vénètes" أول مساعدة من الإمبراطورية البيزنطية، بعد أن ضمت المنطقة إلى مقاطعاتها. وقد استفاد أهالي فينسيا من الحماية والأمن والإستقرار السياسي، فكان وضعهم هذا أفضل في نظرهم من الخضوع للاحتلال اللامباردي[2] .

ويُبرر بعض المؤرخين، قبول السكان بالحماية البيزنطية، بأنها كانت شكلية إذ يطغى عليها الطابع المصلحي، لأنَّ كلَّ طرف يكون قد حقق مصلحته التي تتمثل بالنسبة لهما معًا، في مواجهة العدو المشترك من الفرنجة والنورمان؛ وفي ضمان حرية التجارة وما ينجر عنها من تبادلات تجارية مربحة للطرفين.

وتستمر العلاقات بين بيزنطة والبندقية، خلال قيام سيادة الأسرة الكارولنجية على جنوب إيطاليا منذ القرن الثامن ميلادي. حيث أمر الفرنجة الامبراطور شارلمانCharlemagneابنه بيبين القصير " Pépin 714-768م " بغزو منطقة فينسيا، لإدخالها في ظل الحكم الفرنجي بين (803م-810م).

وأمام هذا الخطر الفرنجي الذي بات يهدد فينسيا، والإمبراطورية البيزنطية معا؛ فأصبح من الضروري على بيزنطة التدخل لمساعدة البندقية لصدِّ هذا الخطر. وكانت النتيجة لجوء الطرفين الى عقد تحالف بينهما[3] .

1- Jean Marabini : Op.Cit., P. 13.
2- Freddy: Op.Cit., P .11-12.
3- Ibid.

وقد توِّج هذا التحالف، بإبرام معاهدة بين بيزنطة وإمبراطور الغرب شارلمان "748-814م" عام 812م تقتضي بتبعية البندقية إلى الشرق البيزنطي، وبمقتضى هذا المرسوم الإمبراطوري، أضحت المدينة بيزنطية، مُستقلة عن الغرب وتخضع لحماية بيزنطة[1].

واستفادت المدينة من هذه الحماية لأنها سمحت لأسطولها في بداية القرن الثامن الميلادي، بتطهير سواحل الأدرياتيك من القراصنة السلاف [2]. وذلك بملاحقتهم وإبعادهم عن المنطقة، هذا الخطر الذي كان يعرقل حركة الملاحة في الأدرياتيك فتطورت بذلك المصالح الاقتصادية للبندقية و بيزنطة معًا.

وهكذا تمتعت البندقية بحرّية ممارسة النشاط التجاري في سواحل الأدرياتيك وأمنَّت وجودها وضمنت استمراريتها [3] .

كما حققَّت البندقية بفضل تبعيتها للإمبراطورية البيزنطية بعض المكاسب الأخرى شملت عدّة جوانب، السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

أما السياسية، فتتمثل في استقلالها الداخلي، لأنَّ خضوعها لبيزنطة لم يكن مباشرًا اذ اكتفت هذه الأخيرة بتعيين مندوب لها في المدينة. لكن لم يلبث أن أصبح تعيينه يتم محليًا، مع إعلان الوفاء والولاء لبيزنطة.فضمنت بذلك الحرّية السياسية والإدارية في تسيير شؤونها فاستحقت بذلك تبوأ الريادة عن باقي مدن غرب أوروبا [4].

وقد اتسمت سياسية مدينة البندقية بالحكمة والاتزان، وقوة وصلابة شخصية الدوق هذه الميزات التي اكتسبتها من طبيعة نظامها الداخلي في الحكم. بالإضافة إلى المسافة التي

[1] - أنظر إلى تفاصيل حملة " Pépin " والمواجهة مع البنادقة في الفصل السابق من هذا الموضوع، في الصفحة رقم (26).
2 - Diehl: Op.Cit., P .19.
[3] - Ibid. ;Freddy: Op.Cit., P . 12.
[4] - Pirenne: Op.Cit., P.76.

تفصل بين المدينة وبيزنطة، مما منح لحاكمها حرية في التصرف، ومع ذلك فقد طغى عليها الطابع البيزنطي الهليني [1].

ويتجلى هذا الطابع بوضوح من خلال نظام حكمها، وسلطتها، وقد شكل الإمبراطور البيزنطي قدوة لأدواق البندقية، خاصة فيما يتعلق بالأمور السياسية والإدارية، وليس هذا فحسب إنما حاكوا الإمبراطور حتى فيما كان يرتديه من اللباس والعباءات الأرجوانية.

وبهدف زيادة أواصر الترابط وتقوية التحالف الذي جمع البندقية بالامبراطورية البيزنطية، عمدوا إلى تطبيق مبدأ الزواج السياسي [2] بين البلاطين. وبالتالي تدعم هذا الترابط بينهما وامتزجت العادات والتقاليد والأعراف. فقد كانت البندقية كما يصفها المؤرخ بيرين" Pirenne " بيزنطية العادات والتنظيمات في مجالات السياسة والإدارة والاجتماع[3]. وبحكم هذه الروابط ، اكتسبت البندقية مكانة مرموقة ومميَّزة [4] بين دول غرب أوروبا.

التجـارة:

ومنذ وقت مُبكر، استمدت البندقية، أغلب تنظيماتها التجارية من تلك التي كانت سائدة في بيزنطة. كما ربطت المنطقتان علاقات تجارية قوية [5] وتكاملية، فالأولى تستغل أسواق الشرق وموانئه والحرية الإقتصادية التي تتمتع بها، والثانية، تستفيد منها في بيع سلعها والترويج لها في أسواق الغرب. وهذا التبادل التجاري، هو الذي ضمن للبندقية القوة والثروات والنفوذ التجاري [6].

1- Ibid. ; Diehl: Op.Cit., p.11.
2- Anne,Comnéne: Alexiad(Régne du l'EmpreurAléxis Comnéne1081-1118), trad: Bernard Leib, Belles Lettres,Paris, France, 1937 , T.1, p.54 ; Diehl: Op.Cit., P. 14.
3- Pirenne :Op.Cit., P. 100.
4- Ibid., P.76.
5- Ibid., P .100.
6- Freddy :Op.Cit., P.18 ; Pirenne: Op.Cit., P.76.

وعلى هذا الأساس، عرفت مدينة البندقية انتعاشا ملحوظًا خلال القرنين 12 و 13م. وذلك بفضل ازدهارالمدينة وقوة تجارتها، التي سمحتا لها بتوسيع نفوذها والحصول على الفوائد من خلال تحالفها مع التاج البيزنطي [1].

واستفادت بيزنطة من جهتها من اقرار نفوذها على البندقية، ولم تتردد في استغلال البحرية التي تنعم بها المدينة، و كذا مهارة سكانها في ممارسة الملاحة و معرفتهم بفنون الإبحار ودرايتهم الواسعة بالمسالك البحرية المعقدة.

وذلك ما حدث عندما قامت البندقية بتطهير سواحل الأدرياتيك من القراصنة السلاف، وعند مواجهة خطر الفرنجة بقيادة الملك " Pépin " في غزوهم للمنطقة. ولم تكن مساعداتهم للبنادقة، تخلو من الفوائد، بل على العكس، فالمصلحة هي التي اضطرتها الى ذلك، لأنَّ كل ما يمُّس أمن مقاطعاتها بغرب اوروبا يمسَّ بالضرورة أمنها وتوسعها. ولم تبخل البندقية بمساعدة حليفتها، وتقدم يدِّ العون لها حين تحتاج إلى ذلك أو حين ترى ضرورة التدخل للدفاع عن مصالحها.

فعندما أزعج بيزنطة وجود العرب المسلمين في جنوب إيطاليا، واستيلائهم على عدة مناطق، على رأسها " صقلية " [2].شاركت البندقية بأسطولها إلى جانب بيزنطة في حملة موَّحدة سنة 829 م لاسترجاع الجزيرة. وبعد نجاحها في هذا المسعى، تحالفتا مرّة أخرى، لمواجهة الصرب في مدينة تارنت Tarente سنة 870 م بجنوب ايطاليا.

وكانت البندقية، على درجة عالية من الحنكة السياسية، لأنّها في الحقيقة ساعدت بيزنطة في التصدي للصرب من أجل هدف واحد، وهو ضرورة تأمين الأدرياتيك وذلك من أجل ضمان الحرية التجارية و دوام مواصلاتها مع القسطنطينية [3] .

---

1 - Diehl :Op.Cit., P . 19.-

2 - Freddy: Op.Cit., P .14 -

3 - Ibid. -

إلى جانب ذلك، فقد قامت بكراء سفنها سنة 1002م للبيزنطيين، بغية عبور نهر " إبير " Epire[♦] باتجاه إيطاليا [1]، وذلك من أجل إنقاذ مدينة باري " Bari "، التي تعتبر عاصمة الأقاليم البيزنطية في جنوب إيطاليا [2].

ولم تكن عملية ترخيص وكراء أسطول البندقية، ومساعداتها المتواصلة، بالأمر الهيِّن، فعلى الرغم من تكلفتها الباهظة [3]، إلاّ أنها قبلت بذلك من أجل مصالحها التجارية العليا.

وقد برزت المصلحة المشتركة والمساعدة المتبادلة بين البندقية و بيزنطة، خلال هجمات النورمان عبر حملات القائد النورماندي جويسكارد المتكررة على الإمبراطورية[4]. وأمام هذا الغزو أثبتت البندقية ولاءها لحليفتها، وقدمت لها مساعدات كبيرة، من أجل مواجهة تهديد النورمان عليها؛ وعليه فانها لم تبخلها بما أوتيت بيزنطة من ثروات طائلة[5].

– العدو المشترك:

1- خطر النورمان:

نظرًا لشساعة أراضي الإمبراطورية البيزنطية، فان هذه الأخيرة ما تكاد تتخلّص من عدو حتى يظهر لها خطر أكبر من ه، يهدّد أمنها واستقرارها. وقد تجلى هذا التهديد الماحق عند تعرض جنوب ايطاليا للخطر النورماندي [♦] والذي لم يلبث أن انعكس سلبا على مصالح حليفتها، البندقية.

---

[*] -- Epireابيريا : تقع في شبه جزيرة البلقان وقد دانت هذه المنطقة الى الحكم البيزنطي ، وأسسها ميشال أنج مع أتوليا و أكارنانيا في القرن 13م وشكلت بودستا Podestat يحكمها آل كومنين ، انظر: Larousse Universel, T.6, p.3826.

[1] - Ibid., P. 17.

[2] - Diehl: Op.Cit., P .19.

[3] - Diehl: Op.Cit., P. 15.

[4] - أنظر تفاصيل هذه النقطة في الفصل الثاني. من هذا المبحث.

[5] - أنظر تفاصيل هذه النقطة في المبحث الثاني من هذا الفصل.

[♦] - **النورمان:**Normands أو North Man: ومعناها رجل الشمال . ويطلق عليهم أيضا **الفيكنغ**Vikings سكان الخلجان . وهم سكان منطقة شبه جزيرة اسكندناوة بشمال أوروبا. وينقسم النورمان الى ثلاثة فروع بشرية وهي: الفرع الدانمركي Danois، و السويدي Suédois و النورويجي.Norvégiens. ولمزيد من التفاصيل أنظر: رشيد تومي: المرجع السابق، ص26، هامش رقم: 1

أ - خطر النورمان على بيزنطة:

يرجع أول ظهور للنورمان في جنوب ايطاليا، الى مطلع القرن 11م**. حيث وصل الى جنوب ايطاليا وفد من الحجيج النورمان، كان عائدا من بيت المقدس. وقد اختلفت الروايات التاريخية حول سبب وفود هذه الجماعات الى جنوب إيطاليا[1]؛ أكانت مدينة **سالونيك** محطة استراحة للحجاج بعد طريق طويل من فلسطين، أم كانوا قاصدين حج بعض الأماكن المقدسة لدى المسيحيين بجبل **جرجانو**Gargano على الساحل الشرقي لجنوب ايطاليا؟.

لذلك أورد الباحث رشيد تومي من خلال دراسته لهذه النقطة، عدة روايات تخص الحدث، وأكد على أن الثابت فيها هو أن الوفود النورماندية الأولى هي التي قصدت جنوب ايطاليا[2]. وفي كنف زيارتهم تلك، التقى النورمان بشخصية ثائرة؛ كان لها الدور البارز في تفعيل الأحداث والتسريع في بعث الكيان النورماندي بالمنطقة وهو ميلو Melo أو ميلاس Meles[3].وقد كان هذا الثائر أحد أبرز أغنياء مدينة باري. وعرف هذا الأخير بعدائه الشديد ضد البيزنطيين وحكمهم في جنوب ايطاليا؛ لذلك أعلن تمرده عليهم فتزعم ضدهم ثورات عديدة، وعلى الرغم من فشلها في سنة 1009م[4]، الا أنه اعاد الكرة على البيزنطيين في عام1017م. واستطاع بعض النجاح ولو لفترة وجيزة بمساعدة النورمان[5].

**تذكر المصادر أن أول ظهورللنورمان كان في شمال غرب فرنسا ، وذلك في اطار غزوهم الكاسح على أوروبا وعلى اثره منح لهم ملك فرنسا شارل البسيط سنة 911م ، اقليما في غرب حمل اسمهم "نورماندیا" وانصهروا هناك مع الفرنسيين.. ولمزيد من التفاصيل أنظر الى :رشيد تومي:المرجع السابق، ص ص.26،27 هامش رقم 1.

[1]– نفسه، ص31 وما بعدها؛ انظر التفاصيل حول ظهور النورمان في جنوب ايطاليا في الملحق رقم: 01 ، ص. 194.

[2]المرجع السابق ،ص .33.

[3]عادل زيتون: علاقات كنسية، ص 129؛ رشيد تومي: نفسه، ص 31، وأورد تفاصيل أكثر عن ثورات هـ ذا الرجل في الهامش رقم واحد من نفس الصفحة.

[4]نفسه.

[5]عادل زيتون: نفسه، ص 129.

وهنا اختلفت المصادر التاريخية عن التواصل الذي وقع بين ميلاس والنورمان*. ولعل الاختلاف الجوهري الذي يبرز بين الروايتين الشهيرتين الاولى في حولية دير مونت كاسينو، والثانية رواية المؤرخ وليام الأبولي . أن الرواية الأولى مفادها أن النورمان بذلوا المساعدة لأهل مدينة سالرنو لمواجهة حصار المسلمين عليها سنة 1017م. وبعد الذي أظهروه من القوة و الاقدام، كافأهم أمير المدينة بأن أسدى لهم هدايا نفيسة حتى يغرى شباب نورمانديا ويحثهم بذلك على الهجرة الى أرضه[1]. بينما تفيد الرواية الثانية، بأن الحجاج النورمان التقوا بميلاس في جبل جرجانو أين طلب منهم المساعدة للمحاربة النفوذ البيزنطي في أبوليا. وتجدر الاشارة الى أن هذه المساعدة لم تكن ضد المسلمين انما البيزنطيين.

ومهما يكن من أمر، فان النورمان ساعدوا الثائر على الرغم من اختلاف الروايات، ونفذوا الوعد الذي قطعوه له بتقديم يد العون لكن بعد عودتهم من نورمانديا. لذلك ظهرت العناصر الأولى منهم بداية من ربيع1017م[2].

وعلى الرغم من فشل ثورات القائد ميلو أو ميلاس، التي سارعت بيزنطة في اخمادها سنة1018م. الا أن النورمان لم يغادروا جنوب ايطاليا، بل سعوا الى الاستيطان بها والتمتع بخيرات أراضيها؛ ولم يلبث قائدهم **راينولف Rainolf** أن نال حصن أفرسا* **Aversa** من الدوق سرجيو حاكم نابلي ، وتعززت علاقاتهما وكللت بالزواج بين راينولف وأخت الدوق.

وقد نجح النورمان في تثبيت وجودهم في جنوب ايطاليا ، نظرا للسياسة التي انتهجوها اذ عمدوا الى اتباع أساليب المرواغات والمكر وخدمة الأطراف الم حلية المتناحرة وفق منفعتهم

---

*وأورد كل من عادل زيتون و الباحث رشيد تومي تفاصيل أكثرعن هذه الروايات وعن اتصال النورمان بميلاس في نفس الصفحات.

[1]رشيد تومي: المرجع السابق، ص ص. 31-32.

[2]نفسه، ص 33؛ انظر تفاصيل وصول الوفود النورماندية الأولى الى جنوب ايطاليا و المعارك التي جمعتهم بالبيزنطيين في نفس الصفحات.

*أفرسا : حصن يقع بين كابوا ونابل وقد تحصل عليه راينولف مقابل خدمات قدمها للدوق سيرجو حاكم نابل أنظر: نفسه، ص 34.

فحسب[1]. وقد شجعهم على ذلك الظروف التي يتخبط فيها جنوب ايطاليا، لكونها مسرحا للاضطرابات والصراعات بين القوى الكبرى كالامبراطورية الجرمانية و البابوية، والبيزنطيين، فضلا عم الهجمات المتعددة للمسلمين على أراضي هذه المنطقة. وبهذه الاختلافات برز الانقسام المذهبي بين الكاثوليك و الأرثوذكس [2]. وبعد أن ثبت النورمان تواجدهم في جنوب ايطاليا، ازدادت وتيرة الهجرة النورماندية الى المنطقة ، وكان أبرز العناصر التي شاركت في الحركة، أبناء عائلة **هوتفيل** الذين اشتهروا بالقوة والمهارة الحربية وقد سطع من بينهم على وجه الخصوص : وليام ذو الذراع الحديدية و روبرت *جويسكارد و روجر[3].

لذلك تزايد تواجد النورمان في جنوب ايطاليا ، خاصة بعد أن تمكنت الجماعات الأولى الأتية من نورمانديا ، الاستحواذ على أملاك بيزنطة بتلك المنطقة ، وطرد البيزنطيين منها بعد أن استولى النورمان على مدينة "باري" Bari في جنوب ايطاليا في سنة 1071م على يد القائد الطموح " روبرت جويسكارد Robert Guiscard وقد استقروا في شبه الجزيرة الايطالية "[(4)].

هذه السيطرة النورماندية على ممتلكات بيزنطة في جنوب إيطاليا، كان لها بالغ الأثر على استقرار الإمبراطورية، لأنها تشكّل تهديدا مصيريا على أمنها، فباستيلاءالنورمان على عاصمة البيزنطيين (♦) [(5)] في تلك المنطقة، باتت السيطرة على الأدرياتيك وجزر البلقان أمرا هيّنًا [(6)] .لأن فتح أبوليا " La Pouille" مهدّ الطريق لعبور " Epire " [(7)]، وهذا يمثل

---

[1] عادل زيتون: المرجع السابق، ص 130.

[2] نفسه، ص ص 128-130.

[3] رشيد تومي : المرجع السابق، ص ص 35-36، وتوجد في نفس الصفحة في الهامش رقم 1 تفاصيل أكثر حول أسباب الهجرة النورماندية الى جنوب ايطاليا .

[2] – رشيد تومي: نفسه، ص39 ؛ عادل زيتون، " **نفسه**"، ص. ص136،135.

♦ - " باري " Bari " عاصمة الإقليمين الذين تملكها بيزنطة بجنوب إيطاليا وهما " أبوليا " Apulie و قلورية Calabria . أنظر: عادل زيتون، المرجع السابق، ص: 128.

[5] - Chalondan : Essai, P . 59.

[6] - عادل زيتون :" **علاقات إقتصادية**"، ص ص.1-52.

[7] - Freddy: Op.Cit., P . 21.

خطرًا عل ممتلكات الإمبراطورية وعلى عاصمتها [1].لذلك أصبح التصدي لهذا الزحف النورماندي، من أولويات اهتمامات الإمبراطور، ومن مساعيه الضرورية.

ب- خطر النورمان على البندقية:

إن تطلع النورمان الى بسط سيطرتهم على مجال الأدرياتيك، يعد مشروعا بالغ الخطورة على الإمبراطورية البيزنطية ، و مميتًا بالنسبة لمدينة البندقية [2]. لأن تمكّن النورمان من فرض نفودهم على سواحل الأدرياتيك يعني القضاء على حرية النشاط التجاري والاستقلال البحري الذي تتمتع به البندقية، ويفرض عليها طرفا خانقا يدفعها الى الانزواءفي فضاء المستنقعات.[3]

ويتم بذلك حتما عزلها ن محيطها الطبيعي وهو بحر الأدرياتيك، شريان حياتها الاقتصادية ومصدر ثرائها وسر عزتها و عظمتها. وهكذا، فبالنسبة للبندقية، فان مقاومة تهديد النورمان بالأدرياتيك يعتبر قضية حياة أو موت [4]، ولذلك كان من الضروري على أهلها ، ، تجنيد كل قوهم للدفاع عما يشكل تهديد على مصدر رزقهم و حياتهم معا.

أهداف النورمان من تحركاتهم نحو بيزنطة:

تشيد الدراسات التاريخية، بالجهود التي قام بها روبرت جويسكارد " Robert Guiscard " [♦]، في سبيل تأسيس إمارة أبوليا و قلورية في جنوب إيطاليا، وبما أداه أيضا من جهود متواصلة في مقاومة القوات البيزنطية بهذه المنطقة.

وقد اعترفت له الكنيسة الرومانية بجهوده وثمنت سياسته الرامية الى تصفية الوجود البيزنطي من جنوب إيطاليا، ومن ذلك باركت مساعيه في هذا الاتجاه، وبمناسبة انعقاد

---

1 - Ibid.; Diehl: Op.Cit., P. 22.

2 - Freddy: Op.Cit., P. 21.

3 - Diehl,: Op.Cit., P. 19

4 - Ibid., p.19

♦ - روبرت جويسكار: هو إبن تانكريد هوتفيل، ويعتبر الولد البكر من بين سبع أبناء من زواجه الثاني، وكانت أسرته من أقدم الأسر النورمانية في جنوب إيطاليا، وقد وصل " Robert " سنة 1046م، ومكث كقاطع طريق بجبال كلابريا، ثم تحسنت ظروفه ليصبح قائدا على النورمان ضد البيزنطيين إلى أن أسّسس " دوقية أبوليا و قلورية "، وقد احسن المؤرخون وصفه، وانبهروا بشخصيته االقوية، ولعل أبرزهم نجد آنا تومنين. ولمزيد من التفاصيل أنظر: Anne Comnène : Alxiad , p. 150 , Gibbon , op.cit., 597 ; عادل زيتون : " العلاقات الكنسية "، إبتداء من ص: 131.

المجلس الكنسي بمدينة أمالفي بجنوب ايطاليا سنة 1059 م، اعترف البابا" نيقولا الثاني" بسيادة روبرت جويسكارد على جميع فتوحاته في أبوليا و قلوريّ و إمارات اللامباردية "، وهذا على أن يعلن روبرت الولاء التام والتبعية للبابوية[1]. ان هذا الموقف البابوي الايجابي، قد شكل عامل قوة لمركز روبرت وعنصر تشجيع له ، لمواصلة تحقيق طموحاته التي أدت إلى الاستحواذ الكامل على الممتلكات البيزنطية بجنوب إيطاليا.

الواقع أن " Robert " حينما شعر بقوة المساندة التي قدمتها له البابوية، أطلق العنان لأطماعه، معتقدا أن مكاسبه في جنوب ايطاليا لم تعد تروي عطشه ولا تسكن جموحه الفياض وكان أن أشرب عنقه حينئذ إلى التاج البيزنطي العريق [2]. ولتحقيق هذه الغاية، سطّر لنفسه هدفين اثنين: يتمثل الأول في السعي الى السيطرة على السواحل الشرقية الأدرياتيك [3]، لكونها نافذة تؤدي إلى عمق الإمبراطورية البيزنطية والخطوة الأولى في هذا الاتجاه تكمن في احتلال مدينة دورازو الساحلية " Durazzo". وأما الهدف الثاني فيتمثل، في فتح العاصمة البيزنطية " القسطنطينية " وافتكاك التاج الإمبراطوري [4].

ولا شك أن مثل هذا المخطط ، يعكس بجلاء الطموح المفرط وغير المحدود الذي تنطوي عليه شخصية هذا القائد وقد شبهت آنا كومنين، طمع وجشع هذا الأخير، بمرض الغنغرينا، الذي ما إن يُصيب طرفًا من الجسد حتى ينتشر فيه، فيهلكه بكامله دون توقف [5]

د- مشروع روبرت جويسكارد الإنتقامي:

لقد أدرك الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجينوس (1068م-1071م) Deoginius خطر هذا القائد الذي بات يتهدد أراضيها ولم تتوان في حمله على محمل الجد، ومن ذلك اتخذ الامبراطور رومانوس الرابع تجاه النورمان سياسة الليّن والمهادنة

[1] - عادل زيتون :المرجع السابق، ص ص.132-133 ؛ رشيد تومي : المرجع السابق، ص50.
[2] - Edouard,Gibbon : Décadence et chute de l’empire Romain, A.Desrez, Librairie, Paris, France,T.2,p.602..
[3] - Ostrogorsky : Histoire de l’Etat Byzantin, p.375.
[4] - Ostrogorsky : Op.Cit., p. 578 ; Chalondon : Essai, P .60 ; Gribbon : Op.Cit., P. 602.
[5] - Anne Comnène : Alexiad, T.1, P .145

علها تدرأ شرهم عن أراضي العرش [1] ويتم كذلك استخدامهم في مواجهة السلاجقة الأتراك، على الحدود الشرقية للإمبراطورية [2].

إلا أنَّ هذا المشروع لم يتحقق في أيام رومانوس الرابع ، لكنه أثمر في عهد خليفته الإمبراطور ميخائيل السابع 1071-1078م Michel VII، حيث نجح في توقيع معاهدة مع النورمان سنة 1073 [3] .و الامبراطور بموجبها باجراء الخطوبة بين ابنه وريث عرشه " قسطنطين" و هيلانا " Héléne" ابنة جويسكارد [4]. وقد شكلت هذه الخطوبة بداية التحالف بين الطرفين ونجاحا ملموسا بالنسبة لبيزنطة حيث تضمن صداقة النورمان عدم اعتدائهم على أراضي الإمبراطورية، ومن جانب اخر يمثل اعترافا ضمنيا من قبل بيزنطة بالكيان النورماندي بجنوب إيطاليا [5] .

و لقد حققت هذه المعاهدة لبيزنطة مبتغاها الامني واستقرت علاقتها مع النورمان و لكن في سنة 1078م حدث ما عكر صفوها، حيث وقع انقلاب عسكري أطاح بالامبراطور ميخائيل السابع، وانتقل العرش الى القائد العسكري نقفور III بوتانياتس" Botaniates Nicephorus 1078م-1081م" ، وقد بادر هذا الأخير الى إرسال الامبراطور المخلوع ووريثه قسطنيطين إلى أحد الأديرة كما لاقت ابنة جويسكارد نفس المصير، حيث سيقت هي الأخرى إلى دير الراهبات.

وعلى ضوء ما اشتهر به جويسكارد من مكر وشراهة وطموح زائد، بان هذا الحدث لم يثر ضمنيا امتعاض هذا الأخير بل انس فيه تباشير خير توفر له فرصة ثمينة لاحياء تطلعاته السابقة تجاه بيزنطة لكن كان عليه إضفاء الشرعية على مشروعه تعرض ابنته وصهره لسوء المعاملة من قبل الانقلابيين لم يكن مبررا كافيا ومقنعا لاجهاز على الامبراطورية [6] . ولاضفاء الشرعية على ما يصبو اليه ، بادر بارسال أحد أعوانه إلى

---

[1] - عادل زيتون : " العلاقات الكنسية "، ص. 52.
[2] -Chalondon : Essai, P .61.
[3] - عادل زيتون :المرجع نفسه، ص.53.
[4] - رشيد تومي : المرجع السابق، ص.58؛ Chalondon : Essai, P. 61 ; Gibbon : Op.Cit. ,p.602.
[5]- عادل زيتون :المرجع السابق، ص.53.
[6] - نفسه ؛ نورمان بينز: الامبراطورية البيزنطية، حسين مؤنس، القاهرة، مصر،ص.68.

قلورية، من أجل العثور على شخصية شبيهة بالإمبراطور المخلوع " ميخائيل السابع " حتى يتذرع به للمطالبة باسترجاع عرش بيزنطة من المغتصبين.

فاستطاع مبعوث روبرت في قلورية، على راهب بيزنطي يدعى ركتور Rector "، ليقوم بهذا الدور. وكانت المهمة المنوطة به، هي الاستغاثة بجويسكارد ليستعيد له عرشه الضائع، ولينتقم لما لحق بابنه وهيلانا من ضرر واهانة.

وقد تم لروبرت ما أراد ، حيث تقدم اليه ركتور والتمس منه المساعدة أمام جمع من النورمان فتوجت بذلك خدعته باللجام، حيث أقنع أتباعه بصدق قضيته، التي ترمي إلى استرداد العرش المغُتصب والدفاع عن ابنته وصهره وحقهما في الحكم [1].

على الرغم من أنّ النورمان صدقوا روبرت، بعد أن آمنوا بقضيته وثارت حميتهم

لكن خدعته لم تدم طويلا. لأنه حدث وأن أرسل القائد النورماني في أواخر سنة 1080م، وبداية سنة 1081م، الكونت " راوول "، ليُندِّد بسوء المعاملة التي تعرضت لها ابنته وصهره. وعندئذ اكتشف الكونت مكيدة روبرت وتفطن إلى أن مبرر روبرت ما هو الا افتراء وكذب سوقه لتمرير مشروعه المعادي لبيزنطة.[2] .

و لم يتورع راوول عن اماطة اللثام عن مكيدته ، لأن عند عودته صرّح أمام القائد الروماني، بأنه تأكد فعلا من وجود " ميخائل السابع " في القسطنطينية، كما أن وريثه وخطيبته Hélène ينعمان بالصحة والعافية، خاصة وأنّ الانقلاب قد أحبط وتسلم القائد ألكسيس كومنين* تاج الإمبراطورية وأخرج ميخائيل السابع من الدير وأشرك " قسطنطين " الوريث الشرعي في الحكم [3] .

---

[1] - Ferdinand, Chalondon : Essai sur le Régne d'Alexis Comnéne (1081-1118), Picard, Paris, France,1900, p.62.

[2] - Gibbon: Op.Cit, P. 603.;و قد خرج روبرت دون تضييع الوقت في حملة ضد بيزنطة، وارسل ابنه بوهيموند لاحتلال "افلونة" على الساحل الشرقي لبيزنطة، و كانينا و هيريكو، الي جانب بوترانتو، Chalondon : Op.Cit,p.62.

[3] - عادل زيتون، المرجع السابق، ص ص: 55-56 ; Chalondon : Op.Cit, P. 62

-*انحدر من قرية كومنه الواقعة بقرب أدرنة Andrinople غرب القسطنطينية ؛ وهو سليل الأسر الاقطاعية بآسيا الصغرى. ارجع الى: رشيد تومي : المرجع السابق، ص58، هامش رقم1.

وقد اثار هذا التطور في البلاط البيزنطي ، خيبة أمل كبيرة لدى روبرت لأنَّ خدعته راحت أدراج الرياح، هذا في الوقت الذي اخذت قواته في اجتياح الاراضي البيزنطية، ولم يكن من السهولة بمكان توقيف الحملة أو التراجع عن عدوانه.

III – التحالف بين بيزنطة والبندقية:

ا) استعدادات ألكسيس لمواجهة النورمان:

بدأ خطر النورمان يهدد كيان الإمبراطورية البيزنطية واستهل الإمبراطور ألكسيس مواجهة هذا العدو، وكخطوة أولى لتطويق هذا الخطر ارتأى الامبراطور اتخاذ استراتيجية حكيمة ترمي الى تأمين حدود الإمبراطورية من جميع جهاتها وخاصة الناحية الشرقية.

وتطبيقا لذلك بادر إلى توقيع معاهدة مع الحاكم السلجوقي سليمان بن قتلمش بغية تهدئة الأوضاع في آسيا الصغرى، كما سعى إلى عقد اتفاقية هدنة مع عناصر البشناق الثائرة في جزر السلطان [1].

. وعلى المستوى الداخلي، بادر ألكسيس بمراسلة حكام مقاطعات الامبراطورية، يحثهم على اعداد العدة اللازمة وشجعهم على التحلي بالصبر ورباطة الجأش في هذه المواجهة المصيرية المعروفة على الامبراطورية[2].

ب) البحث عن حلفاء:

ثم التفت الى الغرب الكاثوليكي لضمان مساعدته في هذه الحرب ومن أجل ذلك، التمس العون من البابا جريجوري السابع 1073-1085م [3].ولنفس الغرض أوفد سفارة الى الامبراطور الألماني هنرى الرابع 1056-1106م ، وقد توجت مساعيه بعقد اتفاقية تعاون تعهد هذا الأخير بموجبها بتقديم المساعدة الضرورية لبيزنطة لمقاومة التهديد

[1] - عادل زيتون :المرجع نفسه، ص. 58 ; Ostrogarsky : Op.cit., P .378

[2] - عادل زيتون، نفسه، ص: 57.

[3] - Chalondon: Op.Cit., P . 69;Ostrogorsky : Op.Cit., P .379.

النورماندي وذلك بتنظيم هجوم عسكري على قوات النورمان في حنوب ايطاليا [1] ومقابل هذا الموقف، وعدته بيزنطة بمنحه أموالا معتبرة وهدايا ثمينة من الهدايا والذهب [2]

وبقيت هذه الجهود التي بذلها الإمبراطور غير كافية في نظر ألكسيس خاصة أن الأسطول والجيش البيزنطي، كنا يعيشان وضعا مزريا وتدهورا كبيرا، في الوقت الذي كانت مسألة تأمين أسطول حربي [3]، يدافع عن الإمبراطورية، ويتصدى للغزو والنورماندي، أمرا ضروريا.

و في هذه الظروف الحرجة لم يجد ألكسيس بدّا من اللجوء إلى طلب المساعدة من صاحبة النفوذ البحري والأسطول القويين: البندقية [4] التي تمثل بالكاد الشريك الحاسم والحليف الأمين لمحاربة خصومه النورمان، وخاصة أن هذه الجمهورية قد انتابها هي الاخرى ، الخوف والقلق من استفحال خطر النورمان في فضاء الأدرياتيك والذي سيؤدي الى المساس بمصالحها بسيطرتهم على الطريق التجاري الرابط بين هذا البحر وعاصمة الامبراطورية [5].

لهذا، ومن أجل ضمان الأمن والاستقرر الضرورين لتجارته في هذا المجال والحفاظ على النفوذ البحري، قررت البندقية قبول هذا الطلب ، ومن ثم سارعت الى وضع أساطيلها تحت خدمة " آل كومنين " [6]. وتعتبر هذه المساعدة في حقيقة الأمر، خدمة قدمتها لنفسها قبل أن تؤديها لبيزنطة، لأن تحالفها مع الإمبراطورية، يعد دفاعا عن مصالحها الاقتصادية. ولكن قبل أن تندفع في هذا الاتجاه ، حرصت جمهورية البندقية على افتكاك امتيازات تجارية بالغة الأهمية [7]. وانتزعت من ألكسيس وعدا بتنفيذ كل شروطها ورغباتها[8] .

---

[1] - Ibid.

[2] - لمزيد من التفاصيل عن المعاهدة يرجى العودة إلى عادل زيتون، المرجع السابق، ص. 57 ;Chalondon, Op.cit., P.70

[3] - Ibid.; Ostrogorsky : Op.Cit., P. 379.

[4] - Diehl :Op.Cit. , P. 32.

[5] - عادل زيتون :المرجع السابق، ص. 58 ; Chalondon : Essai ,p.70

[6] - Diehl :Op.Cit., P.32.

[7] - عادل الزيتون، المرجع السابق، ص: 58.

[8] - Anne : Op.Cit., T. II, P .146.

التحالف العسكري بين البندقية وبيزنطة:

المعارك المشتركة:

مرّ الصراع النورماندي البيزنطي بثلاث مراحل، حيث كانت المرحلتان الأوليتان بقيادة جويسكارد، فيما جرت الثالثة تحت قيادة خلفائه.

أ) المرحلة الأولى:

أصبح ألكسيس مُهيئًا لخوض حربه ضد النورمان، بعد أن ضمن مساعدات حلفائه السياسيين والعسكريين، لكن يقابله خصم أعد هو الأخر العدة اللازمة لحملتهم ضد بيزنطة، فجهّزوا مائة وثلاثين سفينة بكل لوازمها [1] .

وقبيل انطلاق الحملة، عزل ألكسيس حاكم مدينة دورازو على الساحل الشرقي للادرياتيك، ولعلّ السبب الوحيد هو أن الإمبراطور قد راودته شكوك حول صدق نزاهته وولاء اتجاه الامبراطورية [2]، فقام بعزله قبل أن يخونه. وعيَّن محله القائد الشهير جيورج جيورج باليولوج " George Paléologue "، مع تكليفه بمهمة إستعداد الكامل للذود عن المدينة وصونها من غزوات النورمان[3].

وفي سنة 1081 م ومن الساحل الغربي للادرياتيك ، أبحر الأسطول النورماندي بقيادة روبرت [4]، وبلغت مشارف أفلونا " Avlona "، وهناك التقى روبرت بابنه " Bohémond"، واتجه الاثنان إلى كورفو " Corfou " واحتلاها وواصلا تحركا إلى دورازو " Durazzo" الواقعة الى شمال كورفو. وهناك قسّم روبرت جيشه إلى بريّ وبحري، وقاد بنفسه القوات بمحاذاة الساحل، في حين قاد بوهيموند " Bohémond "

[1] - Gibbon : Op.Cit., P . 603.
[2] - ويدعى هذا الحاكم المخلوع " Monomuchius" ; Chalondon :Essai, PP . 36-37
[3] - عادل زيتون :المرجع السابق، ص. 59.
[4] - (ولقد ترك روبرت ابنه روجر بورصا، نائبًا له على أبوليا و قلورية)، نفسه ; Gribbon :Op.Cit., P . 603

الأسطول النورماني وعند و صول القوات إلى مدينة " Durazzo "، فرض العدو الحصار عليها في جوان 1081م [1].

وعند وصول النورمان إلى تلك المدينة كان قائد دورازو على اتم الاستعداد للتعامل مع هذا التهديد ووفق الى حد بعيد في تعبئة سكان المدينة وشحذ عزيمتهم على رد المغيرين النورمان [2] .

لا شك أن مدينة " Durazzo* " تحضى ب أهمية استراتيجية خاصة بالنسبة للبيزنطيين والنورمان على حد سواء، باعتبارها مفتاحا يفتح به باب اجتياح أراضي الامبراطورية من الجهة الغربية [3]. لذلك ظلت محل نزاع شديد بين الطرفين طيلة فترة الصراع بين مد وجزر.

وبينما كان الحصار النورماندي جاريا على مدينة دورازو، وصل الأسطول البندقي بقيادة " ميتيكو سيلفو Metico Silvo " وأرسى عند منطقة Immucullée a pulilia بالقرب من المدينة المحاصرة.

وحين علم جويسكارد بوصول الأسطول البندقي، أرسل ابنه بوهموند " Bohémond "، ليتفاوض مع قائده ثم عرض عليهما البيزنطيين والبنادقة معا، تنصيب ميخائيل السابع إمبراطورًا على العرش البيزنطي[4] .

ويذكر المؤرخ جيبون " Gibbon "، أنَّ الجيش النورماندي تعرض في ليلة حصاره لمدينة دورازو إلى عاصفة هوجاء نشرت الذعر والخوف بين جنوده ، ولعلّ هذا

---

[1] - عادل زيتون :المرجع السابق، ص.59 .

[2] - نفسه.

*- ميناء مشهور ونقطة انطلاق من اليونان الى ايطاليا وهي تقابل مدينة براندیزي الايطالية وتمثل حاليا دوريس في ألبانيا ، انظر: Larousse Universel : T.5,P.3468.

[3] -Gibbon: Op.Cit ,P. 604. ؛ يشيد رشيد تومي بأهمية المدينة لكونها قاعدة لاقليم ايليريا ، و هي التي تمنح السيطرة التامة على السواحل الشرقية الأدرياتيك ؛ انظر الى : نفسه، ص. 59.

[4] - Anne : Alexiad, PP. 146-147. (وتذكر المؤرخة أن البنادقة لم يقبلوا التفاوض مع بوهمند إلا في اليوم التالي).

يعود إلى عدم معرفتهم بفنون الملاحة و كذا الى قلة خبرتهم في التعامل ايجابيا مع عوصف البحر ومخاطرها [1] .

هذا على خلاف البنادقة الذين نجحوا في احتواء هذه العاصفة الفتاكة ، وذلك بشدّ سفنهم بالحبال على شكل دائري أو هلالي [2]، وهي طريقة كان التجار البنادقة يلجئون إليها، عندما تكون العواصف قوية ويصعب على سفنها الإرساء في الميناء، أو الاختباء في ثناياه[3].

كما أقام البنادقة، أبراجًا، بين أشرعة السفن، يقوم علي كل واحد منها، جندي مسلح[4] يسهر على الحراسة، وإلى جانب ذلك، تم تجهيز بقية الجنود والسفن بالأسلحة والرماح المُحرقة وقطع من الخشب [5].

لقد روت المؤرخة الاغريقية أنا كومنين رواية مفصلة عن المشادات التي دبت بين النورمان والبنادقة، وذكرت أن " بوهمند " عند تعرّضه للسخرية أمام البنادقة في صباح اليوم التالي، حين ذهب لأداء المُهمَّة التي كُلف بها من طرف والده، استشاط غضبًا من المعاملة التي لقيها من البنادقة ♦، وقرّر عندئذ الدخول مباشرة في المعركة ضد الأسطول البندقي.

كانت المواجهات بين الطرفين عنيفة، وبينما كان روبرت منشغلاً بالقتال، ألقى البنادقة تلك القطع الخشبية، لتفرقة سفن العدو، وإحداث الفوضى في صفوف الجند. وبنجاح هذه الخطة، فقدعمت الفوضى بين جنود النورمان، ولم يتمكن بوهمند من النجاة إلا بصعوبة. فانهزم النورمان على إثر ذلك. وتفرّقت سفنهم وقتل منهم الكثير [6] إلا أنّ هذه الهزيمة لم تنه المعركة، إنما انتقلت المواجهة من البحر لتتواصل في البر.

---

[1] Op.Cit., P. 604.-
[2] Gibbon : Op.Cit., p.604 ; Anne : Alexiad, P .147.-
[3] Ibid.-
[4] Ibid.-
[5] Gibbon : Op.Cit., P.604.-
♦ لأنهم سخروا من لحيته.
[6] - عادل زيتون :المرجع السابق، ص. 60 ; Anne : Op.Cit., P. 147

وعلى اليابسة، ازدادت عزيمة البنادقة فأوسعوا في النورمان فتكا فيما تملك الذعر نفوس هؤلاء الغزاة الذين هرعوا الى البحث عن مخبأ يحميهم من البنادقة [1] .

ولما سمع ميشال باليولوج بانتصارات البندقية، على الجيش النورماندي، انضم الى البنادقة ليقاتل إلى جانبهم. واستمرت المعركة إلى غاية بلوغ مركز حشود روبرت جويسكارد. وتذكر المؤرخة " Anne " أنّ البنادقة هزموا النورمان وقتلوا منهم الكثير.

وبهذا الانتصار الباهر نال البنادقة غنائم كثيرة، وعادوا إلى سفنهم ومواقعهم بينما قفل " Paleologue " إلى مدينة " Durazzo " [2].

الواقع أن هذا النص التاريخي الصادر عن أنا كومنين، يجعل من النورمان عرضة للذل والمسكنة ولقمة سائغة لا يقدرون حتى على درء سيوف الموت عن أنفسهم وهو ما يتنافى تماما مع ما اشتهر به هؤلاء الشماليون من الشجاعة والاقدام وكفاءة رفيعة في القتال. ولا شك أن مضمون هذا النص يكشف بجلاء طابع التعتيم والتحيز والمبالغة الذي أرادت الكاتبة تمريره باعتبارها كرفا فاعلا في هذا الصراع المعقد المفروض على سلطان أبيها .

كما تمكن البنادقة بعد فكّ الحصار على المدينة، من فرض راقابة كاملة على جميع الممرات المؤديّة إلى مدينة دورازو" Durazzo "[3]، فبات وصول المؤن والذخيرة من لومبارديا إلى المعسكر النورماني، أمرًا مستحيلاً. وبتحكم البندقية بهذه المضائق، وحلول فصل الشتاء، تعذر على جويسكارد مواصلة حربه ضد التحالف البيزنطي البندقي [4].

---

1 - Anne: Op.Cit., P. 148.

2 - Anne: Op.Cit., p.148.

3 - Ostrogorsky: Op.Cit., P . 379.

4 - Anne: Op.Cit., P. 148.

ويرجع الفضل في ذلك ، الى الألة العسكرية للجمهورية التي نجحت في ترجيح كفة الحرب لصالح التحالف . ومن جاتب ألكسيس، فانه لم يكد يتلقى نبأ هزيمة النورمان حتى سارع الى مكافئة البنادقة بهدايا وإكراميات تليق بدورهم الحاسم في هذه المعركة [1].

ب) المرحلة الثانية:

الواقع أن معركة دورازو لم تؤد الى ازالة الخطر النورماندي على أراضي الامبراطورية ولم يخف ذلك على ألكسيس كومنين، حيث واصل استعداده للحملة على قدم وساق وعندما اكتملت تحضيراته العسكرية ، تحرك على رأس قواته نحو دورازو في أكتوبر من سنة 1081 م[2]. لكن في هذه الأثناء، كان النورمان قد استجمعوا قواهم واستعادوا عافيتهم؛ فسمحت للقائد جويسكارد بتجهيز جيوشه ماديًا ومعنويًا، ودخل مدينة أفلون Avlona ظافرا. [3]

وبعد سلسلة من المشاورات بين القادة العسكريين البيزنطيين، قرّر ألكسيس مواجهة النورمان بطريقة مباشرة [4]، ودارت معارك عديدة بين الطرفين، ولم يكن قرار الإمبراطور صائبا، فقد تلقت جيوشه عدّة هزائم، في حين حصل النورمان من انتصاراتهم عليه عدّة مكاسب مما زاد من رفع معنوياتهم [5].

وعند فشل ألكسيس في افتكاك النصر المنشود من النورمان، انتقل إلى مدينة " تسالونيك " التماسا للأمن والنجاة. ومن جانب جويسكارد فقد أظهر عجزا عن مواصلة عملياته العسكرية وخاصة أن حلول فصل الشتاء، يجعل المعارك البحرية أمرا صعبا للغاية لكن مقابل ذلك ، قرر جزيسكارد التخلص بسرعة من مشكلة حصار مدينة دورازو .

---

[1] -Ibid..

[2] - عادل زيتون :المرجع السابق، ص. 60 ; Ibid. ; (وقد ترك إسحاق كومنين خليفة له بالقسطنطينية).

[3] -Anne : Op.Cit., P. 150.

[4] -عادل زيتون :المرجع السابق، ص. 60.

[5] - نفسه.

ولحسن حظه أن استجاب سكانها لبمادرة التفاوض التي عرضها عليهم وبكل يسر وسلّموا له مفاتيح المدينة فدخلها سلما وجون مقاومة في فيفري 1082 م[1].

ان اقتحام مدينة دورازو الاستراتيجية، شجع جويسكارد على المضي قدما في حملته العسكرية، ذلك أنه و بحلول فصل الربيع من نفس السنة، اندفع جيشه لفتح مدينة سالونيك[2]. وفي طريقه إليها سيطر على عدّة مواقع لبيزنطية مثل: إستوريا " Estoria " وألبانيا " Albania " وتساليا [3]. وفي هذه الأثناء بلغته أنباء مفادها، أن اضطرابات سياسية وأخطار عسكرية تُهز عرشه بإيطاليا، فاضطر إلى العودة على عجل الى بلاده [4].

ترك روبرت قبل عودته إلى إيطاليا، ابنه بوهمند قائدا على الجيش النورماندي ، الذي كان منشغلا بمواجهة ألكسيس في " بنينه " سنة 1082م، فانهزم الإمبراطور مرتين متتاليتين [5] . فاضطر جراءهما إلى العودة إلى القسطنطينية، في حين واصل بوهمند اكتساحه، ونجح في احتلال عدد من المدن، وأهمّها مدينة لاريسا " Larissa " في ربيع سنة 1083م بمنطقة تساليا [6].

فاستغاث أهل مدينة " Larissa " بكومنين، إثر احتلال النورمان لها، لهذا استؤنفت المعارك بين الطرفين. لكن هذه المرّة، كان الفوز حليف الإمبراطور، فانتصر على خصمه العنيد بوهمند. ولمَّا عاد ألكسيس إلى " تسالونيك "، عمد الى تدبير مؤامرة ضد بوهمند، ونجح جراءها في نشر الفوضى ♦ وزعزعة صفوف الجيش النورماندي ووضع قائده في وضع محرج أجبره إلى العودة إلى إيطاليا مسرعا [7].

---

[1] - يذكر " Chalondon " و " Gibbon "أن فتح أبواب المدينة، قد تمّ بخيانة من البنادقة. وهو حارس أبراج المدينة، ولمزيد من المعلومات, أنظر إلى Gibbon, Op.cit., P : 607

[2] - عادل زيتون :المرجع السابق، ص.62.

[3] - Ostrogorsky: Op.Cit., P. 379.

[4] - Ibid.; Gibbon: Op.Cit., P . 607.

[5] - عادل زيتون :المرجع السابق، ص.65.

[6] - نفسه ; Gibbon : Op.Cit., P .607

♦ - بأن يدفع لجنودهم رواتبهم ، التي في تلك الأوقات، كان بوهمند يُعاني من أزمة مالية، ولا يملك المال ليدفع رواتب الجنود، وبعد المشاورات، عاد إلى إيطاليا بحجة إحضار المال، وترك " برينوس " نائبا له إلى كاستوريا، أنظر (Anne : Alexiad, T. II , P . 50)

[7] - Ibid ; عادل زيتون : المرجع السابق، ص. 65.

وذكرت المؤرخة " آنا كومنين "، أنّ روبرت، صُعق عند رؤية ابنه " بوهمند " [1]. لما اثاره في نفسه من خيبة أمل رهيبة وصدمة مروعة .

وبعد مرور بعض الوقت، استطاع روبرت أن يتخلص من تلك الصدمة، واسترجع عزيمته، ربما لكونه شجاعًا وغلب طموحه فشل ابنه، وسعى مرة أخرى لتحقيقه.

وبعد أن هدأت الأوضاع في إيطاليا الجنوبية حتى استعدَّ روبرت لتوجيه حملة جديدة على أراضي بيزنطة ولهذا الغرض جهّز جيشه والأسلحة، وأشرك ابنيه روجر " Roger" " و جاي " Guy " وكلّفهما بتخليص أفلونا " Avlona" من البيزنطيين، بعد أن حررها ألكسيس، وكذا دورازو وكورفو.

فانطلقت الحملة النورماندية الجديدة من إيطاليا، باتجاه " otrinto" و " Brindisi*" ليختصر الطريق بعدها إلى " Avlona " وبعد احتلالها، ترك ابنيه في " otrinto " ليتجه هو وأسطوله إلى مدينة " كورفو Corfou " سنة 1084م، ليخمد ثورة أهلها التي أشعلوها ضد النورمان[2] .

وعندما بلغ ألكسيس خبر تحركات النورمان الجديدة استنجد بحلفائه البنادقة [3]، الذين سارعوا الى تلبية نداء أل كومنين ، لاحباط خطر الغزاة. وعلى عجل أبحروا بأسطولهم إلى كورفو، وبها التقوا بالقوات البيزنطية، التي بعث بها ألكسيس، لتشارك إلى جانبهم في هذه المعركة. وبفضل هذا التحالف العسكري، حققت البندقية عدَّة انتصارات على النورمان، واستولت على ميناء كاسيوب Cassiope.

واستطاعت البندقية بفضل خططها وحيلها المتكررة ضد النورمان، كسب المعركة. وبعد انتصارها الأخير، نفدّت ذخيرتها وقلّت الأسلحة والمياه، وعلى الرغم من الهزائم

---

[1]- Op.Cit., T.II , P. 50.

*- براندیسي Brindisi ميناء يقع في أبولياايطاليا ببحر الأدرياتيك و مدينة براندیسي قديمة وكانت محطة اتفاق بين الشرق والغرب منذ 244 ق م ، وفي العصور الوسطى أصبحت محطة انطلاق غزاوات النورمان والحملات الصليبية ، انظر: Larousse Universel : T.3, p.1508.

[2]- عادل زيتون : المرجع السابق، ص . 67؛ انظر الى خريطة الحملات النورماندية غلى الامبراطورية البيزنطية في الخريطة رقم: 03 ، ص.211. .

[3]- Ostrogorsky: Op.Cit., P. 379.; Gibbon: Op.Cit., P .610.

المتتالية التي تلقاها روبرت، فإنَّه لم يستسلم بل واصل في مقاومته باستماتة ملحوظة، الذي استغل مواطن الخلل التي اضعفت جيش البنادقة. فألحق بهم هزيمة نكراء [1].

لكن هزيمة البنادقة، تعود ربما الى الاسترخاء الذي اعتراهم وكذا الى اعتقادهم بنهاية الحرب، فتفرقت سفنهم. وأثناء ذلك، باغتهم النورمان [2]،وأسر منهم روبرت حوالي 2500 جنديًا، واستولى على عدد كبير من سفنهم. وقد وصفت المؤرخة البيزنطية المعاملة النورماندية السيئة والقاسية التي تعرّض لها الأسرى البنادقة. فتحدّثت عن أعمال بشعة ارتكبها جنود روبرت كسمل أعين بعضهم، وقطع أنف البعض الآخر، وبتر أيدي أو أرجل آخرين، وعرض روبرت على البنادقة التفاوض حول الأسرى الآخرين، لكن البنادقة ردّوا عليه بالقول:

" ....اعلم؛ دوق روبرت، أنه لو رأينا، أن بني جلدتنا من أبنائنا ونسائنا، يتعرضون للقتل الوحشي والتعذيب المريع، ما تخلينا عن تحالفنا مع ألكسيس، ولا عن مساعداتنا له وسنسعى دائمًا لنصرته ضدك." [3] .

ولم يمض وقت طويل، عن هذه المعاناة، حتى انتقم البنادقة لأسراهم، حيث هموا لمواجهة مع النورمان، وافتكوا منهم انتصارا فردوا عليهم الصاع صاعين؛ من خلال تعذيب رجالهم ورميهم في البحر،وكذا أسر إبن روبرت جاي " Guy " وزوجته [4] .

[1] - وذلك مقابل إمتيازات وعدهم بها ألكسيس.
[2] - عادل زيتون :المرجع السابق، ص. 67.
[3] - Alexiad, T. II , PP. 52-53-54.
[4] - Ibid.

II – الصعوبات التي واجهت الطرفين:

لم تخْلُ هذه المواجهات المتكررة والمتواصلة بين البيزنطيين والبنادقة من جهة والنورمان، من جهة أخرى، من الصعوبات التي عرقلت إلى حدّ ما سير الحملات والمواجهات.

أ) النورمان:

أهّم ما اعترض النورمان في تلك المواجهات، سوء أحوال البحر، خاصة العواصف ، ولعل ذلك راجع إلى عدم درايتهم بفنون الملاحة و عدم معرفتهم بأغوار الإبحار. ولهذا تكبدّوا الهزيمة الشنعاء في مواجهتهم مع البنادقة [1].

ولقد اعترض النورمان عدّة عراقيل أخرى منها، نفاذ المؤونة والأسلحة [2] أثناء الحصار الذي فرضه البنادقة على أسطول النورمان وعلى الممرّات التجارية بالأدرياتيك، ثم الوباء الذي انتشر بين النورمان. فزاد الوضع سوءًا، وأدّى ذلك إلى عجزهم عن مواجهة البنادقة. وزد على هذه المأساة كلها ، ظهور المجاعة، وتذكر المؤرخة أنا كومنين؛ أن هذه المشاكل التي سادت في صفوف النورمان، قد حصدت أزيد من 550 ضحية [3].

كما تسبب المدّ والجزر للبحر، وسوء الأحوال الجوية، في إعاقة نشاط الحملة، إذ أدّت هذه الظروف إلى، غرق بعض سفن جويسكارد في نهر غليكس " Glykys "، كما عان أفراد الجيش عناءً شديدًا نتيجة الحرّ الذي عاشوه بعد شتاء قاسي [4] .

إلى جانب كل هذه الصعوبات، التي تعرّض لها الجنود النورمان فان مخطط ألكسيس قد أعطى ثماره الايجابية ،حيث نجح في بث الاضطراب بأوساط الجيش النورماندي ولو ها لما رجع بوهمند إلى إيطاليا [5] .

---

[1] - Chalondon : Essai, P. 71.

[2] - Ibid.

[3] - Anne : Alexiad, T.I , P .149.

[4] - Ibid.

[5] - عادل زيتون :المرجع السابق، ص.66.

ب) البنادقة:

أما من جانب البندقية، فعلى الرّغم من انتصاراتها العديدة على النورمان، فهذا لا يعني عدم تعرضها لصعوبات عرقلت سير المواجهات العسكرية.

فقد سبق لها وأن عانت من نفاذ عُدّتها سواء منها العسكرية أو البشرية، أو ما يتعلّق بالمؤونة والغذاء. وقد نتج عن هذا النقص الذي عرفه أسطول الجمهورية، هزيمة ساحقة أودت بحياة العديد من الجنود وأسر اخرين وتعذيبهم على يد النورمان[1] .

III – الصراع بعد جويسكارد:

استمر الصراع القائم بين بيزنطة و النورمان مدّة أطول، واستمرت المعارك والتحالفات والمراوغات السياسية والمكائد العسكرية الى مابعد وفاة "جويسكارد" عام 1085م. فقد كان ابناه " Bohémond " و " Roger II " أشدّ أعداء الإمبراطورية. وأخطر خصومها خاصة خلال الحملة الصليبية الثانية. التي شجّع فيها " Roger II "، أسياد أوروبا على المشاركة في الحملة، وقد أبدى رغبته في ذلك، كما زوّد الصليبين بما يحتاجونه في حملة فيفري 1143 م[2].

ولاشك أن ، مصلحة روجر الثاني 1095-1154م " Roger II " في الاهتمام بالحملة الصليبية الثانية تكمن في حرصه على تغيير مسار الحملة إلى القسطنطينية بدلا من الشام [3].حيث اقترح هذا الأخير ، خلال اجتماع " إيتامب " Etampes بفرنسا سنة 1143م، تغيير الطريق إلى بلاد الشام، واتخاذ طريق البحر بدلا من المسلك البري، لكن لقيت هذه المبادرة الرفض المطلق من قبل حكام أروبا، الذين أصروا على الالتزام بالطريق القديم الذي يشق للوصول الى بلاد " الشام "، وعلى أساس هذا الموقف ؛ قرّر النورمان عدم المشاركة في الحملة [4].

---

[1] - Anne: Op.Cit., P .52.

[2] - عادل زيتون :المرجع السابق، ص. 226.

[3] - Chalondon: Essai, P .317.

[4] - عادل زيتون :المرجع السابق، ص. 226..

بعد أن اطمأن مانويل كومنين، لعزوف النورمان عن المشاركة في الحملة، انشغل بحركة مرور الصليبيين عبر أراضيه، وعمل على ضمان شروط الأمن لهم والسلامة في أراضيه. لكنه فوجئ بهجوم النورمان على أراضيه سنة 1147 م[1].

وقد كان النورمان في هذه الفترة، قد استولوا على كورفو " Corfou "، بقيادة جورج الأنطاكي " [2]، وعلى عدة ممتلكات بيزنطية ، والتي منها ميثون" Méthon" على ساحل بيلوبونيز " Peloponése"، نوبلي " Nauplie "، ايوبيه " Eubée "، نيقروبونت " Negropont"، وفي طريق العودة احتلوا جزيرة سيرجو *Sergo " ورأس مالى "Mallée "** ؛ ثم اتجه الأسطول النورماندي إلى الشمال واخترق خليج كورانت " Corinthe " و " Khrisson " بجنوب سالو " Salon "[3].

وتجدر الإشارة إلى أن قوات النورمان، قد عمدت إلى النهب، والسلب، وأعمال التخريب، في المدن التي نزلت بها ولم تكتف بهذا فحسب؛ بل تقدّمت قوات العدّو برًّا إلى أن بلغت أهم مركز صناعي في تلك المنطقة التي تتمثل في مدينة " Thébes"* " طيبس " التي نهبها العدو وسلبها، وأخذ أشهر صُناع الحرير أسرى [4]، ومنها توجه النورمان إلى " Corinthe " .

---

[1] - وذلك بعد أن غادروا مدينة " Otrante " على الشاطئ الغربي من الأدرياتيك.

[2] - عادل زيتون :المرجع السابق، ص. 228 ; Chalandon : Op.Cit., P . 318 ;ويذكر شالندن أن أهالي جزيرة كورفو، فتحوا أبواب مدينتهم للنورمان، نظرا لثقل كاهلهم بضرائب وذلك انتقاما من الادارة البيزنطية، انظر :.Ibid

*- تقع جزيرة سيريجو في اليونان بين البيلوبونيز و جزيرة كريت وهي محصنة طبيعيا وذات أهمية تاريخية، انظر: Larousse Universel : T.4 , p.2875.

**- يقع رأس مالي في اليونان وهو يشكل الحد الجنوب الشرقي للبيلوبونيز ، انظر : .Ibid. , T.9 , p.6577

[3] - عادل زيتون :المرجع السابق، ص. 228 ; Chalandon, : Op.Cit., P. 318

*- مدينة يونانية تقع في بوايتي ، وقد تأسست من قبل الفييقيين ، واشتهرت في العصور الوسطى بصناعة الحرير ونظرا لأهميتها الاقتصادية أصبحت محل نزاع النورمان و الفرنج ، انظر: Larousse Universel : T.14, p.10185.

[4] - عادل زيتون :المرجع السابق، ص. 229 ; Ibid.

[1]- نفسه؛ رشيد تومي : المرجع السابق، ص67 ؛ Chalondon : Ibid.

ولم تنجوهذه الأخيرة، أيضا لم تَنْجُ من أعمال النهب والسلب ، حتى بلغ الأمر بالنورمان إلى نهب ما تبقى من آثار القديس ثيودور " Théodore " ومن كورانث" Corinthe " عاد أسطول النورماندي الى جزيرة " كورفو "[1].

وأمام زحف النورمان الجريء والمخيف، والذي افزع الامبراطور مانويل كومنين ونشأت عند هذا الأخير قناعة بأن المواجهة المباشرة لن تجدي نفعا ولن تنهي خطر هؤلاء الغزاة. ثم اهتدى إلى طلب المساعدة من بعض الدول الأوروبية ملتمسا منها ، نقل الحرب ضد النورمان إلى إيطاليا الجنوبية، غير أن امبراطور ألمانيا وملك فرنسا " لويس السابع " رفضا هذا الطلب بشكل بات [1] .

وأمام هذا الصدّ الذي لقيه مانويل من حكام أروبا، لم يكن له خيار سوى القيام باحضار قواته من بآسيا الصغرى، وعقد صلحا مع السلطان السلجوقي لمنطقة قونية" Ikonium " [2].كما طلب المساعدة والنجدة من حلفائه التقليدين البنادقة، ليُنقذوه من هذا المأزق الخطير.

على أنّ أكثر شيء يلفت انتباه الباحث، هو أن الإمبراطورية البيزنطية،على الرغم من علوّ شأنها وسموّ رايتها ومجدها ، لم تكلِّف نفسها بإصلاح وترقية أحوال جندها المزرية، وتقوية أسطولها الذي كان على درجة كبيرة من التراجع والضعف. هذا على الرغم من ما تكنزه من الذهب والأموال، ولقاء ذلك اكتفت بالاعتماد على سياستها التقليدية القائمة على استقواء حليفتها. مستغلة قوة بحريتها وصلابة ونجاعة أسطولها، كي تتصدى للأخطار المحدقة بالإمبراطورية. لذلك كانت مدينة البندقية، تستغل تلك الخدمة التي تقدمها لبيزنطة مع السعي دون هوادة في سبيل ابتزازها عن طريق فرض شروطها، للحصول علي المزيد من المكاسب.

[1] - عادل زيتون : المرجع السابق ، ص ص. 230-231 ; Chalondon : Op.Cit., p.320.

[2] - عادل زيتون :المرجع السابق، ص. 230 ،231. ; Ibid., p. 321

وبعد سلسلة من المفاوضات التي جرت بين مانويل كومنين وجمهورية البندقية. قبلت هذه الأخيرة التحالف مع بيزنطة؛ لأنها رأت في ذلك خدمة لمصلحتها ويوفر لها امتيازات جمة تزيد من سطوتها [1]. وقد توج هذا التحالف بالتوقيع على المرسوم الإمبراطوري في أكتوبر من سنة 1147 م[2].

وبمقتضى هذا الاتفاق وضعت جمهورية البندقية أسطولها تحت تصرف الإمبراطور، كما أمرت حكومتها، كلّ البنادقة التجار المقيمين في أراضي بيزنطة، بالإنضمام إلى القوات العسكرية المحارِبَة إلى جانب مانويل ضد النورمان[3] .

وبعد سلسلة من التحضيرات التي قام بها العاهل البيزنطي للتصدي للعدّو، انطلقت حملته إلى " كورفو " في ربيع سنة 1148م. ويذكر " Chalandon " أن قوات مانويل قد بلغت: 500 سفينة، و ألف مركبة للنقل، ثم ازداد حجمه وتضاعف تعداده بانضمام أسطول البندقية ، الذي قرر الامبراطور مانويل تعيين " يوحنا الأكسوخ " قائدا للقوات البيزنطية البحرية تطبيقا للاتفاق المبرم بينهما [4] وذلك خلفا للقائد " كونتوستيفانوس " Le Comte Stefanus. في حين يذكر " Chalandon "، أنّ الأوّل عين قائدًا على القوات البرّية، وولي الثاني مسؤولا على الأسطول البحري [5] . استهل الحيش المتحالف نشاطه العسكري بفرض الحصار على جزيرة كورفو في أوت 1148 م[6]

وقد واجه المتحالفان العدو النورمادي جنبا إلى جنب، وفي الوقت ذاته، توجّه مانويل الى Corfou لينضم الى هذه المقاومة، لكن الملك " روجر الثاني" فاجأ الامبراطور بهجوم مفاجئ وسريع على سواحل بلاد اليونان، لتشتيت تركيز الإمبراطور على كورفو وتخفيف الطوق المفروض على هذه الجزيرة . ولم تنجح خطة روجر الثاني وأعطت عكس توقعات

[1] - تم التفصيل عن إمتيازات ومكاسب البندقية في المبحث الثالث من هذا الفصل.
[2] - Chalandon : Op.Cit., P. 322.
[3] - عادل زيتون :المرجع السابق، ص.231 ; .Ibid;
[4] - عادل زيتون :المرجع السابق، ص. 231-232.
[5] - Op.Cit., P. 323.
[6] - عادل زيتون :المرجع السابق، ص. 231.

الملك النورماندي، لأن "مانويل" واصل حصار جزيرة " كورفو "، فيما أرسل جزءًا من قوات التحالف إلى شروبوس "Churups" ؛ وفي موقع رأس مالي اصطدمت بالجيش النورماندي سنة 1149م [1]. وتشجع روبرت أمام صمود البيزنطيين، فأرسل هو الآخر أسطولا من 110 سفينة إلى القسطنطينية، ونجح في الوصول إلى " Corfou " ونهب بعض المناطق.

وعند عودة الجيش النورماندي من عمليته العسكرية الأخيرة، اشتبك مع القوات البيزنطية- البندقية. وتكبدوا على اثره هزيمة فادحة. ومن ثم عاد أدراجه إلى صقلية.

وبقيت جزيرة " كورفو " محاصرة من قبل القوات البيزنطية التي لم تتمكن من دخولها، لقوة أسوارها ومناعتها، فعمد البيزنطيون إلى سبلٍ أخرى لدخولها. فاهتدوا الى سبيل التفاوض مع قائد الحامية "تيودور Theodore"، حيث تم الاتصال به ونجح مانويل في اقناعه بالتخلي عن الدفاع عن الجزيرة ، والانسحاب بقواته منها، لتتمكن القوات البيزنطية من الدخول، وهكذا تمكن البيزنطيون من فتح الجزيرة ودخولها ظافرين [2].

وهكذا بقيت الأوضاع على ما كانت عليه، إذ لا ينتهي صراع حتى يبدأ آخر أشد وأمر من الذي سبق. وتراوحت الصراعات، والمواجهات، والمفاوضات، بين انتصارات وهزائم. وقد خدمت التحالفات والمعاهدات مصالح الإمبراطورية تارة، وخدمت مصالح النورمان تارة أخرى إلى انتهى الخطر النورماندي على بيزنطة، ليبرز خطر أروبا بأكملها أمام الإمبراطورية البيزنطية، خلال الحملة الصليبية الرابعة.

[1] - نفسه ،ص. 232-233.
[2] - عادل زيتون: المرجع السابق، ص.233 ; Chalandan : Op.Cit., P. 326

I – الإمتيازات التي نالتها البندقية:

أ) البندقية و بازيل الثاني " Basille II " :

لقد امتاز القرن الحادي عشر الميلادي، ببروز القوة البحرية لمدينة البندقية، وبداية انتشار نفوذها على بحر الأدرياتيك [1]، خاصة بعد أن قام الدوق " بطرس أورسيلو "Pierre Orseoli" بتنظيف سواحل الأدرياتيك من القراصنة السلاف، وإخضاع مدينة إستيريا Isteria "، وعمل على فرض رايتها العسكرية على عدة مناطق من سواحل دالماشيا" Dalmatie " على الساحل الشرقي لهذا البحر[2] .

هذا وقد حارب هذا الدوق، الوجود الإسلامي في مدينة باري " Bari "، كما قام بإزاحته من أبوليا " Apulie ". وبهذه النجاحات، اكتسب البنادقة المزيد من القوة والهيبة في البحر المتوسط وبحر الأدرياتيك، كما نال الدوق لقب: " دوق البندقية ودالماشيا " [3]

كما ساعدت الجمهورية الإمبراطورية البيزنطية، على تخليص السواحل الشرقية للبحر المتوسط، من التهديدات التي يشكلها القراصنة. وعلى هذا الأساس، نالت البندقية امتيازات واسعة من الامبرطور بازيل الثاني 860-1025م وذلك اعترافا بهذا المجهود الذي حققه حاكمها وتجسيدا لهذا الاعتراف ، صدر في سنة 992 م مرسوم إمبراطوري يقضي بمنح تجار البندقية مكانة ونفوذا متميزين في ربوع الامبراطورية [4] وذلك من خلال حصولها على امتيازات تجارية منقطعة النظير ما سبقهم اليها غيرهم من تجار المنطقة.
هذا المرسوم الذي منح التجار البنادقة نفوذًا وقوة، خاصة بعدما حصلوا على امتياز مراقبة الملاحة، وعدّة تنازلات في الموانئ البيزنطية[5]. وتضمنت المعاهدة عدّة بنود منها:

- عدم دفع التاجر البندقي عند دخوله أبيدوس " Abidos " رسومًا جمركية في تفوق صولدين عند الدخول، وسبعة عشر صولدي عند المغادرة .

1- Diehl : Op.Cit., P .19.
2- Alvise Zorzi : Op.Cit., p.93. ; عادل زيتون :المرجع السابق، ص. 115
3- Ibid.
4- Ibid.; Diehl: Op.Cit., P.20.
5- Ibid. ; Zorzi : Op.Cit., p.93.

- أن تكون حمولة السفن خاصة بالبندقية وتمنع على اليهود أو الشعوب الأخرى.

- لا يحق للسلطات البيزنطية تأخير إقلاع السفن التجارية للبندقية أكثر من ثلاثة أيام.

- يحظى البنادقة بمهمة تأمين لوسائل النقل اللازمة في حالة رغبة الإمبراطورية نقل قواتها العسكرية إلى جنوب إيطاليا [1] .

ويبدو أنّ هذه الامتيازات، كانت بداية فترة ازدهار تجارة الجمهورية [2] وهذا ابتداءا من القرن 11 م، وأوجدت لها أبواب الثروة، والسلطة، والجاه [3]، وهيأت لها سبل السيادة التجارية على العالم.

ب) امتيازات ألكسيسAlexis سنة 1082 م:

لقد أفضى التهديد الخطير الذي شكله النورمان ضد بيزنطة إلى تحالف بيزنطي بندقي. ولم يكن تحالف البندقية مع الإمبراطورية بدافع المساعدة فحسب، بل يكمن وراءه رغبة جامحة في تحقيق مصالحها أيضا [4]. وإلى جانب ذلك، فقد استغلت مدينة البندقية هذا الظرف الوجه المطلوب؛ إذ فرضت شروطا ثقيلة على بيزنطة مقابل اسداء المساعدة لها. فليس من المنطق بمكان ، أن يقبل كيان صغير و حديث النشأة ، مساعدة إمبراطورية بأكملها، دون مرعاة مصالحها في ذلك.

وقد دل حقا المرسوم الإمبراطوري الذي أصدره ألكسيس كومنين سنة 1082م [5]، على أن مسعى الجمهورية الذي لا يدفعه سوى توق شديد الى خدمة مصالح تجارها وسيادتها.

[1] - عادل زيتون :المرجع السابق، ص.116.
[2] - Diehl : Op.Cit., P. 20
[3] - Zorzi : Op.Cit., P .93.
[4] - ولقد تمّت الاشارة الى المصلحة المشتركة بينهما ضد التهديد المباشر الذي يشكله النورمان خلال العنصر المتعلق به في هذا الفصل.
[5] - Frolow : **Recherches sur la déviation de la IV e croisade,** P.U.F de France, Paris, p.p.155. 13.

وقد قبلت البندقية العرض الذي قدّمته لها الإمبراطورية البيزنطية، بعد الوعود التي أكدّها ألكسيس في مرسومه؛ الذي يُقر معظم المؤرخين بأهميته، وبكونه أحد أشهر المراسيم التي أصدرتها بيزنطة بحق جمهورية البندقية [1]؛ لثقل بنوده التي تخدم البندقية بالدرجة الأولى.

وتشير بعض الدراسات التاريخية، إلى أنَّ أغلب بنود المعاهدة، التي أمضى عليها الطرفان في ماي من سنة 1082م تضمنت إمتيازات ذات طابع تجاري [2]. لكن هذا لا يمنع من ورود بُندٍ أو بُندين يخصان للمصلحة السياسية للدولة.

حيث نال، دوق البندقية لقبًا شرفيًا ولمن يخلفه، وهو بروتوسباستوس " Protosebastos "، مع الراتب المرتبط بهذا المنصب؛ وإلى جانبه حاز بطريق جرادو" Grado " أو اسقف البندقية على اللقَب ايبرتيموس " Hypertimos "، وعلى الراتب المناسب لهذا المنصب ولمن يخلفه [3].

وإلى جانب ذلك، فقد تحصّلت كنائس البندقية على هدايا ثمينة، مُهداة من القسطنطينية، وعلى مبلغ مالي يُوّزع سنويا، يصل إلى عشرون جنيها ذهبيا [4].

ولقد عبَّر ألكسيس كومنين، عن شكره للبنادقة لمّا قدّموه للامبراطورية من مجهودات، في محاربة النورمان، وذكر أنّ كل ما ورد في هذه المعاهدة، ليس إلا إعرابًا وتعبيرا عن عرفانه بخدماتهم الجليلة ومكافأتهم على ذلك [5].

أما فيما يخص، البنود المتعلقة بالجانب التجاري؛ فقد سمح للبنادقة بحرية ممارسة التجارة على كامل التراب البيزنطي بما في ذلك العاصمة القسطنطينية [6]. وكان هذا الامتياز، أعظم ما تصبو اليه الجمهورية على الاطلاق [7]، و نالته حقا بجدارة واستحقاق.

---

[1] - عادل زيتون، المرجع السابق، ص. 116 ; Zorzi, :Op.Cit., P .94 ; Diehl : Op.Cit., P . 32

[2] - Frolow : Op.Cit., P .13 ; Ostrogorsky: Op.Cit., P.379.

[3] - Anne : Alexiad, T .1 , P.54 ; Chalandon : Op.Cit., P. 82 ; Ostrogorsky: Op.Cit., P .397.

[4] - Anne : Op.Cit., P .54 ; Ostrogorsky: Op.Cit., P .379.

[5] - عادل زيتون :المرجع السابق، ص. 117.

[6] - نفسه.

[7] - Zorzi : Op.Cit., P .96

وعملا بوعده أمر الإمبراطور، كل أصحاب الدكاكين بالقسطنطينية من أصول مدينة "أمالفي"، أن يدفعوا ضرائب وإتاوات لكنائس القديس مرقص بالبندقية [1] ، وقد بلغت قيمتها حوالي ثلاث صولدات ذهبية [2] .

وبموجب هذا المرسوم أيضا، تحصّلت البندقية، على محلات تجارية الواقعة بين رصيف اليهود ومنطقة " بيقـلا " Bigla " بالعاصمة؛ فضلا عن عدّة مبان بهذه المدينة [3]. [3]. ويعرف اداك بإسم: " الحي البندقي ". أيّ ما يعني، أنَّ البنادقة امتلكوا حيًا خاصًا بهم، بهم، في أفضل منطقة بالعاصمة البينزنطية، والواقعة على ساحل القرن الذهبي [4]. وذلك بموجب حق التملك الذي حازت عليه البندقية، ويوجد في الحيّ كل مستلزمات حياة الرغدة، من المحلات التجارية [5]، وأرصفة الإبحار، والمنازل الفخمة، و الكنائس ذات الأشكال العمرانية الباهية، ولعلّ أشهرها كنيستين: سان أوسيدينو " Saint Aucindino " و سان نيكولا دي أمبولا " Saint Nicola de Embula" و كذا عدد كبير من الأسواق [6]. ويُضاف إلى كل هذا الثراء امتلاك الجمهورية لمطحنة ومخبزة ومكاييل ومقاييس للزيت والخمور [7].

وأدى امتلاك هذه الوسائل والمباني في القسطنطينية إلى توفر شروط الإستيطان، لذلك توافد البنادقة إلى حيّهم، لممارسة التجارة. فتطورت القاعدة من وجود جالية بندقية إلى مُستعمرة تجارية ذات طابع لاتيني [8] بالقسطنطينية. ونتج عن هذه الوضعية المتميزة والفريدة الى تجمع ثروات أضحت بحوزة البنادقة، مما جعلهم ينفردون بمعاملة خاصة نظرا للمكانة التي يتمتعون بها[9].

---

[1] - Anne : Alexiad , T. 1, P .54.

[2] - عادل زيتون :المرجع السابق، ص. 117.

[3] - Anne : Op.Cit., P .54.

[4] - Yves ,Renouard : Op.Cit., P .54 ; Diehl: Op.Cit., P .37.

[5] - Ostrogorsky : Op.Cit., P.386.

[6] - Diehl : Op.Cit., P .37 ; Zorzi: Op.Cit., P .94.

[7] - Ibid.

[8] - عادل زيتون :المرجع السابق، ص.118 ;Diehl: Op.Cit., P . 37

[9] - Ibid; Chalandon: Les Comnénes, P .156.

ولقد تمحورت الامتيازات التجارية، التي نصت عليها بنود المعاهدة، فهي على درجة كبيرة من الأهمية، حيث يُعفى التجار البنادقة من كل أنواع الضرائب والرسوم الجمركية، في كافة أرجاء الإمبراطورية. ولهم حرّية ممارسة التجارة، بكل أنواعها، دون الخضوع لمراقبة جمركية، أو تفتيش من قبل الموظفين البيزنطيين [1].

وبمعنى آخر، فلا يدفع التاجر البندقي، أي نوع من أنواع من الرسوم، عند البيع أو شراء السلع، وعند دخول أو خروج السفن. ويُمنع تفتيش بضائع البنادقة سواءً عند الوصول الى الموانئ أو عند المغادرة؛ ولا يدفعون أيّة ضريبة عند إرساء وتحميل وشحن أو تفريغ البضائع أو الاستيراد. وباختصار، فإن البنادقة معفيون بشكل تام ونهائي من جميع الضرائب،ليس في القسطنطينية فحسب، بل على كامل الأراضي البيزنطية، وبقرار من الإمبراطور البيزنطي نفسه [2]

هذا الإعفاء التام من الضرائب، لم يكن مسموحًا به، حتى للبيزنطيين، وتجار الإمبراطورية [3].فهذا البُند، ستكون له انعكاسات مؤثرة وسلبية على مستقبل الإمبراطورية.

ولم تقتصر الامتيازات على التجار القاطنين في القسطنطينية، إنما شملت جميع أنحاء الإمبراطورية، خاصة ما يتعلق بالموانئ.فكانت حاجة البندقية إلى الموانئ البيزنطية كبيرة، لأن استمرارها يتوقف على التجارة.لذلك سعت ومنذ البداية إلى ضمان حريّة ممارسة التجارة في أكبر عدد ممكن من الموانئ التي تخضع للإمبراطورية البيزنطية[4].

ولعلّ ألكسيس لم يدرك خطر هذا، فمنح البنادقة هذه الامتيازات، التي لم تتردد المدينة في قبولها واستغلالها.

وقد ورد في المعاهدة أنّ البندقية، تمتلك حق التجارة، في الموانئ الواقعة في المناطق التالية:

1- Diehl: Op.Cit., P .37 ; Anne: Op.Cit., P . 55 ; Ostrogorsky: Op.Cit., P .385.

2- Anne : Alexiad, P .55 ; Chalandon : Op.Cit., PP. 82-83.

3- عادل زيتون :المرجع السابق، ص.118.

4- Anne : Alxiad, P .55.

بالنسبة لمنطقة الشام، تمحورت أهم الموانئ في(:Attalia , , , Antioche- Laodicée[1]
وهي باللغة العربية على التوالي أنطاكية ، اللاذقية ، أتاليا، طرسوس.

أما في آسيا الصغرى، فكانت أغلب الموانئ والمحطات التجارية التي حظيت بها البندقية، هي:

Mamistra ,cilicie, pamphylge, Strabilos, Chio, Ephese, Phocée

أما في أسيا الوسطى فقد حظيت ب: طرسوس وأضنة

إلى جانب هذه، نالت البندقية إمتياز ممارسة التجارة في إل يريا بـ: دزرازو، أفلونا ،كورفو، بوميدزا : Durrazzo, Avlona, Corfou, Bumditza

وكذا موانئ مودون وكورن " Coron و Modon " في مورى " Morée "؛

أما بالنسبة للبيلوبونيز ♦ فقد تحصلت على حرية التجارة في : نوفي ، كورانث ، طيبة، أثينا، نيقروبونت. Nauphie, Corinthe, Thébes, Athénes, Négropont

هذا بالإضافة إلى ، اليونان الوسطى ديميتريوس " Demétrios" في خليج " Volo " وزد عليه هذه كلها، موانئ سالونيك، وكريسوبوليس" Chrysopolis " وبرتيوسريان"Pérgthéosrien" وأبيدوس " Abydos" وأندرينوبل " Andrinople*" وأبروس " Apros" وهرقلية " Hércalée" وساليبرية " Salymbria "في منطقة " Chersonés " وفي thrace تراقيا[2]

وبموجب هذه الامتيازات، انفتحت التجارة البندقية على العالم، ودخلت مرحلة جديدة من تاريخها، وهي مرحلة " التجارة العالمية "[3] .

---

[1] - Chalandon : Essai, P. 83.
♦Peloponése
*- أندرينوبل: تسمى قديما Andrinipolis وهي مدينة محصنة ومليئة بالكنائس الاغريقية القديمة وأسوارها عديدة وعالية وحيوية بالمخارن والدكاكين والحدائق والحرفيين والمنازل جميلة ، انظر: Gaffot : Op.Cit., p.8.
[2] - Chalandon :Essai, P . 83 ; Zorzi : Op.Cit., P .94 .
[3] - Diehl : Op.Cit., P..32.

لذلك يصفها " Diehl " بأنها تعتبر بداية ولادة جديدة للتجارة، التي تتحكم في زمامها مدينة البندقية. هذا ولم يدرك الإمبراطور البيزنطي أبعاد خطورة الأمر، وخطورة هذه الإمتيازات التي قدمها للبنادقة، إلا بعد فوات الأوان، أي عند تكاثر البنادقة في العاصمة، واقامتهم لعدّة مستوطنات هناك. والغريب في الأمر، أنّه حتى المؤرخة " Anne Comnène" دقت ناقوس الخطر في اوانه، حيث تناولت باستمرار الخطورة التي بات يشكلها هذا الوضع على مصالح بيزنطة ومستقبلها الاقتصادي والسياسي.

II – توتر العلاقات بين البندقية وبيزنطة:

أشادت أغلب المصادر التاريخية، بالعلاقات المتينة التي ربطت البندقية بيزنطة رغم ما تخللها من فترات جفاء وفتور، وذلك لكونها كانت طويلة الأمد.

ففي خلال تحالفهما ضدالنورمان، ساءت العلاقات بينهما، وذلك بظهور خلاف بين الجنود المجادفين. ثمّ تطور هذا النزاع، لينتشر بين الجنود البيزنطيين والبنادقة.وكان هؤلاء الأخيرين، يشعرون بالتفوق في الفنون العسكرية وفي الملاحة، لذلك وصل الخلاف إلى قتل بعض البيزنطيين، فسارع الضباط إلى تهدئة الأوضاع، ولمّ شمل الجنود والحفاظ على النظام،فلنقلبت بذلك الكفة لصالح بيزنطة. وغادر البنادقة في سفنهم وأبحروا إلى جزيرة صغيرة [1]،هروبا من البيزنطيين، الذين كانوا منزعجين منهم. خاصة بعد أن قاموا بنهب وسلب السفينة الإمبراطورية، وعملوا على الاستهزاء بشعارات الإمبراطور [2].

وبهذا العمل الذي أغاظ الإمبراطور، وحرّك أحاسيسه ضد البنادقة، وخاصة وأنّه كان يحمل ضغينة وحسدًا تجاه هؤلاء، وأنه كان يتحين الفرص لينتقم منهم [3].

لكن سرعان ما تم استدراك الوضع، لأنهم كانوا في مواجهة خطيرة ضد عدو واحد، ولأن مانويل كومنين، أدرك ضرورة وجود الأسطول البندقي للدفاع عنه وعن إمبراطوريته، فقرّر إعادة المياه إلى مجاريها مع البندقية،وهدأت الأوضاع بين الطرفين، وعادت سفنها إلى أماكنها واستأنف البنادقة الحرب ضد النورمان[4].

ولسوء الحظ، فإنّ هذه الهدنة، لم تدم طويلا، وسرعان، ما ساءت الأمور بينهما من جديد، بسبب المعاملة السيئة التي أبداها الحاكم مانويل اتجاه البنادقة.

ونظرا لأهمية الموقف ودور البنادقة و ثقلهم في القسطنطينية؛ فقد تعددت الدراسات واختلفت الروايات التاريخية حول أسباب تلك المعاملة . فيذكر المؤرخ فرديناد

---

[1] - تقع هذه الجزيرة ، بالمقال من جزيرة كورفو، أنظر Chalandon : Jean II et Manuel , P .329

[2] - Ibid.

[3] - Ibid.

[4] - Ferdinand,Chalondon :Les Comnène , Etude sur Byzantin Jean II Comnène Manuel I Comnène, Alphonse Picard et Fils , Paris, France, 1912, P .386.

شالندونChalandon، أنّ السبب الأول والمباشر، هو ردٌّ فعل طبيعي على ما قام به البنادقة من استهزاء ومكر ضد الإمبراطور. وإلى جانب ذلك، يؤكد على غضب مانويل الشديد من عدم مساعدة البنادقة له في مواجهة النورمان. كما يستشف من خلال ما رواه، عن حاجة بيزنطة المُلِّحة للثروات والمال، ذلك لأن الخزينة تشتكي نُقصًا ماليًا. فوجد الإمبراطور في ثروات البنادقة وأملاكهم وأموالهم، وسيلة لتحسين وضعه المادي [1] من جهة، وكان يرى في ذلك انتقاما له منهم.

في حين اختلف هايد " Heyd " عن سابقه، ويرى أن سبب معاملة مانويل " السيئة للبنادقة ومصادرة أملاكهم، كانت من فعل البنادقة أنفسهم "ذلك، لأنهم، كانوا يتفاخرون ويظهرون التفوق على البيزنطيين، ولم يأت ذلك من العدم؛ بل بحكم الامتيازات التي منحهم لهم ألكسيس كومنين. فهو الذي سمح لهم بحق التملك والحرية، سواء في التجارة أو في الاستيطان. لذلك حازوا على مكانة ومعاملة خاصة من قبل الحاكم، ما سمح لهم في الأخير بالتمادي في معاملة السكان وإظهار التفوق واحتقارهم، فانتشرت بذلك المشاكل وكثرت الاضطرابات[2].

ويذكر أوستروجرسكي" Ostrogorsky " أن قلق الطرفين من بعضهما البعض هو السبب الكامن وراء سوء العلاقات بينهما. حيث شعرت البندقية بالخوف، من محاولات بيزنطة العديدة للسيطرة على دالماشيا، وضمِّها إلى ملحقاتها البيزنطية. وقد ينتج عن ذلك، نهاية المصالح المشتركة في المجر " هنغاريا ". ومن جهة أخرى كان الإمبراطور، يشعر هو الآخر بالقلق الشديد من الامتيازات التي أثقلت كاهل البيزنطيين والإمبراطورية على حدّ سواء. إذ أنها باتت تُضرُ الإقتصاد البيزنطي، وتُهدد كيانه الذي بدأ يضعف يومًا بعد يوم [3] .

1- Chalandon : Op.Cit, PP. 386 ,387.

2- Histoire du commerce Du Levant au Moyen- Age, Leipzig , Paris, France, 1885 T. I , P .215-216.

3- Op..Cit., P. 412.

لذلك عمد مانويل كومنين، إلى تخفيف معاملاته مع البنادقة، والبحث عن حلفاء إيطاليين جُدد من جمهورية بيزا وجنوة بين سنتين 1169 و 1170م. وبهذا الإجراء الإمبراطوري، بلغ السيل الزُبىَّ، وساءت العلاقة أكثر فأكثر [1].

وقد أدخل مانويل مشروعه حيّز التنفيذ، بأن أمر سلطاته المنتشرة في ربوع امبراطوريته، بأن تُصادر أملاك البنادقة وتُلغى امتيازاتهم التجارية، وتصادر سلعهم، وسفنهم، وتحرمهم من الحقوق [2]، التي منحها ألكسيس لهم بمرسوم 1082م. لذلك، واعتبارا من 1170م و1171م، ساءت الأمور إلى درجة كبيرة [3] .وتعقدت إلى غاية نشوب الحرب بين مدينة البندقية والإمبراطورية. وقد رافق هذا الإجراء، سجن البنادقة المتواجدين في بيزنطة [4].

هكذا استطاعت البندقية أن تحوز على المكانة المرموقة لها في بيزنطة. بعدما حظيته من امتيازات و تحفيزات في القسطنطينية، لذلك اعتبر تحالفها مع بيزنطة مشروعا رابحا ، ليس فقط بدرء الخطر الذي كان يهددها ، انما استطاعت أن تنجح في ايجاد مكان لها في الامبراطورية البيزنطية ، انتظارا لبداية الحملة الصليبية الرابعة.

[1] -Ibid.؛ انظر تفاصيل الأحداث التي وقعت بين البنادقة و البيزنطيين وسوء معاملة الامبراطور لهم في الصفحة رقم 118 من الفصل الثالث.
[2] -Ibid. ; Chalandon : Jean II et Manuel, P . 387 ; Heyd : Op.Cit., P .412.
[3] -Ibid. ; Ostrogorsky : Op.Cit., p.412.
[4] -Ibid.

الفصل الثالث

الحملة الصليبية

الرابعة

I) أسباب الحملة الصليبية الرابعة

1- جذور فكرة احتلال القسطنطينية

أ- محاولات النورمان احتلال المدينة

ب-محاولات الألمان احتلال المدينة

ج-محاولات البندقية احتلال المدينة

II)دور البندقية في الحملة الصليبية الرابعة

1-أسباب الحملة الصليبية الرابعة

أ- **جذور الحملة الصليبية الرابعة**

ب- **الأوضاع العامة قبيل الحرب الصليبية الرابعة**

- أوضاع أوربا الغربية

-أوضاع البنادقة في القسطنطينية

-أوضاع بيزنطة الداخلية والخارجية

ت- **_ الإعداد للحملة الصليبية الرابعة**

_ دعوة البابا انوست الثالث للحملة.

_ تحديد وجهة الحملة.

_ المفاوضات مع البندقية.

2-مراحل الحملة الصليبية الرابعة

أ- **الإنحراف الأول للحملة**

- الإعداد للحملة.

_ خروج الصليبين من البندقية.

_ مسألة الديون مع دوق البندقية.

_ استرجاع "Zara" ضمن أملاك البندقية.

ب- **تغيير مسار الحملة.**

- تغيير مسارالحملة الصليبية الرابعة.

- نظرية الصدفة. " Occasion"
- اجتياح القسطنطينية نظرية التعمد « prémeditation »

ت- **استرجاع العرش البيزنطي**.

- ألكسيس انجلوس عند الصلبيين
- سيرالحملة
- حصار القسطنطينية ودخول الصلبيين
- تتويج ألكسيس الرابع وإسحاق انجلوس

3-سقوط القسطنطينية البيزنطية

أ- موقف ألكسيس أنجيلوس

ب- الحرب اللاتينية البيزنطية

ت- سقوط القسطنطينية بين أيدي اللاتين

أسباب الحملة الصليبية الرابعة

1- جذور فكرة احتلال القسطنطينية

أ- محاولات النورمان احتلال المدينة:

تعددت محاولات القادة الأوروبيين لاحتلال العاصمة البيزنطية -القسطنطينية-، ولعل أهم هذه المحاولات، تلك التي قام بها النورمان، اذ بات احتلال القسطنطينية هدفا لعملياتهم العسكرية، وتوسعاتهم في الحوض الشرقي للأدرياتيك.

وترجع هذه المساعي الى عهد القائد النورماندي "روبرت جويسكارد " دوق أبوليا وقلورية، احتلال العاصمة سنة 1068م وامتدت إلى غاية سنة 1081م. وعلى الرغم من فشل محاولاته ، لكنها في حقيقة الأمر كادت أن تفتك وتظفر بالقسطنطينية؛ كما تسببت الخوف والرعب لدى امبراطورها ورعاياه[1].

ولم ينته خطر النورمان بموت "جويسكارد" في سنة 1085م ، بل ظل مشروع افتكاك العاصمة البيزنطية قائمة إلى عهد أبنائه، فهم أيضا ورثوا عن أبيهم عداءه للبيزنطيين.

ففي سنة 1107م، حاول بوهيموند الأول "Bohémond1" إنهاء الحكم البيزنطي وحذا حذوه ابن عمه روجر الثاني "Roger2" سنة 1147م، وتبع خطاهما وليام الثاني "Guillaume II" في سنة 1185م. غير أن مساعيهم منيت بالفشل، رغم الخطر الذي شكلوه على بيزنطة[2].

ب-محاولات الألمان احتلال المدينة:

ولم يكن تهديد النورمان هو الوحيد على أمن القسطنطينية، بل سعى الألمان أيضا إلى تنفيذ مشروع إزالة الحكم البيزنطي في الشرق، وإقامة إمبراطورية لاتينية بقيادة الألمان.

1_ Ostrogosky,G : Histoire, pp.437,438.

2_ Frolow (A)Recherches sur la déviation de la VI croisade vers constantinople, P.U.F.,Paris,France,1955,p12.

فبعد أن توترت العلاقات بين الغرب اللاتيني والشرق البيزنطي، ابتداء من سنة 1182م[1]، وطبقا لمبدأ "عدو عدوي صديقي"، كان التحالف أفضل وأسرع وسيلة للتخلص من العدو المشترك "بيزنطة".

لذا قام حاكم ألمانيا فريدريك باربروس 1122-1190م " Frédéric Barberousse" بالتحالف مع النورمان، وعقد معهم صفقة زواج مربحة أكسبته الكثير من الوقت والقوة. إذ زوج ابنه من وريثة العرش النورماندي كونستانس "Constance"*، من أجل توحيد القوى العسكرية وتشكيل خطر مباشر أكبر من الذي سبق، وبهذا تتضاءل قدرة بيزنطة على الدفاع عن نفسها، وتكون نهايتها أمرا محتوما.

وقد حدث وأن خرج فريدريك بقواته صوب الشرق في حملة صليبية جديدة سنة 1189م، بعد أن شجع البلغار والصرب وملك المجر على التحالف معه ضد بيزنطة.

في نفس الوقت، الذي تحالف فيه الإمبراطور إسحاق أنجليوس مع صلاح الدين الأيوبي ضد سلطان قونية. وذلك من أجل عرقلة مسير فريدريك إلى الشرق، بينما يقوم صلاح الدين بإرجاع الأماكن المقدسة من بيزنطة[2].

ولما تقدمت القوات الألمانية واحتلت منطقة فيلبوبوليس "Philoppolis"[3]، تحرك الإمبراطور البيزنطي إسحاق بسرعة، وكتب إلى القائد الألماني رسالة عرض فيها عليه: ..أن يقوم إمبراطور بيزنطا بتسخير سفنه لنقل قوات فريدريك إلى هيليسبونت "Hellespont" في آسيا الصغرى.وأن يمنح له باربروس الأسرى الألمان ويعيد نصف الأراضي التي احتلها الألمان في آسيا إلى حوزة بيزنطة.

وقد بعث فريدريك سفراء إلى البلاط البيزنطي، ليمثلوه أمام إسحاق أنجيلوس،

1- Vasiliev : Histoire de l'Empire Byzantin (1081-1453), trad :A.Bounguine , Picard, Paris, France,t2, 1932,p.92.

*-انظر تفاصيل هذا الزواج السياسي في؛ رشيد تومي: العلاقات الخارجية لمملكة صقلية في عهد النورمان منذ وفاة الملك روجر الثاني الى سقوط المملكة (1154-1194م)، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2005-2006، غير منشورة، ص. 137.

2- Vasiliev :Ibid._.

3- فيليبوليس: مدينة بلغارية وكانت في العصور الوسطى من أشهر وألمع مدن الامبراطورية البيزنطية، واتخذت اسمها من ملك مقدونيا فيليب الثاني أب الاسكندر الأكبر، وهي تعادل حاليا مدينة Plovdiv ،انظر: Gaffot : Op.Cit. , p.7 ; Larousse Univesel : Op.Cit ,t2, 82.

ولياقشوا شروط تلك الرسالة، لكن الإمبراطور قام بسجن هؤلاء السفراء الألمان. وعلى إثر ذلك أضحت مسألة إسقاط العاصمة البيزنطية حتمية بالنسبة إلى فريدريك باربروس[1].

فبعث إلى ابنه هنري السادس، بتجهيز قوات أخرى وبتحريض أوروبا اللاتينية والبابا لمحاربة البيزنطيين؛ في حين استولت قواته (فريدريك) على ادرنة "Andrinople" وعلى تراقيا "Thrace" في سنة 1190م، ووصلت جيوشه إلى أسوار القسطنطينية[2].

فانتشر على إثر ذلك، الخوف والذعر بين السكان، خاصة بعدما تأكدوا من أن مدينتهم أوشكت على السقوط بيد الألمان. ولم يكن أمام الحاكم البيزنطي في ظل خطورة الوضع إلاّ أن يرضخ للهدنة وأن يعقد الصلح مع عدوه الألماني "فريدريك" في مدينة أندربنوبل. فرسخ الطرفان الشروط التي تضمنتها رسالة الإمبراطور إلى ملك ألمانيا[3].

ويذكر المؤرخون، تحركات الامبراطور الألماني ووريث فريدريك "هنري السادس" "Henri VI" الذي ورث عن والده القوة والشجاعة والجرأة في التصريح بطموحاته وأهدافه. ولقد ازداد نفوذه، حين تزوج من وريثة الملك النورماندي في صقلية* سنة 1194م[4].

ولعل أولى تلك الطموحات، هي تأسيس إمبراطورية في البحر المتوسط وذلك بعد انهاء الوجود البيزنطي واعتلائه عرش الإمبراطورية[5].

وفاقت جرأته جهود البابا سلستيان الثالث، الذي اكتفى بنصحه بعدم الهجوم على القسطنطينية. لكنه وإدراكا منه، بالقوة التي سينالها بإسقاط العاصمة البيزنطية وبأهمية منصب الإمبراطور، لم يكترث لنصائح البابا بل على العكس، كان يهدده بإزاحة السلطة المطلقة التي كان يتمتع بها منه. وراح يجهز لحملة جديدة ضد الشرق– الشام في سنة

1_ Vaslliev: Op.Cit.,pp.92.93 ; Ostrogosky :Op.Cit.,pp.437,438.

2_ René,Grousset :Empire de Levant,p.443 ; Frolow :Op.Cit.,p.12

3_ عادل زيتون: العلاقات الكنيسية، ص.290 ; Frolow : Ibid. ; René Grousset : Op.Cit., p.443

*–صقلية: طولها سبعة ايام وعرضها مسيرة خمسة أيام ، وهي أرض تمتاز بكثرة الخصب وسعة العمارة والغنى، ومشحونة بالارزاق على اختلافها ، انظر : ابن جبير: رحلته ، ص 296، 297.

4 _نفسه.

1_ ستيفان رانسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، تر:السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، لبنان،1980، ص.196،198.

1197م، ولقد كانت وجهة هذه الحملة محل مناقشة الدارسين، حيث أكد المؤرخ نقتاس قونياتس؛ على أن هنري كان جادا في تحويل الحملة الصليبية إلى بيزنطية، في حين تقول بعض الدراسات، أنها مجرد تهديدات وابتزاز للإمبراطورية، لتمنح له الأموال-الضريبة الألمانية-ليحقق بها مآرب أخرى[1].

غير أن المنية باغتته في سنة 1197م، وهو في طليعة الجيش لينفذ مشاريعه التوسعية ضد بيزنطة، وبهذا أراح بيزنطة من الضريبة الألمانية الثقيلة ومن التهديد الذي يشكله على البابوية[2].

ج- محاولات البندقية احتلال القسطنطينية:

على الرغم من العلاقات الطيبة التي جمعت بين البندقية وبيزنطة، والامتيازات والمصالح التي ربطت بينهما، إلا أنها تخللتها فترات من الجفاء، وتوتر العلاقات، خاصة في عهد يوحنا كومنين (1118م-1143م) وخليفه مانويل كومنين (1143م-1180م).

حين اعتلى يوحنا عرش الإمبراطورية البيزنطية فيعام 1118م، كانت الدولةالنورماندية تعيش في انحطاط وتدهور؛ لذا قرر في سنة 1122م عدم تجديد الإتفاقية المتعلقة بالإمتيازات سنة 1082م. وذلك اعتقادا منه بزوال الخطر النورماندي، فإن ذلك لا يستدعي منه منح تلك الإعفاءات والإمتيازات التي يتمتع بها البنادقة في الإمبراطورية، وقد كان قراره هذا، ناتجا عن إدراكه التام بتفوق البندقية الإقتصادي واحتكارهم للتجارة في العاصمة خاصة[3].

2_ عادل زيتون: العلاقات الكنيسية، ص292،(ويذكر هذا المؤرخ تفاصيل أكثر دقة عن رسائل هنري إلى الإمبراطور البيزنطي وتهديداته تلك، وعن قيمة الأموال الذي طلبها هنري كتعويضات لخسائر والده وذلك في نفس المرجع بداية من ص 291،292.)

2_ Ostrogosky :Op.Cit,p.438 ; Frolow :Op.Cit,p.12;Grousset : Op.Cit,p.443.

3_ عادل زيتون: العلاقات الكنيسية، ص259.

وفي نفس السياق، يذكر "كيناموس" أن الإمبراطور لم يكتف بعدم تجديد الإمتيازات، إنما قام بطرد البنادقة المقيمين هناك بالقسطنطينية[1].

وعندما وصلت هذه الأخبار إلى الدوق" دومينيكو ميشال "، غضب لذلك، ومن معاملة يوحنا كومنين للبنادقة. فقرر الهجوم على القسطنطينية وهو في طريقه إلى الشام[2]– بيت المقدس–.وبالفعل جهز حملة، وخرج الدوق في 8أوت 1122م، وعبر دالماسياوكورفو فبلغها في فصل الخريف. وتذكر الدراسات أن البنادقة حاصروا هذه الجزيرة وقضوا فيها فصل الشتاء(*)

وبحلول فصل الربيع من سنة 1123م؛ تحرك أسطول البندقية باتجاه الشرق، أين توقف في مودن "Modon" ورودس "Rhodes" وقبرص"Chypre"[3]، خلال عودة الدوق وأسطوله من الشام في سنة 1124م، أرسى أسطوله في رودس "Rhodes"، لتحميل الذخيرة والمؤن. لكن قابله هناك البيزنطيون بالرفض وعاملوه معاملة سيئة[4].

وانتقاما منه لهذا وذاك، اقتحم الدوق والبنادقة المدينة ونهبوها، وكانت جزيرة خيوس "Chios" الهدف التالي، فتعرضت هي الأخرى للنهب والسلب، وأصبحت قاعدة أساسية لعمليات الدوق البحرية خلال فترة الحملة إلى سنة 1125م. وفي هذه السنة، استولى الدوق "دومينيكو" على جزر " ساموس" و" ليسبوس " وكذا جزيرة " أندروس ". وفي أواخر سنة 1125م، تحرك الأسطول البندقي إلى " مودن " لنهب وسلب بعض سواحل دالماسياو الأرخبيل اليوناني، ثم قفل راجعا إلى بلاده[5].

1_ Op .Cit.,p.181.

2_ عادل زيتون:المرجع السابق، ص.259. ; Chalandon : Les Comnénes,p157

(*)أن ويذكر شالندون أن البنادقة دخلوا إلى كورفو في خريف 1122م وقضوا الشتاء فيها في حين أشار عادل زيتون إلى الدوق اكتفى بحصارها لكن ألح عليه الصليبين بفك الحصار عن كورفو للإتجاه بهم إلى الشام ؛ (انظر نفس المرجع ص.259.)

3_ Chalandon : Les Comnénes,p.157.

4_عادل زيتون:المرجع السابق، ص،259،260

5_ نفسه ،ص. 158. وانظر الى: Chalandon : Les Comnénes, pp.157,

وبنجاح هذه الحملة في نهب وسلب بعضا من الجزر البيزنطية، تشجعت البندقية في السنة التالية وجهزت العدة لحملة أخرى إلى جزيرة كيفالونيا "Céphalonie"[(*)1] وبتقدم القوات البندقية نحو تلك الجزيرة لم يكن بوسع يوحنا2 كومنيين، مواجهة قوة وصلابة أسطول مدينة البندقية، فأرسل إلى دوق دومينيكو يطلب التفاوض معه.

ومن أجل إنقاذ مصالح البندقية التجارية مع بيزنطة، ومن أجل استعادة قوتها ونفوذها في القسطنطينية. قبل الدوق باقتراح الإمبراطور، وتبادلا الرسل والسفراء. ووقع الطرفان على اتفاقية سنة 1126م. هذه الإتفاقية التي تقتضي باعتراف الإمبراطور البيزنطي بالإمتيازات التي منحت للبنادقة في عهد ألكسيسI سنة 1082م[2].

وهكذا استخدمت البندقية أسلوب القوة، والتهديد المباشر على الإمبراطورية، من أجل استرجاع مصالحها التجارية معها وضمان مكانتها المرموقة فيها... وقد نجحت في ذلك .! لكن مهما حدث، فان العلاقات انقطعت للمرة الأولى وساءت الأمور الى درجة يصعب اصلاحها . لان الثقة فقدت، وزرع الشك في نفوس الطرفين. لذلك سيبقى نوع من الخوف والحذر قائما بين البندقية والامبراطورية البيزنطية؛ لان كل ما يتكسر لا يصلح.

2_ الأوضاع العامة قبيل الحرب الصليبية الرابعة:

ساهمت الظروف السياسية والاقتصادية في تهيئة ذهنيات سكان أوروبا للقيام بحملة صليبية جديدة.

1_ Ibid.

(*)Céphalonie: من أكبر الجزر اليونانية وتقع على البحر الأيوني

2_عادل زيتون:المرجع السابق، ص260

أوضاع أوروبا الغربية:

كانت أوربا الغربية عشية الحملة الصليبية الرابعة، تعيش توترا داخليا مس أغلب دولها، وقلقا خارجيا بسبب تقدم وتطور قوة دولة على حساب أخرى وتصادم مصالحها.

فملك فرنسا فيليب أغوست "Philippe Auguste" كان منشغلا بمشاكله الشخصية ومنازعاته الداخلية. بينما انهمك ملك إنجلترا يوحنا الذي يلقب:"Jean sans terre" بحروبه ضد البارونات وقوة تصاعد نفوذهم في المملكة(*). في حين وصلت الصراعات السياسية في ألمانيا إلى ذروتها، بين فيليب دي سواب "Philippede Souabe" الذي استحوذ على أملاك أسرة هوهشتاوفن "Hohéstaufen" وبين أوتودوبرنسفيك "Othonde Brinsvik" مرشح أسرة الولفيين لمنصب الملك[1]. وكان محور هذا الصراع التاج الألماني، الذي كان صاحبه الشرعي فريدريك3 "Frédéric" طفلا صغيرا يرعى البلاد التي تركها والده "هنري السادس" ممزقة إلى شطرين في خضم تلك النزاعات.

هذا إلى جانب، التهديد الذي شكله كل من الألمان والنورمان وتزايد قواتهما وتوسع نفوذها، ورغبتهما الجامحة في تأسيس إمبراطوريات وممالك خاصة بهما، تشمل أوربا الغربية منها والشرقية. ولعل محاولات كل من الألمان والنورمان توسيع رايتهما السياسية تجاه الشرق، كان بمثابة تأكيد لمشروعهما[2].

أما أوضاع الجمهوريات الإيطالية فهي أيضا كانت تعيش ظروفا سيئة تراوحت بين التوتر والصراع.

فقد كانت البندقية على غرار دول غرب أوروبا، تعيش أوضاعا خارجية صعبة و تعاني من أزمات عديدة. حيث أنهكتها هجمات النورمان المتواصلة وخطرهم الداهم على رجواز "Raguse". كما لم يكن النورمان التهديد الوحيد على مدينة البندقية، فقد برزت القوات

(*)- هذا بعد وفاة ريتشارد قلب الأسد في Richard cœur du lion انظر: ستيفان رانسمان: المرجع السابق، ص199. مارس 1199م،

1_ Ibid. ;Vasiliev :Op,Cit., t1 ,p.99.

2_ Ibid ;Gibbon :Op .Cit. ,p.707.

المجرية(*)واستولت على سواحل دالماشيا وزارا "Dalamatie et Zara" بين سنتي 1168م و 1186م[1].

هذا إلى جانب بروز قوة الجمهوريات الإيطالية، كجمهورية بيزا "pise" وأنكونا "Ancone" وجنوة "Génes" بداية من القرن 12م.

وقد تحالفت تلك الجمهوريات فيما بينها ضد البندقية، وقامت بتشجيع زارا "Zara" وباقي الجزر المجاورة لها حتى منطقة إيستريا "Istrie" للثورة ضد النفوذ البندقي.

هذا التوتر الذي سببته بيزا في الأدرياتيك، كلف الكثير من الوقت والجهد للبندقية، التي تواجهت عسكريا معها في 1195م[2]، لكي تسترجع مكانتها في بحر الأدرياتيك ونفوذها التجاري فيه.

وفي وسط هذه الأزمات والمخاطر التي تهدد كيان وأمن البندقية، قد ازدادت المشاكل التي عرفتها المدينة مع الشرق البيزنطي وساءت الأوضاع أكثر.

ب_ وضع البنادقة في القسطنطينية:

عاش البنادقة في العاصمة البيزنطية وضعا اقتصاديا ممتازا بداية من عهد الكسيس كومنين. لكن سرعان ما يتغير الوضع، وينقلب رأسا على عقب في عهدي يوحنا ومانويل. ففي ظلهما يحصد البنادقة شر ما زرعوا؛ ولعل مرجع ذلك الى ما يلي من الأحداث:

تمتع البنادقة بخير الامتيازات التي منحهم إياها الإمبراطور ألكسيس كومنين بموجب المرسوم الذي أصدره سنة 1082م، وعلى أساسه نال أهل البندقية مكانة مرموقة في القسطنطينية. وتوسع نفوذهم الإقتصادي بما فيه السياسي[3]. وعاشوا في كنف العز والرفاهية.

لذلك باتوا يبدون التميز والتفوق على البيزنطيين، ويظهرون القوة والتعجرف والإحتقار لأهل القسطنطينية. فهذا المؤرخ كيناموس يشهد بالمعاملة السيئة التي عاملوا بها

(*)_ . يذكر تيريت فريدي أن المجر تحالف مع الصرب ضد البندقية لاحتلال منطقة دالماسيا,Op.Cit., p.36

1_ Dichl:républiques,p.46 ; Frolow :Op.Cit., p.14.

2_ Ibid.؛Freddy :Op. Cit., pp.36,37; Diehl : Op. Cit., p.46;.

3_ Jean Kinnamas :Op.Cit.,p.181.

البيزنطيين وبإظهارهم للكبرياء، وانتشرت تلك التصرفات حتى بين أفراد الطبقة الراقية، فما بال الطبقة العامة منهم إذا؟

لهذا فقد استاء البيزنطيون استياء شديدا، وأبدوا تذمرهم من تحكم البنادقة بالاقتصاد المحلي، وبالمكانة الهامة التي يتبوءونها، والامتيازات والإعفاءات التجارية المسموحة لهم، والتي لم تكن مسموحة حتى للبيزنطيين[1].

وبعد أن توترت العلاقات بين "يوحنا كومنين" و" الدوق دومينيكو ميشال"، وحملات هذا الأخير ضد بيزنطة بين سنتي(1122م-1226م) والتي كانت تنديدا وانتقاما للبنادقة من الإمبراطور. وبعد أن أعيدت العلاقات والامتيازات إلى البنادقة في سنة 1126م، رجع هؤلاء إلى القسطنطينية واستقر الوضع[2].

والجدير بالذكر، أنه بمجرد استتباب الأمن، عاد أهل مدينة القديس مرقس المقيمين بالعاصمة؛ إلى سلوكاتهم التعسفية وإلى نظرتهم المتدنية للبيزنطيين وعدم اعتبار واحترام الإمبراطور ومنصبه[3].

ويزداد الأمر سوءا بين الطرفين، خاصة خلال تحالف البيزنطي والبندقي ضد خطر النورمان بقيادة "روجر2" سنة 1147م. ففي خضم الصراع، نشب نزاع بين البنادقة والبيزنطيين، ليتطور إلى تجرأ أحد البنادقة بالسخرية من الإمبراطور مانويل كومنينو الاستهزاء بشخصه. غير أن الإمبراطور كظم غيظه[4]،ولم يكن رده فوريا. لأن الظروف لم تسمح والعدو أمامهم ينتظر الفرصة للانقضاض عليهما معا، ولكنه لن يترك هذه السخرية تمر دون عقاب.

1_ Ibid.

2_ عادل زيتون:المرجع السابق، ص ص.259،260,

3 _ Kinnamos :Op,Cit.,pp.181,182.

4_ عادل زيتون:المرجع السابق، ص ص.260،261,(انظر تفاصيل هذه الحادثة في الفصل السابق)

كما شعر مانويل كومنين بالقلق الشديد إزاء الامتيازات الهامة التي منحها والده ألكسيس للبنادقة، والتي رأى فيها تهديدا مباشرا لمصالح الإمبراطورية وسلامة اقتصادها. وعلى أساس ذلك، لجأ إلى عدم تجديد اتفاقية الامتيازات سنة 1082م[1] .

وأمام استياء البيزنطيين من معاملة البنادقة السيئة لهم، فرق مانويل بين البنادقة المقيمين والتجار منهم، فأطلق اسم "البرجوازية اللاتينية" على القسم الأول منهم، عسى أن يحترموا مدلول هذا الاسم، الذي يحمل معاني التحضر والتقدم[2].

وإلى جانب ذلك، فقد كان مانويل يفكر في مشروع نقل حربه ضد النورمان إلى إيطاليا سنة 1150م؛ لأنه كان يريد فرض سيادته على إيطاليا. ليسكن له قصر النورمان.في جنوبها، ومحاربة خطر الألمان الممثل في فريدريك باربروس وبذلك يكون هو السيد الأول في إيطاليا وفي الأدرياتيك. فهذا بالتالي، مايزيد الطين بلة، ويعمق التوتر بين الإمبراطور والبندقية[3].

وكان رد فعل البندقية عدائيا، إذ سعت إلى عقد بوادر الصلح مع النورمان في سنة 1155م، ولكن بتصاعد القوة الألمانية وانتشار سلطتها،عادت العلاقات بين الطرفين وتحالفتا مجددا ضد الألمان[4].

لكن على الرغم من ذلك، ظل الإمبراطور يقوم بإجراءات توحي بقلقه الشديد من القوة والسلطة والنفوذ الذي تتمتع به البندقية داخل عاصمته. فعمد إلى منح امتيازات كبيرة إلى الجنوية والبيازنة (1169م،1170م).وكان مانويل يسعى بهذا، إلى إضعاف الحركة التجارية للبندقية والعمل على تدني مكانتها في بيزنطة، وذلك بتقوية علاقاته مع الجمهوريات الإيطالية الأخرى[5].

1_ CHalandon :lesComnénes ,pp.157,158.

2_ Kinnamos :Op,Cit.,p.181.

3_ عادل زيتون:المرجع السابق، ص ص261،262,

4- نفسه.

5_ Frolow :Op.Cit.,pp.13,14.؛ Ostrogosky :Op.Cit.,pp.437,438 ؛ نفسه

وبقيت العلاقات متوترة بين البندقية التي انزعجت وتذمرت من "آل كومنين"، الذين حددوا نفوذها التجاري في الإمبراطورية؛ وبين الإمبراطور الذي يحاول تقليص نفوذ وسلطات المدينة في بلاده. ولما بلغ خبر هذه الامتيازات التي منحت لبيزا وجنوة إلى البنادقة، نشبت المواجهات العنيفة بين الجاليات الإيطالية، مما دفع الإمبراطور إلى محاكمة البنادقة ومصادرة أراضيهم وأملاكهم وأموالهم[1].

وإزاء ذلك، قام الدوق البندقي ميخائييل3 فيتالس باستدعاء البنادقة المقيمين بالقسطنطينية وأمرهم بعدم السفر والتجارة مع بيزنطة[2].

وقد أحس مانويل كومنين بخطورة الوضع من جراء القرار الذي أصدره الدوق، بمنع البنادقة من التجارة والسفر إلى بيزنطة، وأدرك حجم الخسائر التي تتعرض لها دولته وكذا اقتصادها. فبادر إلى إرسال بعثة إلى البندقية، تطالب بإعادة العلاقات بين الطرفين وباستضافة البنادقة وعودتهم إلى العاصمة وذلك مقابل وعود الأمان والسلامة التي قدمها الإمبراطور مع الوفد.وقد تكون على الأرجح، هذه البعثة التي أرسلها " مانويل " إلى البندقية، هي نفسها التي يتحدّث عنها المؤرخ " كيناموس" في حولياته، بأنها كانت بقيادة " نقفورشالوفيز ". وقد ذكر في الخطاب الذي قدّمه هذا القائد على لسان " مانويل" أنّه يتأسف على مابدر منه، وأنه أخطأ في معاملاته مع البنادقة، وأبدى ندمه الشديد على ذلك، واستعداده لإصلاح الأوضاع.[(3)]وفي هذا الصدد، يذكر مساعيه هذه، بهدف التحالف معها لمواجهة التقدم العسكري لـ " Frédéric Barberousse".[(4)].

1_ Kinnamos : Op.Cit.,p.182 ;CHalandon: Op.Cit.,p.587.

[3]– عادل زيتون:المرجع السابق، ص . 263 Kinnamos :Op,Cit.,p.182 ; Heyd :histoire de commerce ,t.1 ,p.217 .

ولقد ذكر كيناموس بعد حادثة مصادرة أملاك البنادقة سجنهم في سجون البيزنطية هذا على عكس باقي المؤرخين الذين ذكروا هذه الواقعة بعد عودة البنادقة إلى القسطنطينية(Kinnamos :Op.Cit.,p.182)

[3] -. Jean Kinnamos : Op.Cit., pp. 149 .150

[4] -. Ibid. ,P .150

فقبل الدوق من جهته الصلح، وأمر بعودة الجالية البندقية إلى القسطنطينية، بعد أن تبادلا السفراء وأدايا اليمين لضمان الأمن والأمان في العاصمة البيزنطية[1].

لكن وبمجرد ما إن استقر البنادقة في القسطنطينية، والذين بلغ عددهم عشرون ألفا من بينهم التجار المحملين بالبضائع والسلع والأموال[2]. حتى أمر الإمبراطور مانويل كومنين في 12 مارس 1171م، بسجن جميع البنادقة المتواجدين في القسطنطينية وفي كافة أرجاء الإمبراطورية ومصادرة أموالهم وثرواتهم ووضع أملاكهم تحت الحراسة. بعد أن وضع العاصمة في حالة تأهب واستعداد عسكري لتنفيذ هذا الأمر الإمبراطوري[3].

ويشهد المؤرخ كيناموس، على مدى امتلاء سجون القسطنطينية التي لم تعد تكفي لسجن جميع البنادقة، وعمدت بيزنطة إثر ذلك إلى سجن ما تبقى من البنادقة في الأديرة[4].

وقد نجا عدد ضئيل من بين عشرين ألف بندقي، وتمكن هؤلاء من الهروب ليلا على ظهر سفينة بيزنطة(*)أما عن بقية المساجين فيذكر كيناموس، أن مانويل أطلق سراحهم بعد بضعة أيام، بضمانات رسمية[5].

لقد استشف الدارسون،عدة تفسيرات منطقية لهذا الإجراء العدائي الذي قام به الإمبراطور بحق البنادقة. حيث أرجع كيناموس، قرار مانويل إلى رغبته الشديدة في معاقبة البنادقة بعد مواجهتهم الجنويين، ومعاملتهم معاملة سيئة[6].

---

[1]_ عادل زيتون:المرجع السابق، ص 263انظر الى: ; CHalandon : Op.Cit.,p.587; Heyd :Op. Cit. ,p.217

[2]_ Ibid.

[3]_ Kinnamos :Op,Cit.,p.182; Heyd: Op.Cit., p.217

[4]_ عادل زيتون:المرجع السابق، ص 264. ;Kinnamos :Op,Cit.,p.182

(*)_ انظر تفاصيل رحلة البنادقة نحو مدينتهم وعن اشتباكهم مع البيزنطيين (Kinnamos :op,cit.,p182)

[5]_ عادل زيتون:المرجع السابق، ص 264 ; انظر أيضا الى : .Ibid.; Heyd :Op. Cit., p.218.

[6]_ Kinnamos : Op,Cit.,p.222,282.

بينما فسر نيقتاس ذلك، بخلفيات الكره والحقد والغضب الذي يكنه الإمبراطور والبيزنطيون للبنادقة، وتحكمهم في الإمبراطورية، وتجارتها،واقتصادها،والإحتقار الذي يظهرونه للسكان الأصليين[1].

في حين أعادت الدراسات الحديثة هذا الإجراء التعسفي، الى طمع الإمبراطور مانويل في ثروات البنادقة وأموالهم، تلك الأموال المغرية التي أراد استثمارها في حروبه في ايطاليا والبلقان وآسيا الصغرى وأنطاكية[2].

وقد أرجع مؤرخون آخرون، قرار مصادرة أموال البنادقة وأملاكهم، إلى مسائل سياسية، حيث رفض الدوق البندقي مساعدة بيزنطة في تنفيذ مشروعها بنقل الحرب إلى ايطاليا ضد النورمان، ولذلك أراد مانويل الإنتقام منها، لأنها أوقفت مشاريعه ووقفت له بالمرصاد[3] .

وعند وصول البنادقة الفارين إلى مدينتهم، شعر الدوق "ميشال الثاني"بالإهانة الموجهة إلى شخصه. فخرج في حملة(*)، لم يكلف تجهيزها وقتا طويلا. وقد تضمن أسطوله 100 سفينة حربية و20 ناقلة. واتجه إلى بيزنطة في 1172م، وفي طريقه هاجم الدوق جزيرة خيوس"Chios"[4]، ونهبها بعدما استولى على راجوازا "Raguse" وتوجه إلى نيقروبونت "Negroport"[5]،

---

[1] _ عادل زيتون:المرجع السابق، ص265؛ نقلا عن نيقسياس: المصدر السابق،ص220..

[2] _ نفسه.

[3] -عادل زيتون: المرجع السابق، ص.265.

(*)_ويذكر كيناموس تاريخ هذه الحملة في 1126م، لكن هذا لا ينطبق مع فترة حكم مانويل كومنين (1143م،1180م)و إذا اخذنا بصحة هذا التاريخ، فإن كيناموس يتحدث هنا عن الحملة الثانية التي شنتها البندقية 1126م، وعلى إثرها وقعت اتفاقية صلح مع يوحنا كومنين.

4_ Kinnamos :Op,Cit.,p.182 ; Heyd :Op, Cit., p.218.

[5] _عادل زيتون:المرجع السابق، ص.266.

وأورد المؤرخ نقيتاس في حولياته، أن الإمبراطور "مانويل" أراد ارسال اسطول متكون من 150 قطعة بحرية، لمواجهة قوات البندقية في جزيرة خيوس"Chios"[1]. لكنماكاد الأسطول البيزنطي يصل إلى تلك الجزيرة، حتى خرجت منها سفن البندقية، باتجاه الجزر اليونانية الأخرى، لنهبها. وحاولت القوات البيزنطية الالتحاق بالأسطول البندقي ولم تتمكن من ذلك. وأدرك البنادقة، استحالة المواجهة المباشرة مع البيزنطيين[2].

وقام البيزنطيون، بردٍّ فعل كان له بالغ الأثر، حيث سممُّوا مياه الشرب والخمور فهلك الجنود البنادقة، ومات منهم الكثير، وتدهور وضعهم الصحي [(3)].

لذلك انتشر الوباء بين الجند خلال وجودهم في جزيرة"Chios" في أفريل 1172م. هذا الوباء الذي ألم بهم، أودى بحياة 6000 بندقي[4]. فأصبح مواصلة الحملة أمرا مستحيلا. فقرر الدوق البندقي، على إثر ما أصاب الجنود، الإنسحاب والعودة إلى المدينة، بعد هذه الهزيمة المورعة وفشل الحملة[5].

غير أن"شالندون "، يذكر أنه عندما انتشر الوباء بين الجند البنادقة، غادر الأسطول من "خيوس" إلى جزيرة "باناجيا"، خاصة بعد وصول الحملة البيزنطية التي يقودها "KalotheTaron" ضدهم، ومن تلك الجزيرة رحلوا إلى" ليسبوس " ومنها إلى"ليمنوس" . لكن في الأخير، ولضيق الوقت وانتشار الوباء القاتل، ذهب البنادقة إلى "سكيروس". كما

---

[1] _ نفسه.

[2] _CHalandon :Op,Cit.,p.587.

5- Chalandon: Op.Cit, PP.589- 591

[4] _عادل زيتون:المرجع السابق، ص267; .Ibid.

7_ أورد كيناموس، تفاصيل رسالة كان قد بعثها مانويل إلى البنادقة، والتي يقلل فيها من شأنهم وبساطة حكم دولتهم، وعدم قدرتهم على مواجهة بيزنطة بعلو شأنها ولا يستطعون محاربتها لأنهم قد طردوا منها، انظر: (Op.Cit., p.183) ; Chalandon : Op.Cit., pp.590,591؛ _عادل زيتون:المرجع السابق، ص ص.267،266

ارسل الدوق رسائل وبعثات إلى مانويل كومنين مرتين متتاليتين، لكنها منيت بالفشل. وعلى أساس ذلك، قرر ميخائيل الثاني الانسحاب والعودة إلى البندقية[1].

وبعد الفشل الذريع الذي أصاب حملة البندقية ومقتل الدوق ميخائيل2، سعت حكومة الجمهورية للإتصال بالألمان والتحالف مع وليام الثاني، ليقدم لها المساعدات ضد بيزنطة سنة 1172م[2].

وعلى إثر هذا التهديد الأقوى من السابق، بادر مانويل بإرسال البعثات إلى البنادقة للتفاوض معهم، فوقع الطرفان معاهدة صلح حصلت بمقتضاها البندقية على امتيازات جديدة.

كما أعاد البيزنطيون للبنادقة ماسلب منهم من أملاك وأموال وإمتيازات وسمح لهم بالعودة إلى القسطنطينية كمستوطنين أو تجار، وذلك مع القسم الذي أداه لهم مانويل بالحفاظ على أمن حياتهم والسهر على راحتهم[3].

وعلى الرغم من الصلح والمعاهدة التي جمعت البندقية وبيزنطة، إلا أن العلاقات بينهما بقيت فاترة، تشوبها الشكوك وينسجها الحقد والضغينة والخوف من الغدر. وهكذا تظل العلاقات بين مد وجزر إلى أن تنقطع مرة واحدة وأخيرة وإلى الأبد، بين بيزنطة والبندقية التي ستسقط القسطنطينية عاصمة البيزنطيين سنة 1204م.

---

1. Heyd : Op.Cit., p.219 ; Chalandon : Op.Cit.,pp.590,591.

2 –انظر تفاصيل هذا التقارب البندقي النورماني في عادل زيتون: المرجع السابق، ص ص 267.268; Ibid.

3- نفسه ; CHalandon :Op,Cit.,p.592; Heyd : Op .Cit., p.219,220.,

ج_ أوضاع بيزنطة الداخلية والخارجية:

عاشت بيزنطة ظروفا عديدة سواء منها الداخلية أو الخارجية، جعلتها محط أنظار الغرب اللاتيني حيث كانت تلك الظروف سواء بغنى الإمبراطور من الثروات والخيرات أو بمحض أوضاعها المتوترة داخليا أم بفعل الأخطار الخارجية.

1_ الظروف الداخلية:

لقد نتج عن طمع البنادقة في القسطنطينية وتصرفاتهم السيئة ونظرتهم المتعالية للبيزنطيين، سياسة معادية لهم، كان قد تبناها يوحنا كومنين ومانويل من بعده. هذا الأخير الذي قام بمنح إمتيازات تجارية إضافية، للجاليات الإيطالية المقيمة بالقسطنطينية خاصة منها البيازنة، بموجب المراسيم التي أصدرها في سنة 1187م وفي سنة 1189م[1].

هذا ما سبب استياء البنادقة الذي أدى إلى توتر الأوضاع بشكل سريع داخل العاصمة البيزنطية، وفوضى وصراع بين اللاتين. إلى جانب إجراءات الإمبراطور التعسفية ضد البنادقة والوقوف إلى جانب البيازنة ضد سكان مدينة القديس مرقس[2]. فنتج عن كل ذلك أزمات داخلية خطيرة.

ولقد ازداد الوضع سوء وتعقيدا، بعد وفاة مانويل كومنين وظهور ماريا الإنطاكية(*) التي تولت الوصاية على ابنها ألكسيس الثاني، بمساعدة مستشارها اللاتيني ألكسيوس البرتوسباتو "Alixos partocipatros".

وقد كانت زوجة مانويل هذه تبدي ميلا واضحا وعطفا كبيرا للجالية اللاتينية المقيمة بالعاصمة، وتدافع عن حقوقها وتقف دائما هي ومستشارها إلى جانبها. هذا الوضع الذي كان القطرة التي أفاضت الكأس، إذا قامت حرب أهلية بين البيزنطيين الذين يرون أنفسهم مسلوبي الحقوق في بلادهم وبين اللاتين[3].

1_ Freddy :Op,Cit.,p.37.

2- Frolow :Op.Cit.,pp.26,،27; Heyd :Op.Cit.,t.I, pp.266,267.

(*)_ وهي زوجة مانويل كومنين، وتعتبر أول لاتينية تتولى حكم القسطنطينية.

3- عادل زيتون: المرجع السابق، ص ص.270.269 ; Gibbon : Op.Cit., p.704

وكان هدف هذه الثورة والفوضى، هو الإطاحة بالنظام القائم والموالي للاتين، وعزل ماريا الأنطاكية عن السلطة[1]، كما عزلت البيزنطيين عن حقوقهم. لكن حدث وأن منيت محاولة البيزنطيين هذه للحد من نفوذ اللاتين بالفشل، و في هذه المرحلة تظهر شخصية أندرونيك "Andronic"(*). لتهتف بها الأصوات البيزنطية كمنقذ للإمبراطور من نفوذ اللاتين.

فقد خرج أندرونيك سنة 1182م، باتجاه القسطنطينية وتحالف مع البيزنطيين ضد الجاليات اللاتينية. وفي تلك الأثناء، انفجرت كل الأحقاد والضغائن التي كبتها البيزنطيون ضد اللاتين.

فنشبت حرب أهلية بين الطرفين، وقد وصف المؤرخون شدتها، خاصة باعتماد أساليب القتل والذبح والتدمير، ونهب المساكن والكنائس وإحراق الأحياء. فكانت مجزرة تسببت في إبادة اللاتين المقيمين في أرجاء الإمبراطورية. لكن سرعان مادخل أندرونيك إلى العاصمة وأقام فيها النظام، وعمل على نشر الاستقرار فيها، وحكمها بين سنتي 1183م و1185م[2].

ويذكر عادل زيتون نقلا عن رواية المؤرخ وليام الصوري، الذي تحدث عن رد فعل قام به اللاتين الناجين، من هذه المذبحة والهاربين من الموانئ البيزنطية. والتي قام فيها هؤلاء بغزو ونهب السواحل البيزنطية من مدخل البحر الأسود إلى مدخل البحر المتوسط، وعمدوا إلى القتل والذبح والسرقة والحرق[3]. وأرجع هذا المؤرخ، تلك الأحداث العنيفة، الواقعة في بيزنطة بين أهلها وبين اللاتين إلى اختلافات دينية كلاسيكية بين المذهبين الكاثوليكي والأرثودكسي[4]. وفي حقيقة الأمر، فإن هذه الثورات ما حدثت إلا نتيجة حتمية لكبت أحقاد البيزنطيين اتجاه اللاتين وبصفة عامة الايطاليين، وحصيلة لإرث من الضغينة ضدهم.

(*)_ هو ابن عم الإمبراطور مانويل كومنين، كان حاكما على قليقياه، انظر الى: عادل زيتون: نفس المرجع ص.270.

[1] _ نفسه؛Gibbon :Op,Cit.,pp.704,705

2- عادل زيتون: المرجع السابق، ص ص .271 ; .Ibid

[3] _نفسه، ص.274.

4 _ نفسه ; نقلا عن:William of tyr :Histiore of deeds,vol,11,pp466,467

وما يزيد الطين بلة، ضعف شخصية الأباطرة، وعدم امتلاكهم الشجاعة، والاقدام الذين يتطلبهما منصب الإمبراطور. فهذه أسرة أنجيلوس وأول امبراطورها إسحاق "Isaac" (1185م،1195م)[1] ، كان من الحكام غير المهتمين بشؤون الحكم، وفاقدا للحنكة السياسية. فأطلق العنان لأتباعه بالتدخل في شؤون الإمبراطورية. مما تسبب في انتشار الفساد والانحلال الإداري، بحيث كان إسحاق الثاني يبيع وظائف الدولة كما تباع الخضار في السوق. هذا إلى جانب هدر أموال الرعية في إقامة الولائم والحفلات الفاخرة، والانغماس في التبذير واللهو والترف في القصور.[2]

ولم يكن أخوه ألكسيس الثالث "Alexis3" (1185م-1203م) أحسن منه، فبعد أن خلعه عن الحكم وسمل عينه، لم يظهر أي اختلاف في عدم مبالاته بالحكم وتسيير شؤون بلاده وإدارة الجيوش والأسطول.

وتمكن ابن اسحاق أنجيلوس المخلوع والمسجون في القسطنطينية(*) ألكسيس الصغير "Jeune Alexis" الذي كان يبلغ من العمر 12 سنة، من الهروب على ظهر سفينة بيزية إلى ألمانيا[3]. ليقيم عند صهره فيليب دو سواب Philippe de Souabe، ويستنجد به لاسترجاع العرش المسلوب منه واخراج والده من السجن[4].

وهكذا طلب ألكسيس الوريث الشرعي للعرش البيزنطي المساعدة من الأعداء الذين كانوا ينتظرون الفرص السانحة للانقضاض على الإمبراطورية، والذين كانوا يسعون إلى تدمير الإمبراطورية وإقامة إمبراطورية أخرى بدلا عنها.

ولقد أحسن الباحثون التعبير عن الوضع الداخلي المتدهور للإمبراطورية ونظامها الإداري الفاسد، حين قال أحدهم "من أجل أن نسلط الضوء على القسطنطينية، ونكشف على مدى تدهور نظامها وحكومتها، كفيل بنا وضع الإمبراطورية البيزنطية تحت المجهر(...) فقد كانت لا تملك جيشا ولا أسطولا، ولا ذهبا ولا أموالا، ولا حتى الإرادة والتحدي، ولا تمتلك

1- Clari :Conquéte,pp,29,30 ;Vasiliev : Op. Cit.,t2,pp.83,84.

2_ إسمت غنيم: الحملة الصليبية الرابعة ومسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية، دار المعارف،مصر،1982، ص36،38.

(*)_ذكر "جيبون" أنه تم ملاحقة إسحاق في منطقة مقدونيا، بعد أن خانه أتباعه فتم القبض عليه وقادوه إلى العاصمة) و سجنوه في قلعة مهجورة ؛ انظر :.Op.Cit., pp.706,707

3- Robert de Clari :Op,Cit.,pp.29,30 ;Vasliev :Op .Cit.,t.2,pp.83,84.

4 .Vasiliev :Op.Cit.,t.2, p.85 ; تذكر الروايات أن ألكسيس الصغير مر في رحلته إلى أوربا عبر "هليسبونت" باتجاه صقيلية ، انظر: .Gibbon : Op.Cit.,p.707

الكفاءات الإدارية ولا حتى قائدا حاملا لمعنى القيادة والشجاعة والإخلاص،(...) إنما كانت الإمبراطورية منغمسة في الحروب الأهلية والخارجية..."[1]

وبطلب النجدة الذي قدمه ألكسيس الصغير إلى ألمانيا، كان بمثابة استدعاء للعدو واستضافته في بلد، طالما كان يحلم باحتلالها. وأن ضعف أية دولة وتخبطها في المشاكل الداخلية، والخارجية، والفوضى السياسية؛ إنما هو في حقيقة الأمر، مناداة للعدو لإنهاء وجودها وفتح لأبواب الموت والفناء لها، هذا ماحدث بالفعل مع بيزنطة التي جلبت الوبال لنفسها !

2_ الأوضاع الخارجية:

شكل النورمان خطرا على الإمبراطورية البيزنطية حين شن روبرت جويسكارد وأبناؤه حملاتهم ضدها. وهدد فريدريك الألماني أمن بيزنطة. فهذا الخطر لم ينته بوفاة قادته. إنما استمر وازداد خطورة؛ عندما ورث "هنري السادس" الأحقاد النورماندية ضد البيزنطيين وجمعها مع ضغينة الألمان وطمعهم في العرش البيزنطي[2].

وإثر زواج هذا الحاكم من وريثة العرش النورماندي ابنة جويسكارد، توحدت القوتان (النورماندية والألمانية)، فأضحى هنري يرى في نفسه قائدا على أوربا الغربية كلها. فازدادت أطماعه لتصل إلى الشرق البيزنطي[3]. بعد أن وضع هدف السيطرة على المناطق الممتدة من دورازو إلى سالونيك، هذا في انتظار سيطرته على القسطنطينية[4].

وقد تدخل هنري السادس في شؤون الإمبراطورية البيزنطية الداخلية، إثر زواج أخيه "Philippe de Souabe" من ابنة إسحاق الثاني إيرين"Iréne"، فكان يرى أن هذا التقارب يسمح له بالتدخل في شؤون الدولة البيزنطية.

وعلى أساس ذلك فقد طلب هنري السادس، من الإمبراطور ألكسيس، دفع ضريبة للألمان، لتعويض الخسائر التي لحقت بوالده فريدريك باربروس. خلال مواجهاته مع بيزنطة.وفرض عليها قيمة معتبرة إذ أنهكت عاتق الإمبراطورية تلك الضريبة التي يطلق

1- Simonde,Sismondi :Histiore des Républiques Italiennes du Moyen-Age , Amédée gratist, Paris, France,1840,t.2,p.123.

2- Diehl :Op,Cit.,pp.46,47 ;Ostrogorsky: Op,Cit.,p.435.

3_ Ibid.

4_ Ibid.

عليها الألمانية[1]، واستعد هنري لتنفيذ مشروعه، لكنه توفي فجأة في سنة 1197م. وبذلك تخلصت بيزنطة من ثقل تلك الضريبة[2]، وتنفس أهلها الصعداء.

ولقد تعرضت بيزنطة إلى تهديدات داخل أقاليمها، شكلتها بعض مقاطعاتها، وتصاعد قوة البلغار في أسيا الصغرى، وكذا تنامي سلطة ونفوذ الأتراك في بلاد البلقان. إلى جانب تصاعد قوة الصرب. وكانت هذه الانقسامات وليدة سياسة الإمبراطورية الضعيفة، وضعف شخصية الأباطرة وعدم خبرتهم بشؤون الحكم، السياسية منها والعسكرية[3].

هذه الأخطار أقلقت بيزنطة وأيقظتها من سباتها، لكن بعد فوات الأوان. لأن الأوضاع داخل أقاليمها متوترة ومقاطعاتها في بلاد الشام، كانت تعيش الخلافات[4].

وفي ظل تلك الظروف، بدأت الإستعدادات لحملة صليبية جديدة في أوربا، وبعد أن عمت مشاعر الكره والبغض التي يكنها الغرب لبيزنطة، بسبب سياسة التعسف التي تبنتها ضد اللاتين بصفة عامة.وقد انفجرت تلك المشاعر مع الرغبة في الإنتقام من البيزنطيين في كنف الحملة الصليبية الرابعة.

1_ Ostrogorsky: Op,Cit.,p.435 ;Vasiliev :Op.Cit.,t.2,pp. 94.95.

2_ Ibid.

3_ Diehl :Op,Cit.,pp.46,47;Vasiliev :Op .Cit.,t.2, P.83, 84.

4_ Gibbon :Op,Cit.,p.703 ;Freddy :Op.Cit. , p.37.

3_ الإعداد للحملة الصليبية الرابعة:

أ_ دعوة البابا انوست3 للحملة الصليبية الرابعة:

تولى لوثر أوف سيغني "lother of segni" كرسي البابوية، بين سنتي 1198م و 1216م، وهو أحد أبرز الشخصيات، واشتهر باسم: أنوسنت الثالث " Innocent III". هو البابا الجديد، الذي عمل على تغيير النظام البابوي بتوسيع سلطة البابا بحيث أصبحت تشمل الجانبين الديني والدنيوي[1].

لقد أضحت البابوية، قوة سياسية، ذات مصالح دنيوية كباقي سائر السلطات والقوى السياسية، حيث قام بتجديد نظام الضرائب المخصص لتجهيز الحملات الصليبية. ففي سنة 1199م، أرسل أمرا إلى جميع الأسقفيات بإقتطاع1/40 من دخلها السنوي، من عقاراتها واقطاعاتها وإرسالها إلى البابوية لتخصص للحروب الصليبية[2] .

وقد سعت البابوية إلى التدخل في الشؤون السياسية للدول، وتجسيد قوتها بالإضطلاع بالجانب العسكري. بعد أن وضعت تبريرا ومفهوما خاصا، تشرع به عملها، وأهدافها العسكرية.حيث أكدت أن الحروب الصليبية في الأصل حروب عادلة، بإعتبارها تشن بهدف استعادة الممتلكات المغتصبة، أو صد لنفوذ أو قوة خارجية تهدد البابوية. فقامت بالمزاوجة بين الحرب المقدسة (الصليبية) والأهداف الدينية. لأن هذه الأخيرة، هي التي تضفي الشرعية على الأولى، لذلك انفرد الغرب اللاتيني بفكرة الحروب المقدسة، كحرب تشن ضد أعدائهم وأعداء الكنيسة.

ومن أجل ترسيخ هذه الأفكار في أذهان الأوروبيين، قامت بربط الحرب الدينية والصليبية بالغفران الكنيسي ذلك الذي تمنحه للجنود والمشاركين في الحروب، وتعدهم بغفران خطاياهم، وأن الدخول إلى النعيم يتحقق بالجهاد في سبيل المسيح. لذلك شرعت التجهيزات

1_ إسمت غنيم: المرجع السابق، ص.53.

2–نفسه؛ قاسم عبده قاسم: الخلفية الإيديولوجية للحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية،ط1،1999،ص20.

والنداء لحملة صليبية جديدة إلى الشرق الإسلامي في 1198م[1]. خاصة إذا أخذ البابا بعين الإعتبار أخبار إنتصارات صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين.

لذلك قام البابا"أنوسنت3" بدعوة أباطرة وملوك أوروبا المسيحيين للمشاركة والمحاربة إلى جانب البابوية من أجل انقاذ المسيحيين وبيت المقدس من أيدي المسلمين(*). وكانت رغبة البابا تكمن في أن يتحد الغرب اللاتيني والشرق البيزنطي المسيحي في هذه الحملة ضد المسلمين.

لذلك بعث البابا برسائل إلى الإمبراطور البيزنطي ألكسيس الثالث، يناديه بضرورة المشاركة في الحملة ضد المسلمين في فلسطين، وترك جميع الأمور الأخرى والمشاكل جانبا، لأنك الأقرب إلى العدو، ولأن هذا العدو يخشى قوتك وجيشك.

ولقد بعث رسلا إلى القسطنطينية من أجل التفاوض مع ألكسيس3 في أمرين، المشاركة في الحملة الصليبية وقضية توحيد الكنيستين. هذا الذي كان البابا يتوسمه. في إمبراطور الشرق بأن لا يكون انفصاليا ويسعى هو الآخر إلى توحيد الكنيستين وأن تكون كنيسة الشرق تابعة وخاضعة لكنيسة روما[2].

وكان رد الإمبراطور ألكسيس غير مشجع. فقد أخبر البابا أن تجربته السابقة جعلته لا يرحب بالتعاون، لأنه تعرض للنهب والسلب في أراضيه عند عبور الجيوش الصليبية بقيادة فريدريك باربروس عبر بلاده. وبعد أن نقض اليمين الذي أداه الإمبراطور، وفي ما يتعلق بتوحيد الكنيستين، فكان الرفض واضحا[3].

ولم يتوقف الرفض لمساعي البابا عند الإمبراطور، بل حتى دعوته في غرب أوربا للملوك اللاتين، لم تكن على درجة كبيرة من النجاح، بسبب انشغالهم بالمشاكل الداخلية التي

---

[1]– إسمت غنيم: المرجع السابق، ص. 53؛ قاسم عبده قاسم: المرجع السابق، ص.13 فما بعدها من صفحات.

(*)– انظر رسالة البابا إلى ملوك أوربا في : Vasiliev :Op.Cit.,t.2,p. 83

[2]_ نفسه، ص.57، انظر الملحق رقم: 03 ؛ Ibid.

[3]_ نفسه.

تعرض لها أمن دولتهم وانهماكهم في الصراعات الخارجية، كفرنسا وألمانيا وانجلترا، بإستثناء ملك المجر الذي حمل الصليب للمشاركة في الحملة[1].

لكن هذا لم يمنع من تحمس الأمراء من الدرجة الثانية والفرسان للحملة. ولقد انتشرت الدعوة لها خاصة بشمال فرنسا، بعد خروج فولك نولي "Foulques de Neuilly" في 1198م، للتبشير للحملة[2]، وطاف بالبلاد. فهو الذي أسماها "الحملة الصليبية الرابعة"، وانضم إليه عدد من الرهبان ورجال الدين انتشروا في ألمانيا وإيطاليا، لشحذ الهمم للمشاركة في الحملة الصليبية ضد الشرق بين الفرسان والأمراء والنبلاء والبارونات. وتجدر الإشارة إلى أن الدافع الديني لم يكن المحرك الوحيد للمشاركة، خاصة البارونات والأمراء، فإن الإستحواذ على الإقطاعات والثروات جعلهم يشاركون في الحملة[3].

وقد خصص الرهبان والدعاة المبشرين للحملة، صندوقا خاصا لجمع الهبات المالية للتجهيز لها، والإعلان عن الغفران الكنيسي لكل من يشارك فيها[4]. وعين ثيبولت"Thibault" كونت شامبانيا، قائدا للحملة، وكان من أبرز المشاركين فيها: بدوين كونت الفلاندرز، ولويس دوق بلوا "Blois" وانضم إلى صفوف هؤلاء الفرنسيين نخبة من الفرسان من الفلامن والإنجليز والألمان والصقليتين[5] .

وهكذا استعد الصليبيون مفعمين بروح القتال والجهاد المقدس واجتمعوا مع الحجيج والأمراء والفرسان لتحديد وجهة الحملة.

---

[1] _ ستيفان رانسيمان: المرجع السابق، ص.200؛ Vasiliev :Op,Cit.,p.99؛ عادل زيتون:المرجع السابق، ص.295.

2_ رانسيمان،ص.199.

3_نفسه،ص.200.

4_نفسه؛ إسمت غنيم: المرجع السابق، ص. 59، انظر الى تفاصيل أكثرحول فرض الهبات في الملحق رقم:4،ص.197.

[5] _نفسه، ص ص.59،60؛ عادل زيتون:المرجع السابق، ص.295; Vasiliev :Op,Cit,p.99

ب_ تحديد وجهة الحملة:

اختلف القادة الصليبيون حول تحديد وجهة الحملة، فريقا منهم أراد الذهاب مباشرة إلى فلسطين، وفريق آخر، فضل التوجه إلى مصر[1]، لسببين اثنين:

أولا: حماية المسيحيين في فلسطين من التعرض لمخاطر الحرب.

ثانيا:ان قوة المسلمين الأيوبيين في تلك الفترة كانت متمركزة في مصر، لذلك من السهل مهاجمتها من قلبها ثم يتم العبور إلى فلسطين بأمان، خاصة وأنه يوجد في الموانئ المصرية تجار لاتين وإيطاليين، يلقون الحماية من الصليبين مقابل مساعدتهم[2] على الدخول، وعلى هذا الأساس، تم الإتفاق على التوجه إلى مصر.

وبقيت مسألة الوجهة إلى مصر سرية، انحصرت بين القادة العسكريين والبارونات والبابا. الذي وافق رسميا على ذلك. ويبقى في أذهان الصليبي العادي وباقي الجيوش الصليبية والعامة المشاركين في الحملة، أن وجهتها تكون إلى الشرق[3] لتحريره من المسلمين، ونيل الغفران الكنيسي.

وبعد تحديد وجهة الحملة، بدأت الإستعدادات لها، ثم طرحت على القادة مسألة تأمين السفن لنقل الصليبين إلى الأرض المقدسة أو أرض ماوراء البحر" فلسطين" كما سماها فيلهاردوين في حولياته.

ج_ المفاوضات مع البندقية:

فكر القادة في استغلال الأساطيل الإيطالية ومعداتها لنقل الصليبيين إلى المشرق، وفوضوا ستة أشخاص، تمثلت مهمتهم هي إقناع الجمهوريات الإيطالية لتقدم المساعدة لهم[4].

1- Robert Clari :Op,Cit. ,p.6.

2- عادل زيتون: المرجع السابق، ص.296 ; 444 .René,Grousset :op,cit.,p، اسمت غنيم: المرجع السابق، ص.60.

3- Tessier, Jules : La IV croisades, la diversion sur Zara et Ernest, Leboux, Paris, France, 1881, pp. 54,55.

4- الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية: الحملة الصليبية الرابعة، تحقيق: سهيل نكار،دمشق، بيروت،1995،مج10،ص.35 ؛ عادل زيتون: المرجع السابق، ص.295.

فعين كل قائد شخصية تنوب عنه في هذا الوفد وتمثله أمام الدوق. حيث عين الكونت ثيبوبت "Thibault"، فيلهاردوين وميلزلي بريتر "Villehradouin et Milzly". وأرسل الكونت بدوين اثنيين من رجاله: كونس دو بيتوم"Coenes de Bethume"،وألارس ماكيروس "Alaras Maquerious". وأوفد الكونت لويس، جوهانس دي فرينز" Johans de Friaise"، وقوتي دي غوندوفيل"Gautier de Gondonville"[1]

هذا وقد انطلقت بعثة السفراء إلى جنوة وطلبوا المساعدة من الجنويين لنقل الصليبين ومعداتهم إلى الضفة المقابلة من البحر. لكنهم اعتذروا. ثم كانت وجهة البعثة إلى جمهورية "بيزا" التي أجابتهم بأنها لا تمتلك العدد الكافي من السفن لأداء هذه المهمة[2].

وينبغي الإشارة إلى أن المؤرخ فيلهاردوين المعاصر لأحداث الحملة الصليبية، لم يشر إلى وصول البعثة إلى جنوة وبيزا بل ذكر خروج الوفد مباشرة إلى البندقية، التي ربما كان القادة قد اتفقوا على الذهاب إليها وطلب المساعدة منها[3].

المهم هو وصول أعضاء البعثة إلى البندقية واستقبلهم دوقها "انريكو دوندولو 1193-1205م"Enrico Dandolo" وكان يتصف بالحكمة والرزانة، وكان طاعنا في السن واستضافهم في قصره[4].

وهناك أعطاهم الدوق "دوندولو" الكلمة لتقديم مطالبهم بعد أن علم أنهم يمثلون نخبة أمراء أوروبا وأنهم مفوضون عنهم، وذلك من خلال الكتاب الذي أحضروه معهم. لكن رد عليه أعضاء الوفد الصليبي بأنهم سيلقون العرض الذي جاؤوا به في مجلس الأعيان والأعضاء، فطلب منهم الدوق إنتظار مدة أربعة أيام ليتم عقده[5].

1- Villelaradouine(G) :la conquéte de constantinopleFlammarion,Paris,France, ,1969,p28 ; Clari :Op,Cit.,pp.67 ; Daru :Op,Cit.,p.265 ; Gibbon :Op,Cit.,p.710.

2_ Clari :Op,Cit.,pp.6,7,8.

3_ Op,Cit.,p.29.

4_ اسمت غنيم:المرجع السابق،ص.65 ؛ Ibid.

5_ Villelaradouin :Op,Cit.,p.29.

وبعد انقضاء ثلاثة أيام، اجتمع الوفد أمام مجلس الدوق وأعوانه، فطلب منهم تقديم مطالبهم، فألقوا الخطاب التالي:"سادتنا، لقد جئنا إليكم من طرف كبار بارونات فرنسا، الذين حملوا الصليب، للثأر والانتقام، ومن أجل استعادة أورشليم وخدمة الرب.-بإرادة الرب-ولأن قادتنا وبارونات فرنسا لن يجدوا من يمتلك القوة والرجال لمساعدتنا (...)، فنحن نستحلفك ونتوسل إليك بأن ترأف بنا وتشفق على الأراضي المقدسة (...) وتستجيب لطلبنا لنقل جنودنا ووسائل النقل إلى الأرض المقدسة..."[1]

وقد أخبرهم الدوق "Dondolo" بانتظار مهلة ثمانية أيام للتشاور والتفكير في مطالبهم، وهو يبدي لهم كل أساليب اللباقة واللطافة[2] . قضى الدوق، تلك الفترة في التفكير فيما عرضه عليه الوفد، وعند انتهاء المدة، اجتمع مع السفراء في قصره، وأخبرهم بما قرره هو وأعيان مجلسه قائلا: "أيها السادة، سأطلعكم على ما قرره المجلس حول المسألة التي جئتم من أجلها. سنقوم بنقل 4500 حصان و9000 من حاملي الدروع و4500 فارس و2000 من المشاة، وسنضمن لكم العهد بتموينكم لمدة تسعة أشهر، من كل ماتحتاجونه. من الغذاء والعلف للخيول، هذا شريطة أن تدفعوا لنا أربعة ماركات عن الحصان الواحد واثنان عن رجل واحد أو جندي. ونعاهدكم بأن نلتزم بشروط المعاهدةلمدة سنة واحدة بداية من تاريخ الإبحار من ميناء البندقية وخلال هذه الفترة نضمن لكل تقديم خدماتنا للرب والمسيحية، ومهما يكن فإن تكلفة هذه المساعدات نجملها في 85000 مارك فضي، علاوة على ذلك نقدم 50 سفينة حربية مجهزة بالأسلحة إكراما لوجه الرب وحبا في المسيحية. مقابل أن نتحصل منكم على نصف كل ما تكسبونه سواء في البحر أو في البر، هذا ولكم أن تفكروا إن كان بإمكانكم القبول والوفاء بهذه الشروط"[3].

1_ اسمت غنيم:المرجع السابق،ص.65 ؛ Villelaradouin :Op,Cit.,p.29،30

2_ Ibid.

3_ Ibid. ; pp. 30.31 ; Tessier :Op,Cit.,pp.111.112 ;Gibbon :Op,Cit.,t.2,pp.710,711.

وبعد ذلك غادر الوفد للتشاور حول تلك الشروط والتفاوض فيما بينهم. وانتهى بهم الأمر إلى قبولهم بكل مااشترطه الدوق . فأخبرهم هذا الأخير بضرورة استشارة شعبه.[1]

فاستدعى الدوق مجلسه الاستشاري المتكون من 40 رجلا حكيما، وبعد المشاورات وحنكة الدوق ، أبدى الاعضاء رغبتهم ورضاهم على ذلك[2].

وهكذا جمع الدوق عشرة آلاف من عامة الشعب، في كنيسة القديس مرقس، من أجل القداس والصلاة. وهناك قد رشح أعضاء الوفد مطالبهم للمجتمعين وطلبوا موافقتهم على عقد معاهدة بين الدوق والصليبين ومشاركتهم في الحملة. وفي هذه الأثناء أخذ قائد شومباي الكلمة قائلا: "أيها السادة، ان بارونات فرنسا قد أرسلوا إليكم يطلبون منكم بلهفة وشغف، و ان تشفقوا على القدس، ويرجونكم نجدتها من الأعداء واسترداد الأرض المقدسة وقد أمرنا البارونات بالركوع أمام أقدامكم، ولن ننهض حتى توافقوا وتشفقوا على الأرض المقدسة، في ما وراء البحر"[3].

وانهمرت دموع أعضاء الوفد والبنادقة والدوق، نظرا لخشوع ذلك الموقف. فهتف البنادقة بالموافقة بصوت واحد عال. وبهذه الموافقة تم عقد المعاهدة بين الطرفين في اليوم التالي، وأديا القسم بالالتزام بتنفيذ الشروط وعدم التراجع. ثم أرسلت تلك المعاهدة إلى البابا انوسنت3، الذي وافق على مساعدة البنادقة للصليبين، عن طيب خاطر و عاد الوفد إلى فرنسا[4].

1_ Villeharadouin :Op.Cit.,p.30.31 ; Clari : Op.Cit., pp.7,8.

2_ Ibid.

3_ Villeharadouin :Op.Cit.,p.30 ; Gibbon :Op.Cit,t.2,pp.710,711.

4- الموسوعة الشاملة، مج10،ص ص. 39.40..7,8.pp.,Op.Cit : Clari ; Villeharadouin:Op.Cit,p.30.31

مراحل الحملة الصليبية الرابعة:

1/ الإنحراف الأول للحملة:

بعد أن تم الاتفاق بين الصليبيين و البنادقة حول المساعدات التي ستقدمها المدينة، شرعت جمهورية البندقية في الإعداد لتوفير السفن، و مرابط الخيول، و الثكنات للجنود و بناء سفن حربية أخرى، و ناقلات حرب، و توفير الأسلحة و الذخائر[1]. وسعت الدول المشاركة خاصة منها فرنسا و مقاطعاتها على الاستعداد للحملة، والانطلاق إلى ميناء البندقية؛ غير أنه في هذه الأثناء، توفي القائد الروحي للصليبيين، الذي طالما كان يدعو الأوروبيين لحملة صليبية جديدة، وهو الكونت " thibaut " قائد شامبانيا و الذي كان البابا أنوسنت 3، يؤيد ويبارك جهوده التبشيرية بالحملات الصليبية ، و هو أسقف مارتان دي بيرز martin de pairis و الكاهن فولك دونويللي" foulques de Neuilly "[2].

و يذكر مؤرخ الحملة فيلاردوين ، أن الكونت ثيبوت قد توفي في سنة 1201 م، بعد عودة الرسل مباشرة من البندقية لمناقشة قضية النقل، و أن وفاته هذه وقعت قبل استكمال تجهيزات الحملة واستعدادها، و قد نتج عن تلك الوفاة، تعيين قائد آخر للحملة خلال انعقاد اجتماع القادة و البارونات الصليبين ب" سواسون" Soissons ، فعينبونيفاس ماركيز

1- Villehardouin :Op.Cit., p. 46 ;Diehl et autres :Histoire du Moyen Age l'Europe Orientale dès (1081à1453) P.U.F.France, 1945, p.123; Bréhier, louis :l'Eglise et l'Orient du Moyen Age (les croisades) , Victor le Coppe , Paris , France ,1907, p .151.

2- Villehardouin: Op.Cit., p. 46 ; Gibbon: Op.Cit., p. 711. ؛ انظر الى الملحق رقم: 5، ص.202.

* لم ينل هذا الإقتراح في البداية إعجاب الصليبيين لأن بونيفاس لم يكن فرنسيا مثلهم ، إنما كان أيطاليا من فئة Giblins لكن بعد مشاورات عديدة اتفقوا في الأخير على انتخابه ، بعدما تأكدوا أنه الأصلح ؛ لتفاصيل أخرى أنظر الى: اسمت غنيم : المرجع السابق،ص. 67؛ **الموسوعة الشاملة** ، مج10 ، ص ص.44،45.

دومونفرات *، قائدا جديدا للجيوش الصليبية ، و ذلك بعد مرور أيام استقبلوه في فرنسا ، و تم تنصيبه.[1]

و بوفاة الكونت ثيبوت Thibaut و تعيين بونيفاسBouniface قائدا جديدا على رأس الجيوش الصليبية ، تأخر إقلاع الصليبيين إلى ميناء البندقية ، لمواكبة البنادقة و باقي الحجيج الذين ينتظرون و صولهم .

لكن الأهم، هو مغادر الحجيج و الصليبيين من فرنسا و باقي الموانئ أوروبا قاصدين البندقية في سنة 1202م، و تذكر المصادر أن الصلبيين غادروا بلادهم تاركين أراضيهم و منازلهم و أصدقائهم و شعبهم ، و كانت أعينهم تفيض من الدمع حزنا على فراق أحبتهم.[2]

ثم اتجهت قوافل الحجيج إلى بيرغانديا "Borgogne" جنوبا و اجتازوا الألب و مونسونيسMoncenis ثم وصلو إلى لومبارديا ،Lambardia ليجتمعوا في جزيرة أومينياء مقابل للبندقية و هو سان نيقولا" Saint Nicolas"؛ واستقبلهم سكانها أحسن استقبال.[3]

و ينبغي الإشارة إلى أن قوافل الحجيج أو الصليبين هذه لم تصل دفعة واحدة إلى البندقية؛ بل انقسمت عند مغادرتها بلدانها. وبعد أن اتفق الصليبيون وأقسموا بأن يتجمعوا في مدينة مرقس (*) . وهذا إلى جانب القائد بونيفاس الذي عاد إلى ألمانيا لقضاء فصل الشتاء سنة (1201– 1202م) ، بعد انتخابه قائدا للجيوش الصليبية، و أخبرهم أنه سيلتحق بهم

1– ارنست باكر ، **الحروب الصليبية** ، Villehardouin:Op.Cit., pp .35,38 ; Diehl :Europe, pp.124,125 ص. 100.

2– villehardouin :Op.Cit.,P.38 ; robert de clari :Op.Cit., p. 8.

3_ Ibid. ; Villehardouin: Op.Cit.,p. 38.

(*) –إن الصليبيون الذين تأخرو على البندقية قد سلكوا طرقا أخرى ، جعلتهم يتأخرون عن القوافل الأخرى ، كما تروي المصادر أحداث رحلاتهم و أسماء هؤلاء و كل ما حدث معهم إلى أن بلغوا الجزيرة و أقامو فيها ، بعد أن التقوا مع الحجيج؛ أنظر الى: villehardouin :Op.Cit., pp. 38– 40

في البندقية [1]. و عند وصول الصليبيين إلى البندقية ، ذهلوا لما رآوه هناك من التجهيزات للحملة ، و مدى استعداد الأسطول البندقي. كما سعى البنادقة أيضا إلى إقامة سوق للصليبين و لوازم الخيول و الجند،[2] فاضطر الصليبيون إلى دفع كل ما عليهم من نفقات الحملة للدوق " دوندولو" بموجب الاتفاق الذي كان بين الطرفين.[3]

وكان عدد الصليبيين الذين التحقوا بالبندقية قليلا بالمقارنة مع الذين اتجهوا إلى موانئ أخرى، لذلك لم يتمكنوا من جمع القيمة المطلوبة والمتفق عليها. و رغم دفع الجنود لحصتهم وحصة خيولهم و ثمن الرحلة؛ لم تبلغ الحصيلة سوى 35 ألف مارك فضي ، فوقع الصليبيون في أزمة مالية، ما أدى إلى خشيتهم من عدم التمكن من الذهاب إلى الأرض المقدسة .[4]

فاجتمع القادة و الأمراء فأخبروا الدوق البندقي بوضعهم المالي و بعجزهم عن توفير المبلغ المطلوب للانطلاق في الحملة[5]. و يذكر روبرت كلاري ، أن الدوق " دوندولو" غضب عليهم، و اتهمهم بالخداع، و عدم الوفاء بالاتفاقية، و هددهم بأن يتركهم في الجزيرة للجوع و العطش[5]. وأمام هذا التهديد، قدم الصليبيون دفعة أخيرة للدوق، هذه الدفعة التي تطرق إليها المؤرخ Villehardouin، و أكد أن القادة و البارونات، و ضعوا كل ما يملكونه من أموال و أدوات ثمينة لخدمة الحملة بالإضافة إلى الأواني القيمة. و مع ذلك لم يتمكنوا من جمع المبلغ، الذي اتفقوا عليه مسبقا مع الدوق " دوندولو". و بقي لهم بين 38 و 36 ألف مارك.[6]

1- الموسوعة الشاملة ، مج10، ص ص.47،48 ؛ Ibid. ;Diehl : Europe, p. 126.

2- Villehardouin :Op.Cit., p. 38,39 ; Gibbon :Op.Cit. , T.2 , p. 711.

3- Villehardouin: Ibid.

4- villehardouin: Op.Cit.,p.41; Clari: Op.Cit., pp.8,9 ; Bréhier : Op.Cit., pp.154,155 . Diehl :Op.Cit.,p.126.

5- Ibid.; Villardouin: Op.Cit., pp.41,42; Gibbon: Op.Cit., p.712.

6- اسمت غنيم: المرجع السابق، ص.100 ; Op.Cit., pp.10,11; (ويذكر المؤرخون أن القادة اختلفوا في آرائهم حول الأزمة المالية خلال اجتماعهم قبل الذهاب الى الدوق.)

1- عادل زيتون علاقات كنيسة ص. 296 120.125 Clari: Op.Cit., pp, 10,11; Tessier: Op.Cit.,pp.

وخاطب الدوق "دوندولو"الصليبيين و الشعب البندقي، وأخبر الجميع بأن هؤلاء لم يلتزموا بالعهد الذي قدموه، و بأنه سيحتفظ بالمال الذي دفعوه، وذلك مقابل التجهيزات التي وفرها، واقترح مساعدة الصليبيين في استرجاع إحدى المقاطعات الدالماسية التي تخص البندقية، وهي زارا" zara "* التي سلبها ملك المجر، والتي تقع في سلوفيكيا"[1]

وكان هذا المبلغ الذي قدمه الصليبيون جزءا من الديون التي كان عليهم دفعه وقد شرح ذلك الدوق في خطابه أمام أهله حيث قال : لقد أخذ منا ملك المجر مدينتنا " زارا " وهي إحدى أقوى الأماكن في العالم و لن نتمكن من استردادها(...) إلا بمساعدة الفرنسيين (...) وسنسمح لهم بأن يؤجلوا دفع 34000 مارك فضي (...) حتى ذلك الحين الذي يسمح به الرب فيه لقواتنا المشاركة بأن تحصل على المال من الغزو (...).[2]

و على الرغم من اختلاف آراء الصليبيين حول استرجاع مدينة زارا فبعضهم كان يخشى من عدم الذهاب إلى الأرض المقدسة إذا ما نفذوا شروط الدوق ، لكن في الأخير اتفقت الآراء و توحدت الكلمة حول مساعدة البنادقة على استرجاع "zara".[3]

والجدير بالذكر، أن قائد الصليبيين كان غائبا فقد عاد لألمانيا و نزل عند صديقه فليب دوسوابياphilippe de souabe.[4]

وقد وصل الصليبيون والبنادقة إلى أسوار مدينة زارا " zara" التي يصفها المؤرخون بالقوية و المنيعة لحصانتها .[5]

---

*وردت هذه المدينة في حوليات المصادر التاريخية باسم ***Jadres***

[1]– Villehardouin : Op.Cit., pp, 42. 43 ; Clari : Op.Cit., pp, 10.11 ; Tessier :Op.Cit., pp .126 ; Ostrogorsky :Op.Cit., p. 712.

[2]– Villehardouin : Op.Cit., pp, 42, 43 ; Clari : Op.Cit, p. 11 ; Bréhier : Op.Cit., p.155 .

[3]– Clari :Op.Cit., p.12 ; Op.Cit., pp. 42,43.

[4]– عادل زيتون :المرجع السابق، ص .296.

[5]– Villehardouin:Op.Cit., pp, 46

و حاصروا المدينة في أكتوبر أو نوفمبر من سنة 1202 م ، غير أن التوتر ساد المجندين لكون تلك المدينة مسيحية ، لكن الدوق تدخل و شجعهم واجتمع مع القادة و البارونات ، و أغراهم بتقسيم المدينة بينهم ، فاستمر الحصار حتى كاد أهلها يسلمونها[1].

وبعد مفاوضات بين أهل زارا و الصليبيون، رفض الدوق اقتراح أهلها، الذي يقضي بتسليم المدينة ، فواصلوا حصارها الذي دام 5 أيام وانتهى للاستيلاء عليها.ثم قسمت المدينة إلى قسمين؛ النصف الأول للفرنسيين، و النصف الآخر للبنادقة، فحاز هؤلاء منطقة الميناء و ماجاورها.[2] ولكن سرعان ما انفجر الوضع ، واقتتل الصليبيون و البنادقة، ونظرا للخسائر الفادحة التي ألحقت بهم، لجأ القادة و الأمراء إلى إقرار السلام بينهم مجددا.[3]

وهكذا تم الاستيلاء على المدينة و قضوا فيها فصل الشتاء. لكن بعد أن تعرضوا لقرار الحرمان، الذي أصدره البابا بحق البنادقة و الصليبين؛ لأنهم قتلوا، وسرقوا إخوانهم المسيحيين.[4]

وأثناء ذلك وصل بونيفاس من ألمانيا، و اجتمع القادة و الأمراء لدراسة الوضع، وخوفا من تأزم المسألة مع البابا؛ أرسل الصليبيون كاردينالين وفارسين إلى البابا أتوسنت الثالث* ليستسمحوه على ما بدر منهم. و بعد المحادثات الطويلة مع البابا، غفر لهم و عفا عنهم و أقتصر الحرمان على البنادقة و بعث معهم كاردينالا نائبا عنه.[5]

---

[1]- Ibid. ; Clari: Op.Cit., pp. 13,15 ; Gibbon: Op.Cit., p. 712.

[2]- Ibid. ;Villehardouin: Op.Cit., pp, 46, 49 ; Clari : Op.Cit., pp. 13, 15.

[3]- اسمت غنيم : المرجع السابق، ص . 70; Villehardouin: Op.Cit., pp, 49, 50; Gibbon :Op.Cit.,p. p.712.

[4]- Ibid. ; Vasiliev :Op.Cit. ,T.2, pp. 102.

* –و هما نوفلون " Nevelon" أسقف سواسون و Johne of Noyon و فارسان هما " Roberte OF Bones" و Johno ffrisears

[5]- أنظر اسمت غنيم: المرجع السابق، ص ص 72- 73.

و بهذا كان الانحراف الأول للحملة باتجاه " زارا" بدلا من مصر، و ليطرأ على الحملة انحراف جذري بظهور شخصية ألكسيسأنجيلوس ، و الذي سيقود بنفسه الصليبين إلى القسطنطينية.

ويرى المؤرخ Ostrogorsky، أن قبول الصليبين بالذهاب إلى زارا و محاربة مملكة هنغارية " المجر" المسيحية ، لتحقيق أهداف البندقية و مصالحها؛ يعتبر أول انحراف لأهداف الحملة ، التي كانت مصر وجهتها الأصلية. خاصة و أن ملك المجر كان مسيحيا ؛والأسوأ من ذلك، أنه كان قد جند الصليبين للمشاركة إلى جانبهم في هذه الحملة[1].

وبهذه التصرفات جردت الحملة الصليبية من قيمتها الدينية و قدسية هدفها. وانتشر هذا الشعور بين الصليبيين؛ خاصة بعد أن ندد البابا بنفسه بهذا التصرف، الذي يتمثل في تلبية رغبة الدوق " دوندولو" فما كان عليه إلا أن يحرم البنادقة من الغفران الكنيسي، ويجردهم من الامتيازات المقدسة التي حصل عليها بقية الصليبيين[2].

لكن الصليبين لم يخشوا تهديدات البابا، و انصاعوا لرغبة الدوق واستعدوا للحملة وخرجوا في شتاء سنة 1202م؛ بقيادة الدوق الذي وافق على المشاركة في الحملة بعد أن ترجاه السكان بذلك.[3]

1- Op.Cit. , p.438.

2- Vasiliev :Op.Cit.,t.2 , pp.102 , 103 ; Diehl : Europe, pp .126, 127.

3- أرنست باركر ، الحروب الصليبية ، ص 100 ; Villehardouin :Op.Cit., pp, 44

2_ تغيير مسار الحملة الصليبية الرابعة:

شغل تغيير مسار الحملة الصليبية الرابعة عددا من المؤرخين المهتمين بالحروب الصليبية. ففريق منهم برر ذلك بالظروف التي أطاحت بالحملة وقد أطلق على هؤلاء: أصحاب نظرية الصدفة."Occasion".وفريق آخر، رأى أن تغير مسار الحملة كان بهدف احتلال القسطنطينية، وأطلق عليهم: أصحاب نظرية التعمد "Prémédité"

وهذا ما سيتم التفصيل فيه، في العنصر التالي، بذكر تفاصيل تلك الظروف وشرح فكرة احتلال العاصمة البيزنطية.

أ_ نظرية الصدفة:"Occasion":

وأول مؤرخ عرض هذه النظرية، بطريقة عفوية، هو صاحب حوليات "فتح القسطنطينية"لفيلاردوين. الذي عرض أحداثها بشكل تلقائي، على أن رسل ألكسيس (المخلوع عن عرشه) إلى الصليبين، الذين كانوا مجتمعين في البندقية للإعداد للحملة، تم بمحض الصدفة.

حيث خلال مرور هذا الأمير الصغير بالقرب من البندقية وهو في طريقه إلى ألمانيا، بلغته أخبار تجهيز الحملة، فقرر طلب المساعدة لإسترداد عرشه البيزنطي المغتصب[1].

وبعد المحادثات التي دارت بين مبعوثي الأمير والصليبين، أجابهم بونيفاس دي مونفرات: بأنهم سيساعدونه إذا ما ساعدهم على احتلال فلسطين[2]. وينبغي الإشارة إلى، أن ألكسيس وعد الصليبيون بمساعدات هامة؛ شرط أن يساعدوه على استعادة عرشه. ويتضح ذلك من خلال رسالة بعثها الملك الألماني "فيليب دوسواب" إلى الصليبيين والدوق "دوندولو"، هذا نصها:

" (...) ومن أجل الرب والحق، ومن أجل العدالة (...) واسترجاع حقه في التاج (...) سيضمن لكم مقابلا هاما لاسترجاع أرض ماوراء البحار (...) أولا سيضع الإمبراطورية الرومانية في طاعة روما(...)،

1_ Villehardouine :Op.Cit.,p.45.

2_ Ibid. ; انظ الى تفاصيل أكثر حول هذه النقطة في نفس المصدر

ويمنح لكم 200 ألف مارك فضي والذخيرة لكل الجيش، وسيشارك هو بنفسه في الحملة ضد مصر (...)، ويقدم 500 جندي لخدمة الصليبين والقضية المقدسة. لمدة عام واحد (...) "[1]

وبمجرد وصول هذا الخطاب وانتشار محتواه بين الصليبين؛ دب الخلاف بينهم. فتشدد البعض منهم ورأى ضرورة الذهاب إلى فلسطين مباشرة، بينما فضل آخرون الذهاب إلى القسطنطينية، لأنهم كانوا في حاجة إلى الذخيرة والمؤن (...). وبعد سلسلة من الإجتماعات التي عقدها القادة والدوق، قرروا مساعدة الإمبراطور[2].

واتفق روبرت كلاري مع فيلاردوين حول عفوية الأحداث وشفافيتها، لكن اختلف كلاري في مسألة الوقت.

إذ يذكر أن رسالة فيليب إلى الصليبيين، وصلتهم في فصل الشتاء سنة 1202م بمدينة "Zara " ،بعد أن احتلوها[3].

وكان الصليبيون يعانون من قلة المؤن والذخيرة في تلك الأثناء التي بلغتهم فيها وعود ألكسيس وإغراءاته بالمال و الذخيرة.

ويرى كلاري أنه بمجرد ما إن سمع الصليبيون بذلك، بعثوا إلى ملك ألمانيا ليناقشوا الموضوع معه ويسألونه إمدادهم بالمؤونة. وبعد التحاور ونصح الملك للصليبين بضرورة مساعدة ألكسيس الصغير على استرجاع عرشه.

اجتمع البارونات في كورفو يوم 3 أفريل سنة 1203م وعقدوا لقاء مع ألكسيس.

وهناك قدم لهم ألكسيس تلك الوعود السخية.غير أن خلافا دب بين الصليبين والقادة حول قضية؛ تغيير مسار الحملة إلى القسطنطينية. لكنهم سرعان ماعادوا واتفقوا واجتمعوا على رأي واحد وهو الذهاب مع ألكسيس إلى العاصمة البيزنطية[4] .

1_ Villelaradouin :Op.Cit.,p.50 .51.

2_ Ibid.

3_ Clari :Op,Cit.,pp.15,16.

4_ Clari :Op.Cit.,pp.30,32.

واعتمادا على هذه الأخبار تبنى فريق من الدارسين، نظرية الصدفة، بأن انحراف مسارالحملةبإتجاه القسطنطينية كان أمرا عرضيا أملته الظروف.

وانتهى فريق آخر من الدراسين إلى نظرية تخالف الأولى، وذلك بعد مناقشات بدأت منذ سنة 1870م، وتتمثل في التخطيط لإجتياح القسطنطينية.

ب_ التخطيط لاجتياح القسطنطينية أو نظرية التعمد "Prémédité":

يبدو أن اجتياح القسطنطينية تم بعد تخطيط من بعض قادة الحملة الصليبية الرابعة أمثال: الدوق دوندولو، بونيفاس دومونفرات وفيليب دوسواب.

1_ دور الدوق "Enrico Dandolo" في الحملة الصليبية الرابعة:

لقد أشاد أغلبية المؤرخين، بقوة وصلابة شخصية الدوق "دوندولو"، حاكم مدينة البندقية، وعلى الرغم من كبر سنه، إلا أنه استطاع إثبات شخصيته الحيوية، والمفعمة بالنشاط والطموحات، حين اعتلى كرسي الدوقية وقد تجاوز سنه 80 عاما. وكان دبلوماسيا ماهرا وسياسيا محنكا، فاستطاع أن يطوع الظروف لخدمة مصالحه ومصالح مدينة البندقية[1].

وكان من أصحاب نظرية التعمد هذه، المؤرخان: "كارل هوبف" و"ماس لاتيري"، اللذين أدانا البندقية ودوقها دوندولو بخيانة القضية المقدسة، حين عقدت هذه المعاهدة ، معاهدة تجارية مع الملك العادل الأيوبي، وأثناء ذلك اتفقت من جهة أخرى مع الصليبين لنقلهم إلى مصر[2]، وبعد تبادل المشاورات بين الدوق والملك العادل، اتفقوا في 13 ماي سنة 1202م، على الشروط التالية:

_ طلب تغيير مسار الحملة الصليبية الرابعة، وإبعاد دولة مصر عن خطر الصليبيين.

_ منح إمتيازات تجارية إضافية للبنادقة ومكانة هامة في مصر[3].

1_ Ostrogorsky: Op.Cit.,p.435; Vasiliev :Op.Cit.,t.2,pp.99, 100 ; Diehl :Op.Cit.,pp.46,47.

2 عادل زيتون:المرجع السابق، ص301،100؛ اسمت غنيم: المرجع السابق ص ص. 13،14.
Vasiliev :Op.Cit., t.2 ,pp.99.؛

3_ Amin Malouf : les Criosades vues par les Arabes,JeanClaud, paris ,France, 1983, pp.252,253 ; Tessier :Op.Cit.,pp.88,89.

فالبندقية أرادت تعويض خسائرها التجارية بالقسطنطينية، بعد أن اتسعت إمتيازاتالبيازنة و الجنوية واسترجعت مكانتها المرموقة في العاصمة. خاصة بعد أحداث سنة 1080م و1081م، واضطهادات مانويل للبنادقة واللاتين المتواجدين في العاصمة البيزنطية[1].

بالإضافة إلى ذلك، عارض المؤرخ "Honataux" مسألة خيانة البنادقة، و نظرية كارل هوبف وأخرون، بحيث أنه أكد أن لدى البنادقة دوافع واضحة جعلتهم يميلون إلى استرجاع زارا "Zara"، وارجاع حق الملك إلى صاحبه ألكسيس بن إسحاق أنجيلوس، وسيكون لهم مقابل ذلك: امتيازات تجارية، وتوسع نفوذهم ، وتقسيم الإمبراطورية والحصول على ثرواتها[2](*).

ويضيف المؤرخ Vasiliev، أن البنادقة كانوا يطمعون دائما في ممتلكات بيزنطة وأسواقها. كما رأت حكومة المدينة، أن حيوية النشاط التجاري للبندقية وامتلاك أكبر قدر ممكن من الأسواق العالمية لن يكون إلا في القسطنطينية والإمبراطورية البيزنطية[3].ولقد وضع "دوندولو" في ذهنه سياسة تقضي بإزاحة الإمبراطورية البيزنطية وتأسيس أخرى بندقية تتمتع فيها بحرية الحركة التجارية[4].

ويفسر البعض، مشاركة الدوق في الحملة الصليبية الرابعة على هذا الأساس، وكذا دون نسيان الحادثة التي تعرض لها وهو سفير في القسطنطينية، والتي تعمد فيها الإمبراطور

1- Walter,Gérard :la Ruine de Byzance 1204.1453,Albin Michel, Paris,France,1958, p156,
سمت غنيم: المرجع السابق، ص ص. 14،15

2- Vasiliev :Op.Cit.,t.2,p.105.; Gérard :Op,Cit.,p.156 ;عادل زيتون:المرجع السابق، ص.303.

*ويذكر المؤرخون أنه إذا كان البنادقة عن حق خونة كما وصفوهم، فإن ذلك في حالة واحدة فقط، لأنه وضعوا مصالحهم التجارية في الإمبراطورية في المقام الأول أنظر عادل زيتون: المرجع نفسه، ص.303.

3_ Diehl :OpCit.,p.127; Op.Cit.,t.2 ,p.108 ;

4- Ibid.

مانويل كومنين على أن يفقد بصره. هذه الحادثة، التي سببت في ازدياد التوتر والضغينة التي يكنها الدوق لبيزنطة، وغرست فيه بذور الإنتقام[1].

وباجتماع تلك الظروف التي عان منها البنادقة في القسطنطينية، والتي امتزجت بطموح الدوق "دوندولو" في اسقاط العاصمة البيزنطية إلى جانب كره وضغينة البيزنطيون،ورغبتهم الملحة في المشاركة في الحملة. وباستنجاداتألكسيسأنجيلوس والوعود المغرية التي قدمه؛ بلغ السيل الزبى، واتضحت النوايا وكشفت الخبايا، ودفع البنادقة بالصليبيين إلى القبول بتغيير مسار الحملة إلى الشرق، لتثبيت أقدامهم فيها[2].

فحسب رأي "Frolow" كان "دوندولو "المحرك الرئيسي للحملة وقائدها الفعلي، حيث على الرغم من تحركاته الخفية والصامتة. كان هو المسطر للأهداف ومسير الخطوات ومعدل الظروف لصالحه وصالح البندقية فحسب[3].

ب_ دور فيليب دوسواب "Philippe de Souabe":

وهناك من يحمل مسؤولية تغيير مسار الحملة لملك ألمانيا "فيليب دوسواب" وعلى رأسهم الكونت ريانت "Riant".

وبالفعل فقد أثبتت بعض الدراسات، الروابط العائلية التي كان يتمتع بها ملك ألمانيا مع العائلة الحاكمة في بيزنطة "أنجيلوس"، إذ قام فيليب بمصاهرة الإمبراطور "إسحاق" وتزوج ابنته "Iréne".

وعلى أساس ذلك، بات يملك الحق في التدخل واسترجاع العرش المغتصب لألكسيس الصغير خاصة بعد أن اتضح أنه كان يرغب في الانتصار على البابوية وصراعه المرير معها[4]. وكي يجرد البابوية من سيطرتها على الحملة وعلى شؤون الدول وخاصة ألمانيا.وهذا بعد أن قامت بتشجيع أعداء عائلة "هوهشتاوفن" وهم أسرة "أوتون" ضد "فيليب دوسواب"

---

[1]– انظر تفاصيل تلك الحادثة عند; Vasiliev :Op. Cit.,t.2,p.100

[2]_ Heyd :Op.Cit.,p.266 ; Ostrogorsky: Op.Cit.,p.436.

[3]– Op.Cit., p. 20,21.

[4]– Vasiliev :Op.Cit.,t.2,p. 106.107; Diehl :Op.Cit,p.120.

وبالإضافة إلى ذلك، فقد اعتبر المؤرخون، أن فيليب وريث لأحقاد النورمان والألمان، وعدائهما المستمر وأطماع هنري الرابع في بيزنطة.

لذلك بات فيليب يرى في نفسه حق التدخل وتغيير مسار الحملة لنجدة صهره إسحاق المسجون وابنة ألكسيس وذلك باعتبار أن هؤلاء الحكام حلفاؤه.

وبما أن الأوضاع داخل بلاده متوترة وعلى أشدها مع منافسه "أوتون برنسفيك" بعث إلى الصليبين لمساعدة ألكسيس. وقد عمل الملك فيليب على تهدئة الأوضاع مع البابا، ولإدراكه رد فعل هذا الأخير عند تغير مسار الحملة؛ عمد إلى وضع بند خاص يخدم مصالح البابوية، وهو إخضاع كنيسة الشرق لروما[1].

كما برزت أراء جديدة حول مسؤولية تغير خط الحملة، وحملت مسؤولية ذلك الانحراف لشخصية أخرى تتمثل في بونيفاسدومونفرات.

بونيفاس مونفراتBoniface de Monteffrat:

وذهب "هنري جريغوري"، إلى أن بونيفاس مونفرات هو المسؤول عن تحول الحملة من مصر إلى القسطنطينية، واشترك مع "فيليب دو سواب". ولم يكن بونيفاس خلال انطلاق الحملة الصليبية نحو "Zara" على رأس الصليبين باعتباره القائد، ولم يشارك في الإستيلاء على المدينة، لأنه كان في بلاط ألمانيا لقضاء الشتاء عند صديقه فيليب. أين قابل ألكسيس الصغير، وتناقش الثلاثة أمر استرداد العرش البيزنطي وانحراف الحملة إلى القسطنطينية.

وعند عودته والتحاقه بالصليبين في "Zara" أخبرهم بأمر اللقاء الذي جرى ولم تمض مدة طويلة حتى وصلت رسل "فيليب" التي بعثها ألكسيس إلى الصليبين تطلب المساعدة والذهاب معه لاسترجاع عرشه[2] .وهذا بعد أن تفاهم بونيفاس وألكسيس وفيليب على مشروع تغيير مسار الحملة والاتفاق على الشروط والمقابل.

1- Vasiliev : Op.Cit., t.2, p.107 ; Gérard : Op.Cit., pp.157,158.; عادل زيتون: المرجع السابق، ص.302

2_ عادل زيتون: المرجع السابق، ص303.

لكن هذا لا ينف وجود أراء أخرى مختلفة تماما، عالجت قضية تغيير اتجاه الحملة، ضمن العلاقات السائدة بين الغرب اللاتيني والشرق البيزنطي، وكذا الأواصر والروابط الدينية التي جمعت بين العالمين[1].تلك العلاقات التي طبعتها الصراعات العريقة بين الشرق والغرب. بداية من محاولات النورمان منذ عهد ألكسيس كومنين وعدائهم المستمر للإمبراطورية إلى غاية أيام هنري السادس؛ ومشروعه الإستعماري في بيزنطة، هذا وإلى جانب توتر العلاقات وقت الحملات الصليبية الأولى ومحاولات فريدريك بربروس احتلال العاصمة البيزنطية[2].

ويلي ذلك، تصدع العلاقات بين البندقية وبيزنطة والعداء الذي نشب بين الطرفين بسبب الإمتيازات التي منحت للبيازنة والجنوية والإضطهاد الذي مارسه مانويل كومنين. كلها عوامل اجتمعت جعلت الغرب الأوربي يكن الكره والضغينة لبيزنطة، ومن هنا نمت فكرة احتلال القسطنطينية[3].

وبتظافر كل تلك العوامل، وتفاعلها أصبحت فكرة احتلال القسطنطينية جاهزة للتنفيذ، ومهيئة للتطبيق وتنتظر إشارة الإنطلاقة؛ التي أسرع الأمير ألكسيس في سحب صافرتها. وبغض النظر عن المسؤول على انحرافها وتغيير مسارها، أو من صنعها فرنسيا كان أم إيطاليا أو ألمانيا، فإنها أضحت مشروعا جاهز للتنفيذ[4]. ويظل النقاش مستمرا بين المؤرخين حول تغير مسار هذه الحملة من مصر إلى القسطنطينية، إلى حد ولادة أراء تاريخية جديدة.

3/ استرجاع العرش البيزنطي:

بعد العروض المغرية التي قدمها ألكسيس الصغير إلى الصليبين ، والإغراءات المالية؛ تم الإتفاق بين القادة و الدوق على مساعدة ألكسيس لاسترجاع عرشه . هذا على الرغم من التمزق الذي وقع بين الصليبين ، والذي تسبب في نقص الجند.

1_ Vasiliev :Op.Cit.,t.2,p.107.

2-Ibid.

3_اسمت غنيم:المرجع السابق،ص18 ; Vasiliev :Op.Cit.,t.2,p.107 .

4- اسمت غنيم: نفسه.184 ; Tessier :Op.Cit.,pp.183 ; Ibid.

في حين انزعج البابا انوسنت الثالث كثيرا من قرار انحراف الحملة، هذا الانزعاج الذي أبداه أمام رسل الحملة، كما قام بتحذير الصليبين من الهجوم على مدينة مسيحية أخرى وهددهم بالعقاب، وذلك بحرمانهم من غفران الكنيسة. لكن و أمام توسلات الرسل عفا عنهم، وأبقى قرار الحرمان على البنادقة .[1]

وقد استعد الصليبيون للخروج في حملة اتجاه القسطنطينية، و هم مفعمون بالحيوية والسعادة، و يرجع (فيلاردوين) ذلك، إلى وجود الأمير البيزنطي إلى جانبهم. واتجه القادة و الصليبيون إلى جزيرة دورازوا *.[2] التي ما إن علم أهلها حتى وضعوا المدينة بين أيادي الصليبيين و ألكسيس واستقبلوهم أحسن استقبال .[3]

و من دورازوا اتجه الصليبيون إلى جزيرة كورفو، فمكثو بها ثلاث أسابيع بعدما استقبلهم أهل المدينة، و رحبوا بهم و سلموا المدينة الى ألكسيس.[4]

و من هناك خرج الصليبيون في ماي 1203 م إلى جزيرة أندروسAndros التي استقبلت هي الأخرى، الأمير البيزنطي، و ذات الأمر حدث مع الصليبيين في جزيرة Abidos التي فتحت أبوابها أمام أمير الصليبيين.[5]

وهنا يشيرالمؤرخ فيلهاردوين إلى أن الصليبيون استولوا على عدد من الجزر، والمدن والساحلية البيزنطية "Negropont"و " Avie"، أين بقى الصليبيون مدة ثمانية أيام.

---

[1]– اسمت غنيم ، المرجع السابق، ص ص. 80–81 ؛Villehardouin: Op.Cit., pp.52,54

وتوجد تفاصيل رسل الصليبيين إلى البابا و محادثات في نفس المصادر؛ عادل زيتون : المرجع السابق، ص 298.

[2]– Villehardouin :Op.Cit., pp.5 5,56.

*و هنا يذكر فيلاردوين ، انقسام الجيش و القادة . فالجيش ذهب إلى " كورفو " في حين اتجه القادة إلى دورانوا و منها إلى كورفو أو Corfol كما ذكرتها المصادر؛ و لعل هذا يرجح رأي كلاري بأن الصليبيين التقوا بألكسيس في كورفو، أنظر في (Villehardouin: Op.Cit., pp.55, 56.)

[3]–Ibid.

[4]–Diehl: Europe, p .130; Ibid. ,pp .56, 57.

[5]–Villehardouin :Op.Cit., pp.57 , 58.

* أو « Saint Stefano » كما ورد في المصادر.

وبعد ذلك استعدت الجيوش الصليبية لمواصلة سيرها إلى القسطنطينية ، و اتجهت إلى جزيرة القديس إيتيان[1] في جوان 1203 م، فاجتمع القادة و البارونات لإيجاد أحسن طريق للسير نحو الهدف.

ولقد أفضى الإجتماع في اتباع طريق إلى خليقدونية " Chalcedoine "، وقد كان هذا القرار فكرة الدوق؛ الذي رآى ضرورة محاصرة المدينة من الضفة الآسيوية للبوسفور، و كذا من أجل تزود الصليبيين بالمؤونة و الذخيرة لمواصلة المسيرة.[2]

كما أشار المؤرخ فيلهاردوين إلى دهشة الصليبين عند و قوفهم أمام العاصمة؛ لجمالها، وروعتها، وغناها الذي فاق تصوراتهم، و استغربوا من توفر كل تلك المواصفات في مدينة واحدة إلى جانب قوة حصانتها و تعجبوا من كبرها و علو أسوارها و أبراجها [3].

وبعد التزود بالمؤن و كل ما يحتاجه الجيش. ذهب الصليبيون إلى البرج الأسيوي لمدينة القسطنطينية "سكوتاري" [4] Scutari على مضيق البوسفور. فهرب الجنود البيزنطيون أمام الفرنسيين ، واستولوا عليه؛ وقام الجيش الصليبي بإرساء السفن و جهزوا سلاحهم و شرعوا في حصار المدينة.

وعند بداية الحصار الصليبي لأسوار القسطنطينية ، انتبه الإمبراطور ألكسيس إلى خطر الصليبيين، فأرسل إليهم رسلا ، يستفسرون فيها عن سبب هجومهم على المسيحيين مثلهم ، و يعدهم بمساعدات مالية أضعافا مضاعفة.[5]

---

[1]-عادل زيتون :المرجع السابق، ص. 298 ; Villehardouin :Op.Cit., pp.59,60,61

[2]- اسمت غنيم: المرجع السابق، ص ص.82.

[3]- Villehardouin :Op.Cit., pp.62 ; Bréhier : Op.Cit., p. 158 ; Vasiliv : Op.Cit.,p. 108 ;
اسمت غنيم : المرجع السابق، ص ص .28.

[4]- Villehardouin : Op.Cit., pp.62 .63 ; Gibbon : Op.Cit. , p. 714- 716 ;
وانظر أيضا الى :عادل زيتون: المرجع السابق، ص. 298.

5-نفسه ; Bréhier : Op.Cit., p. 159 ; Clari : Op.Cit., pp.13,15
Villehardouin : Op.Cit., pp. 62.- 63

ولقد رد عليهم أحد الفرسان Conan of bethume * قائلا: " إن البارونات دخلوا إلى أراضيه و مملكته (...)لانه اغتصب هذه الأرض ظلما و عدوانا (...) إنما نخصابن شقيقه (...) واذا رغب سيدك في أن يرد ابن شقيقه تاجه(...) سنتوسل له ليفصح عنه (...)"[1].

ولإثبات مصداقية قول الصليبيين ، ارتأوا إظهار الأمير ألكسيس للبيزنطيين ، ليتأكدوا من ثبوت شخصيته و أحقيته في التاج البيزنطي .ولقد خاطب الصليبيون، سكان بيزنطة بأن هذا الأمير هو صاحب الحق الأول في العرش، و أن يتعاونوا لاسترجاعه. [2]

و قام القادة و البارونات بهجوم مباشر، وقسموا الجيوش الصليبية إلى سبع فرق* وكانت أكبر الفرق تحت قيادة بونيفاس مونفرات.

وهكذا تم الإستيلاء على الميناء و قلعة " قالاتا" Galata"، الواقعة على الضفة اليسرى من القرن الذهبي.*[3]

ويذكر المؤرخون، أن القادة قسموا الفرق العسكرية و اتفقوا على الهجوم على القسطنطينية برا و بحرا. ولقد تبنى الفرنسيون و البنادقة استراتجيات عسكرية ساهمت في تسهيل عملية دخول الصلبين إلي العاصمة البيزنطية؛ بأن قاموا ببناء السياج، و حفر القنوات، و تجهيز 250 آلة لرمي الأحجار على أسوار القسطنطينية العالية .[4] إلى جانب، قطع السلاسل الحديدية التي كانت عائقا أمام الصليبيين لدخول ميناء

---

*وقد اختاره البارونات و دوق البندقية، Villehardouin : Op.Cit., pp.66

[1]– Ibid.; Gibbon: Op.Cit., pp. 715, 716

2 - اسمت غنيم ، المرجع السابق، ص ص28؛ Villehardouin :Op.Cit., pp.66.67

*و لقد ذكر فيلاردوين، تلك الفرق العسكرية، و أسماء قادتها و أعضائها أنظر : نفس المصدر، ص ص 68-67.

[3]– اسمت غنيم: المرجع السابق، ص .92 ؛ Villehardouin: Op.Cit., pp. 68 ,70، Diehl:Europe,pp.130 , 131؛ Bréhier :Op.Cit., p. 159

*Corne d'or: ميناء طبيعي للعاصمة البيزنطية ، محمي من أي تيارات عميقة ، اسمت غنيم، ص 83.

[4]– Villehardouin : Op.Cit., p.71 ; Vasiliev : Op.Cit., pp. 108,109 ; Gibbon : Op.Cit., p.717, 718.

القسطنطينية، و بالتالي تمكنوا من الدخول و الهجوم على المدينة برا و بحرا. وهكذا استولوا على قصر بلاكرن "Blachernes "[1].

وأعطيت إشارة الهجوم الأولى على العاصمة، و بدأت المناوشات بين الفريقين، واستعد الأسطول البندقي بقيادة "دوندولو" في 17 جوان 1203 م. واستولى على 25 سورا من أسوار المدينة و ذلك بمساعدة القديس مارك[2]. و بعد معركة عنيفة وقوية بين القوات البرية و البحرية الصليبية و بين البيزنطيين، و أمام قوة الصليبيين و البنادقة وعزمهم على دخولهم العاصمة؛ قرر الإمبراطور مغادرة المدينة للنجاة من خطرهم بعد أن جمع المال و المجوهرات، فر هاربا من المدينة تاركا وراءه رعاياه و عرشه[3]، يواجهون الغزاة لوحدهم.

ولما تأكد البيزنطيون من هروب الإمبراطور من مواجهة ألكسيس صاحب الحق الشرعي في العرش، قاموا بإطلاق سراح إسحاق انجلوس و أجلسوه على عرشه في قصر Blachernes، وأجرى اتصالاته مع الصليبيين، يعلمهم فيها بنهاية فترة سجنه و أنه استلم عرشه . وهكذا توقفت الحرب بين الطرفين، و اجتمع البارونات و أبلغوا الأمير ألكسيس بالأمر، و فرح لذلك فرحا شديدا. غير أن القادة لم يسمحوا للأمير بدخول عاصمته، إلا بعد قرار الإمبراطور إسحاق بالوعد الذي تقدم به ألكسيس للصليبيين.[4]

---

[1]– اسمت غنيم: المرجع السابق،ص.92 ; Bréhier : Op.Cit., p.159 ; Villehardouin :Op.Cit., p.71 ; Ibid.

*و لقد ذكرت المصادر تفاصيل أخرى عن التحركات الصليبيين و أسماء المحاربين في Villehardouin : Op.Cit., p.72,74.

[2]– Ibid. ,p.75 ; Gibbon : Op.Cit. , pp. 717, 718.

[3] Villehardouin :Op.Cit., pp.76, 78.

4– Ibid ;Clari :Op.Cit., p. 52; Diehl : Europe,p. 131.

*و قد كان فيلاردوين من بين هؤءلاء الرسل.

وبحكم ذلك أرسلوا إلى إسحاق أنجلوس يطالبون منه التأكيد على تنفيذ وعود ابنه لمساعدة الصليبيين، واتفق على بعث أربعة رسل، اثنان من البنادقة واثنان من الصليبيين.[1] وعلى الرغم من ثقل تلك الشروط، فإن الإمبراطور وافق عليها؛ فاطمئن بذلك الصليبيون، ودخل الأمير ألكسيس إلى العاصمة، القسطنطينية.*[2]

واتفق الإمبراطور إسحاق و ألكسيس؛ على السماح للبنادقة و الصليبيين بالدخول في مجموعات صغيرة إلى العاصمة. وقد عم الفرح بين البيزنطيين، لاستقرار الأوضاع بالعاصمة، واسترجاع عرش ألكسيس وإسحاق. وابتهج الصليبيون و البنادقة لوجودهم بأجمل عاصمة في العالم آنذاك [3].

و في بداية أوت سنة 1203 م، تم تتويج ألكسيس إمبراطورا على البيزنطيين بالإشتراك مع والده في كنيسة آيا صوفيا . أقيمت احتفالات بالقسطنطينية، وانبهر الصليبيون بجمالها و رونق قصورها وغناها.[4]

غير أن الأوضاع، سرعان ما ساءت في المدينة، و ذلك لتوتر العلاقات بين اللاتين والاغريق. هذا التوتر الذي سينفجر بعد حين و تتمخض عنه أحداث أكثر خطورة وأعمق تأثيرا ، وتتمثل أهمها في سقوط القسطنطينية على أيدي الصليبيين في سنة1204م.

1- Villehardouin: Op.Cit. ,pp.78,80; Clari: Op.Cit., p. 53; Gibbon : Op.Cit. , pp. 93, 92.

2- Villehardouin :Op.Cit. ,pp.78-80 ; Clari : Op.Cit., p. 53. ;

اسمت غنيم: المرجع السابق ، ص ص 92- 93 ؛ و تذكر المصادر ، أن القادة والبنادقة رافقوا الإمبراطور إلى قصر Blachernes.

3- Villehardouin : Op.Cit.,pp.78-80 ; Clari : Op.cit., p. 53.

4- Ibid , p. 55 ; Villehardouin :Op.Cit. , p81-82.

3 –سقوط القسطنطينية البيزنطية:

بعد تتويج ألكسيس أنجيلوس إمبراطورا على العرش البيزنطي بالإشتراك مع والده إسحاق، وبعد استقرار الأوضاع في العاصمة البيزنطية، طلب الصليبيون والبنادقة مستحقاتهم التي وعدهم بها ألكسيس[1].

وذكر "روبرت كلاري" و"فيلا ردوين"، أن الإمبراطور ذهب إلى المعسكر الصليبي وإلى مخيم "بدوين" كونت فلاندرز وهانو، ليخبره بعدم استطاعته دفع المال الموعود به دفعة واحدة ، وطلب منهم تمديد فترة إقامتهم بالعاصمة لمدة سنة واحدة، وإلى غاية مارس 1204م، ليستكمل جمع الأموال لدفع الديون لهم.[2]

ولقد اعتبر ألكسيس تلك السنة الواحدة مهلة كافية ليجمع مال الصليبين، غير أنه تعهد بتحمل نفقات الجيش الصليبي طوال مدة الإقامة هناك. وإلى جانب ذلك، فقد دعا القادة الصليبيون والبارونات للذهاب معه في جولة إلى الأراضي والولايات البيزنطية؛ لاستتباب الأمن فيها واقرار سلطته عليها. فاجتمع البارونات والقادة والدوق البندقي، وبعد مناقشات مطولة، استقروا على رأي واحد وهو الموافقة على تمهيل ألكسيس مدة عام، لتسديد المستحقات وبقاء جزء من الصليبين والبنادقة داخل العاصمة. كما قبلوا دعوته للقيام بجولة في ولايات الإمبراطورية بجانب ألكسيس[3].

ورافق بونيفاس مونفرات وبدوين دوفلاندرز، وعدد لابأس به من البارونات(*)، الإمبراطور ألكسيس في جولة عبر أراضي وأقاليم بيزنطة[4].

1_ Clari :Op.Cit.,p.56 ; Villehardouin : Op. Cit.,t.2, p.109 ; Diehl :Op.Cit.,p.131 ;
نسيمة بلخير: انحراف الحملة الصليبية الرابعة ،م م غير منشورة ،ص 68.

2_ . Clari :Op.Cit.,p.56 ; Vasiliev :op. cit.,t.2,p.82,83 ; اسمت غنيم:المرجع السابق،ص.93 .

3–عادل زيتون:المرجع السابق،ص 299 ؛ Villehardouin : Op.Cit., pp.83,85؛ Ibid., p57
اسمت غنيم: المرجع السابق،ص93.

(*)_ مع الحرص على ترك عدد آخر من القادة لحراسة المعسكر الصليبي.

4–Villehardouin :Op.Cit.,p.85 ;Clari :Op.Cit.,p.57 ; Diehl :Op.Cit.,p.133.

وفي غياب الإمبراطور ألكسيس عن العاصمة، ازداد التوتر القديم شدة بين اللاتين المقيمين في العاصمة، وبين سكانها الأصليين؛ إذ استاء البيزنطيون من حرية تصرف البنادقة والصليبين في احتكارهم التجاري وحرية تملك الدكاكين والأسواق والأحياء، ومن إقامتهم في مدينتهم. لذلك سرعان ما نشب الصراع بين الطرفين، وفي وسط العراك شبت النيران في أحد المنازل وانتشرت في احياء اللاتين بسرعة والتهمت منازل، ومخازناللاتين وأسواقهم، كما قتل منهم أعداد كثيرة. كما مست أيضا الكنائس والقصور[1].

وقد نتج عن تلك الأحداث التي ألمت باللاتين في القسطنطينية، التحاقهم بالمعسكر الصليبي خارج أسوار المدينة، من جراء والفوضى التي عمت أحيائهم[2].

وفي تلك الأثناء، عاد ألكسيسوالبارونات من جولتهم في الإمبراطورية، وعندما علم بتلك الوقائع في عاصمته وبالخسائر الفادحة التي خلفتها تلك الحرائق، واستياء البيزنطيين الشديد من اللاتين والبنادقة وقع بين نارين: نار البيزنطيين الثائرين عليه، وضرورة تهدئة الوضع وإقرار الأمن في عاصمته، ونار الصليبين الذين يطالبونه بدفع مستحقاته. وأدرك ألكسيس أنه المسؤول الوحيد عن هذا الوضع المتأزم، فهو الذي استنجد بهم وأدخلهم القسطنطينية[3] .

فحاول ألكسيس كسب ود البيزنطيين وغيرمن معاملته للجالية اللاتينية والصليبين. وقد بدت تلك المعاملة، متعالية على البنادقة، ثم برز عامل آخر ليزيد الوضع سوءا، هو تأخره في دفع ديونه للصليبين والبنادقة، فتنافس "بونيفاس مع ألكسيس"، حول السبب المفاجئ لمعاملته هذه مع الصليبين[4]. لكن محاولته هذه باءت بالفشل.

1_ Villehardouin :Op.Cit.,pp.85,86 ;Vasiliev :Op.Cit.,t.2,p.109 ; Frolow : Op.Cit., pp.17,18 ;
نسيمة بلخير :المرجع السابق، ص68.

2- عادل زيتون: المرجع السابق، ص299؛

3_ Diehl :Op.Cit.,p.133; Heyd :Op.Cit., p.267,268 ;
Vasiliev :Op.Cit.,t.2,p.109 ; Frolow : Op.Cit.,p.27 ; Villehardouin : Op.Cit.,p.87;
نسيمة بلخير : نفسه، ص 61.

4- اسمت غنيم : المرجع السابق، ص94 ؛ Villehardouin : Op.Cit.,p.87,

وبعد ذلك يذكر فيلاردوين، أن الصليبين والبنادقة، عقدوا اجتماعا، وتأكدوا خلاله من خيانة ألكسيس وعدم إيفائه بوعوده، لذلك أوفدوا بعثة تطالبه بدفع ديون الصليبين والإلتزام بوعوده وهددوه باستخدام القوة للحصول على حقوقهم.

وقد أظهر الإمبراطور ألكسيس الجفاء عند لقائه بأعضاء الوفد، ودهش لجرأة هذا التهديد وهو في بلاطه. لكن بقيت هذه المحاولة بلا جدوى[1].

هذا وقد سعى الدوق "دوندولو" في محاولة أخيرة لمناقشة هذه القضية مع ألكسيس بعد أن استدعاه. وتحدثت المصادر، عن جرأة الحوار وصراحة النوايا بين الطرفين، خاصة عندما رد الدوق على ألكسيس الذي رفض تسديد أكثر مما سدده سابقا، بكل تحدي، فقال: "(...)، نحن الذين رفعناك من هاوية القذارة، وسنعيدك إليها مرة أخرى، وإنني لمتحديك ومنذرك لتعلم (...) منذ هذه اللحظة فصاعدا، سألحق بك الأذى كل ما أستطيع[2]".

ويدل هذا التهديد على عداء شديد بين الطرفين، خاصة حينما أشعل البيزنطيون النار في سفن البنادقة(*).

وعلى إثر ذلك انتشرت الفوضى في القسطنطينية، واشتبك اللاتين والبيزنطيون الذين حملوهم مسؤولية عدم استقرار الأوضاع. وقد نتج عن تلك الفوضى، انقلاب عسكري وأطاح بنظام حكم ألكسيس الرابع ووالده إسحاق واعتلىألكسيس الخامس دوقاس المدعو ب: "Murzuphle" ، عرش الإمبراطورية في جانفي سنة 1204م[3].

1_ Villehardouin:Op.Cit.,p,88,89 ;Clari :Op.Cit.,p.58 ; René Grousset :Op.Cit.,pp.445,456.

2_ Clari : pp.58,59 ; Villehadouin : pp.88,89

(*)_ لكن يذكر فيلهاردوين أنه بعد اخماد النيران، اتضح أن السفن المتضررة كانت بيزية، غير أن هذه المحاولة كفيلة للتأكد من خطورة الوضع انظر الى اسمت غنيم، المرجع السابق، ص96.

3 – Villehardouin : Op.Cit., pp.91,92 ; Clari :Op.Cit.,p.58 ; Ostrogorsky:Op.Cit.,p.439 ; Frolow:Op.Cit.,pp.17,18.

وبذلك لم يبق أي أمل ولو كان ضئيلا للصليبيين والبنادقة في الحصول على الأموال التي وعدوا بها، ولا على المساعدات لمواصلة سير الحملة إلى مصر، فقرروا الهجوم على العاصمة البيزنطية وهدم أسوارها.

وعلى الرغم من الضجة التي أثارها هذا القرار بين الجند ومعارضة الكثير منهم له، غير أن تدخل القادة والبارونات والدوق، ورجال الدين، الذين أفتوا بشرعية الهجوم على العاصمة وأن محاربة البيزنطيين من هذا المنطلق هي حرب عادلة، كان كفيلا بحل الخلاف بين الصليبيين[1].

وجد الصليبيون والبنادقة صعوبة في مواجهة عدو جديد اشتهر بعدائه الشديد للاتين[*]،وبدفاعه المستميت على بلاده، وبعد هجمات البيزنطيين على الفرق العسكرية البرية أعطى الضوء الأخضر للصليبيين ببداية الحرب اللاتينية الصليبية.

هذه الحرب التي لم تكن أهدافها استرداد عرش الأمير أو إنقاذ عاصمته من خطر أو تيار سياسي ما، إنما كانت لأجل تأسيس إمبراطورية لاتينية تخص اللاتين، الصليبيين والبنادقة[2].

ويمكن أن يستدل الباحث على هذا الرأي، بتلك الإتفاقية التي أبرمت في مارس 1204م بين الصليبيين والبنادقة، والتي تنص على تقسيم الإمبراطورية والعاصمة بين الطرفين، والغنائم على قسمين، وانتخاب إمبراطور من الطائفتين بعد اختيار ستة أشخاص من البنادقة و ستة من الفرنسيين ، يقسمون على اختيار الشخص الأصلح الذي يتولى حكم الإمبراطورية[3].

(*)_ يذكر فيلهاردوين أن إسحاق عندما علم بإبعاد ابنه عن العرش،اصيب بالمرض وتوفي، أما ابنه ألكسيس4 فقد توفي " بسم Murzuphle " ، Villehardouin :Op.Cit.,p.91 ; Clari :Op.Cit.,p.61

1_ Ibid. ;Grousset :Op.Cit.,p.446 ; Diehl :Europe,pp.133,134.

(*)_ ولقد كان هذا السبب الأول الذي جعل الشعب البيزنطي يلتف حوله ويختاره حاكما عليها.

2_ نسيمة بلخير: المرجع السابق، ص ص 61،62 ; Ostrogorsky: Op.Cit.,p.440

3- Villehardouin :Op.Cit.,p.95 ; Clari :Op.Cit.,p.68 ; Vasiliev :Op.Cit.,t.2,p.110 ; Diehl :Europe,pp.133 ; Grousset :Op.Cit.,p.446 ; Heyd :Op .Cit., pp.268,269.

هذا بالإضافة إلى حصول الإمبراطور على ربع العاصمة وخارجها وعلى القصرين "Bouchelion" و "Blachernes"، أما حصة البنادقة والصليبيين، فكانت ثلاثة أرباع المتبقية تقسم بينهم بالتساوي كما يتعهدون بتقسيم الإقطاعات ومناصب الشرف، ويعينون من سيقوم بخدمة الإمبراطور[1].

وقد أبرمت هذه المعاهدة بين الصليبيين والبنادقة، خلال الهجوم الأول أو الحصار الذي فرض على العاصمة، ولكنه باء بالفشل بسبب حصانة المدينة والتجهيزات العسكرية التي أعدها "Murzuphle"[2].

وتواصلت التجهيزات والإستعدادات في المعسكر الصليبي الذي جهز الآلات والمنجيق، وأعدوا السفن الحربية والناقلات ، ووضعوا السلالم لتسلق الأسوار، كما زادت القسطنطينية من تحصيناتها ورفع مستوى علو الأسوار[3].

وباستكمال التجهيزات وتسليح الجنود، بدأت المواجهات بين البيزنطيين والصليبيين انتصر فيها البيزنطيون.وعلى أساسها، عقد البارونات ودوق البندقية اجتماعا في كنيسة موجودة على الجهة الأخرى من الميناء، وتم خلاله رفع معنويات الجنود الفرنسيين المحبطة، بعد أن خاب أملهم لصعوبة اجتياز أسوار المدينة.

وقد أفضى هذا الاجتماع (*) إلى إيجاد سبيل آخر لتنظيم القوات والسفن من أجل الإعداد للمعارك[4]. وبعد إصلاح الأضرار التي لحقت بالسفن، ونيل استراحة وجيزة، استأنفت الحرب بين البنادقة والصليبيين من جهة والبيزنطيين من جهة أخرى، ونظرا للرياح المواتية، دخل البنادقة مع أحد الفرسان الفرنسيين إلى أحد الأبراج. وبعدها استولوا على

1- اسمت غنيم:المرجع السابق، ص ص96-97،

Villehardouin :Op.Cit.,p. 95 ; Clari :Op.Cit.,p.68 ; Bréhier :Op.Cit.,p.146 ;Vasiliev :Op.Cit. , t.2,p. 10

2_ Villehardouin :Op.Cit.,p. 95; Clari :Op.Cit.,p.69 ; Diehl : Europe,pp.133,134.

3_ موسوعة، مج10، ص 108 ; Ibid.,p.96.

(*)_ ولقد أورد فيلهاردوين تفاصيل أكثر حول السبل العسكرية الجديدة، وعن تنظيم وقتهم (ص 96.)

4 _ "موسوعة الشاملة"،مج10، ص111، ;Ibid.;Clari :Op.Cit., pp.71,72

برجين(*)[1] وبسرعة كبيرة حطم الفرسان والبنادقة المتسللين إلى الأبراج، ثلاثة أبواب ودخلوا المدينة، وتواجهوا مع معسكر "Murzuphle" الذي نصب خيامه قرب مكان هجوم الصلبيين. ونظرا لقوة المواجهة وشدة العراك وطوله بين البيزنطيين وفرسان الصليبيين والبنادقة، انسحب الإمبراطور ألكسيس الخامس وانتهت بذلك المواجهة، بعد أن انهكت قوى الصليبيين. واستقروا قرب الأسوار التي استولوا عليها، واستقروا بدوين دي فلاندرز وهانو في خيام " Murzuphle " بينما تمركز أخوه هنري أمام قصر "Blacquerne"[2] في حين بقي بونيفاس بجانب المدينة لقضاء الليلة هناك.

لكنه حدث وأن فر الإمبراطور "Murzuphle" في تلك الليلة من البوابة الذهبية، واندلعت النيران في تلك الأثناء، ويخبر فيلاردوين، أن هذا يعتبر ثالث حريق وقع في القسطنطينية منذ وصول اللاتين إلى تلك الأرض. و كان عدد المنازل التي احترقت في هذا الحريق، بأنها تفوق عدد المنازل ثلاث مدن كبيرة من فرنسا[3] في ذلك الحين.

و في صباح الإثنين 12 أفريل 1204 م، استعدت الجيوش و الفرق العسكرية، و استكملوا الإستيلاء على ما تبقى من المدينة، و دخلوا القسطنطينية التي عاثوا فيها فسادا و خراباكما عمدوا إلى القتل و النهب ، واستولى بونيفاس على القصر " Bochelion" بينما سلم قصر Blacquerne إلى هنري أخي الكونت دي فلاندرز .[4]

---

[1] (*) _ ولتفاصيل أكثر عن الحصار الثاني وتقنيات تسلق الأسوار ودخول المدينة، ارجع الى :

[2]-موسوعة، مج10، ص ص. 111،112

Villehardouin :Op.Cit.,pp.79.

[3] -Villehardouin :Op.Cit., p .33 ; Clari :Op.Cit., p. 79 ; Grousset :Op.Cit. , p. 446 ;Vasiliev: OP.Cit. , p. 110.

[4]- أبو الفداء الحافظ ابن كثير: البداية و النهاية، وثقه: علي محمد عوض، الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997، مج.7، ج13،ص32 ; Villehardouin :Op.Cit. ,pp .100-101. ; الموسوعة،مج10، ص ص 113-114 .

وهكذا أسقط الصليبيون والبنادقة العاصمة البيزنطية، بعد أن دخلوا بالقوة وشهروا فيها السلاح والسيف، ليحققوا بذلك حلم كل الأوروبيين و البنادقة والدوق بالخصوص. ويذكر المؤرخون أن المدينة، تعرضت لكل أنواع النهب والسلب والسرقة لمدة ثلاث أيام متتالية.[1]

حتى الكنائس الفخمة و الأديرة لم تسلم من عدائهم، فكانت بربريتهم و همجيتهم محل وصف المؤرخين الذين يشهدون أيضا بغنى القسطنطينية؛ واندهش " فيلاردوين" من تلك الثروات و المجوهرات و الأحجار الكريمة التي تتوفر عليها مدينة القسطنطينية و فخامة كنائسها الذي أذهل الصليبيون و البنادقة على حد سواء.[2]

و بعد أن ثبت الصليبيون و اللاتين أقدامهم في القسطنطينية، و بعد إسقاط الحكم البيزنطي، كان من الضروري تنصيب إمبراطور جديد يحكم الإمبراطورية اللاتينية .

و بالإعتماد على الإتفاقية المبرمة سابقا بين البنادقة و الصليبيون، قبل دخول العاصمة، تم انشاء لجنة تتكون من 12 عضوا و ستة أعضاء لكلا الجانبين (الفرنسي و البندقي)، و ذلك بعد الإجتماع الذي عقد بين القادة و البارونات و الدوق.

و كان المترشحان الأساسيان، لهذا المنصب هما : الكونت الفلاندرز و بونيفاس دي مونفرات ، قائد الحملة ، هذا بعد أن أبى الدوق " دوندولو" الترشح لهذا المنصب.*[3]

و يذكر فيلهاردوين أن خلافا وقع بين الصليبين حول اختيار الإمبراطور وأن الصراع نشب على المنصب بين المترشحين بونيفاس و بدوين.

---

[1]- Villehardouin : Op.Cit., pp. 100- 101؛ نسيمة بلخير: المرجع السابق،ص 67.

[2]- نسيمة بلخير: نفسه ؛ ابن كثير: المصدر السابق، ص32؛ و توجد تفاصيل أكثر عن السلب و النهب الذي مارسه الصليبيون في القسطنطينية في: أنظر:

- Grousset :Op.Cit., p. 446 ; Diehl :Europe , pp. 133- 134.

*بعد أن اكتفى بمنصب رئيس لجنة 12 عضو

[3]- نسيمة بلخير: المرجع السابق ، ص 75; Villehardouin :Op.Cit., pp. 102- 103

واعتقادا من بونيفاس ، بقوة شخصيته و إيمانا منه بعلاقاته المتينة مع البيزنطيين، و قيادته للجيش الصليبي، أضحى يؤمن بفوزه بالمنصب، و أن كل ذلك كفيل بتعيينه، لذلك ذهب واستولى على قصر" Boukeleon "، و تزوج من أرملة إسحاق أنجيلوس،[1]

وتجدر الإشارة إلى أن دوندولو، كان يخشى من قوة "بونيفاس"، و خوفا من نفوده في ايطاليا، و تحالفه مع جنوة؛ كان يؤيد حكم بدوين على الرغم من ضعف شخصيته.

وبعد تهدئة الأوضاع ، وإنهاء الخلافات، تم انتخاب الكونت بدوين إمبراطورا على العرش اللاتيني الجديد بالقسطنطينية، في 9 ماي 1204 م.[2]

و بمجرد أن نطق القرار أسقف مدينة سواسون ،Nivelon de soissons ، حتى عم الهتاف والفرحة بين الشعب ، وسارع بونيفاس وبارك له على منصبه الجديد. واحتفل به القادة و الدوق، و الصليبيون ، و قاموا بتتويجه في إحتفالات عظيمة بكنيسة آيا صوفيا يوم 16 ماي 1204 م وعينوا بطريقا على كنيسة القسطنطينية. فاختار البنادقة ورماسموروسيني" Thomas Mouraceni"، وبهذا تأسست رسميا الإمبراطورية اللاتينية في الشرق.[3]

لقد نجحت البندقية بابراز موهبتها في السيطرة والقيادة، التي جسدتها في قيادة الحملة الصليبية الرابعة ، و في تغيير مسارها نحو القسطنطينية. هذا الذي أثبتته من خلالها، مكنها من توسيع نفوذها السياسي قبل التجاري ليشمل الامبراطورية البيزنطية.

---

[1]– واسمها " مارغريت " ، اسمت غنيم: المرجع السابق، ص 102 ; Villehardouin :Op.Cit., p.103 Bréhier :Op.Cit.,p. 167.

[2]– عادل زيتون: المرجع السابق، ص 307؛ ولتفاصيل أكثر حول معارضة الدوق لإنتخاب بونيفاس ارجع الى نفس الكتاب.

* أنظر تفاصيل أصل البطريق، و ترقية منصبه، ورد فعل البابا: اسمت غنيم: المرجع السابق، ص 103.

[3]– نفسه ؛ نسيمة بلخير: المرجع السابق، ص 76 –77 ., Villehardouin : Op.Cit ; Diehl :Europe , P. 164 p.104.

الفصل الرابع

دور الحملة الصليبية الرابعة في تطوير تجارة البندقية

دور الحملة الصليبية الرابعة في تطوير تجارة البندقية

1)_ نتائج الحملة الصليبية الرابعة:

أ_ نتائجها على بيزنطة.

ب_ نتائجها على الصليبين وأوربا بصفة عامة.

2)_ توسع وتطور تجارة البندقية بعد سنة 1204م:

أ_ مكتسبات البندقية من الحملة الصليبية الرابعة.

ب_ توسع ممتلكات البندقية بعد سنة 1204م.

ج_ توسع تجارة البندقية بعد سنة 1204م.

د_ دور التجارة في تطور البندقية.

دور الحملة الصليبية الرابعة في تطوير تجارة البندقية:

1)_ نتائج الحملة الصليبية الرابعة:

لقد تم إسقاط القسطنطينية في سنة 1204م على أيدي اللاتين إثر الحملة الصليبية الرابعة، فهلكت الإمبراطورية البيزنطية عن آخرها، بعد أن صمدت ثمانية قرون منذ تأسيسها. فما كانت نتائج الحملة الصليبية الرابعة عليها؟ وكيف تلقت القسطنطينية تلك الضربة القاسمة؟

أ_ نتائج الحملة على بيزنطة:

لقد سقطت القسطنطينية بأيدي اللاتين، بعدما هدموا أسوارها وداهموا مدينتها. فاصطدمت تلك المدينة الآمنة، بهمجية الصليبين وتصرفاتهم التي يشهد معظم المؤرخون بأنها كانت لا إنسانية[1].

حيث بعدما استولى الصليبيون على قلب الإمبراطورية البيزنطية، عاثوا فيها خرابا وفسادا، إذ عمدوا إلى نهب المخازن ومستودعات التجار، وأملاك البيزنطيين ومختلف عقاراتهم[2]. كما اشعل الصليبيون النيران بالأحياء البيزنطية وفي باقي المخازن والمستودعات وبيوت أهل العاصمة. وذلك من أجل إخراج السكان المختبئين أمام همجية الغزاة، وبالتالي تتم المواجهة، فيعمد الصليبيون الى القتل والذبح[3].

فلم يكن لنهب مدينة القسطنطينية مثيل، نظرا لغناها الزاخر، الذي جنته من فسيفساء حضاراتها العديدة وتاريخها الأصيل من عروق الإرث الحضاري. ولذلك تجرأ الصليبيون الغزاة إلى دخول الكنائس والأماكن المقدسة، أين قاموا بكل أنواع النهب والسلب، وسرقوا

---

[1]_ Robert, Clari :Op.Cit.,pp.81,85.

[2]_ ابو الحسن علي ابن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الملقب ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،راجعه: محمد بن يوسف الدقاق، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998، ص283 ؛ميخائيل زابوروف: الصليبيون في الشرق، دار التقدم، موسكو، تر:إلياس شاهين، 1986، ص.273 ؛ Sestier :op.cit.,p.15

[3]_ إسمت غنيم:المرجع السابق،ص.98 ; vasiliev :Op.Cit., t.2,p.111 ; Diehl : Europe, pp.134,135;

أغنى القطع الأثرية وأثمنها، إلى جانب الأحجار الكريمة والذهب والفضة والكنوز من كنيسة "آيا صوفيا"[1] بالإضافة إلى نهب ثروات القصور وآثارها البيزنطية العديدة، التي ورثتها منذ عصور سالفة، ووقع ذلك خاصة في قصري: بوكليون "Bouclions" بلاكرن "Blachernes"[2].

وتطاولت أيادي الصليبين إلى تدنيس الكتب المقدسة والأناجيل، وحرق الكتب والمخطوطات بالمكتبات والكنائس. والأفضع من ذلك، أن هؤلاء الغزاة داسوا على رفات القديسين ونبشوا قبورهم وقبور الأباطرة، وسرقوا منها ثرواتها ومجوهراتها[3].

وإلى جانب ذلك، فقد سرق الصليبيون بما فيهم البنادقة كل ماوقعت عليه أيديهم، حتى عباءات الإمبراطور الفاخرة، ولباس رجال الدين الأنيق. زيادة على ذلك، قاموا بنهب الأواني الفضية والأقمشة الحريرية المطرزة بالذهب والفضة والزرابي المنقوشة[4]، و كل أنواع الفراء والحرير. فعلى حد قول فيلهاردوين، أن ما سلبه الغزاة من العاصمة البيزنطية (القسطنطينية)، ساهم في إشباع كل جائع وإثراء كل فقير. نظرا لكثرة الأسلاب والغنائم والآثار المسروقة[5].

وذكر معظم المؤرخين، همجية و وحشية الصليبيون، وانحراف سلوكهم. فلم يسلم رجال الدين والرهبان من العنف والقتل والذبح[6]. بل والأسوأ والأفجع من ذلك، أن الصليبيين

1؛ ابن الأثير : المصدر السابق، ص283؛ ابن كثير : المصدر السابق، ص32 ; Villehardouin : Op.Cit., p.99, ; Clari : Op.Cit., pp.81.85.

[2]_ ميخائيل، زابوروف: المرجع السابق، ص.ص.276،278 ; Ibid.

[3]_ نفسه ؛ ستيفان رانسيمان: المرجع السابق، ص.222 ؛Vasileiv :Op.Cit.,t.2, p.11 ؛ محمد عوض مؤنس: المرجع السابق، ص.266.

[4]_ Clari : Op.Cit., pp.85.90.vasileiv :Op.Cit.,t.2 ,p.111 ;René,Grousset :Hstoire des croisades, p.176؛ نسيمة بلخير: المرجع السابق، ص.69.

[5]_ الموسوعة، مج10، ص275 ؛ إسمت غنيم: المرجع السابق، ص.99 ؛Op.Cit., p.99 محمد عوض مؤنس: المرجع السابق، ص266 ؛ ولتفاصيل أكثر حول الأسلاب يرجى العودة إلى زابوروف: المرجع السابق، ص ص. 276،278.

[6]- ابن الأثير : المصدر السابق، 289 ؛ انظر الى تفاصيل أكثر عن وصف القسطنطينية وعن كنيسة آيا صوفيا والخراب الذي مسهما في الملاحق الواردة في الصفحات: 205،206

اعتدوا على النساء البيزنطيات، ناهيك عن الراهبات اللواتي كرسن حياتهن لخدمة الرب والمسيحية. فقد سجلت المصادر بربرية الغزاة التي مورست عليهن[1].

لقد صعقت القسطنطينية بكل ذلك الخراب والدمار والشتات الذي تعرضت له من جراء السلوكات الصليبية الوحشية. تلك المدينة التي توصف في المصادر اللاتينية ب"البلد المسيحي الآمن"[2]، لقد تلقت ضربة قاضية، يشهد عليها المؤرخ خونياتس (Coniatés) الذي وقف أمام همجية المسيحيين. وهاهو يرثي مدينته قائلا:"ياأيتها المدينة (..)، ياعين كل المدن، ياحديث العالم، ويامنار الأرض، ياحامية الكنائس ويا سيدة الإيمان (...)، لقد تجرعت كأسا من غضب الله، ولقد حاقت بك النيران المريعة، ولقد أصابك ماأصاب المدن الخمسة قديما"[3].

بل تمنى البيزنطيون بما فيهم خونياتس، لو أن المسلمين هم الذين دخلوا القسطنطينية، لأنهم أكثر رحمة وشفقة على المسيحيين من المسيحيين[4]. لأنه لو حدث أن وقعت القسطنطينية بأيدي المسلمين، لسعوا كل السعي للحفاظ على تراث المدينة وأصالتها و ثرواتها.

لقد ألقى الدارسون نظرة عميقة في مكتسبات الصليبيين وراء سقوط القسطنطينية في سنة 1204م، ولم يجدوا أية مساعدة بذلوها لإخوانهم المسيحيين في فلسطين والشام[5]. بل على العكس، فقد أهملوا الشام والقدس ورحل المستوطنين في المراكز والموانئ التجارية إلى القسطنطينية بعدما سمعوه عنها من الغنى والثراء[6].

---

[1]_،ستيفان رانيسمان: المرجع السابق، ص 222 ; Diehl :Europe,p.134 ; Gérard :Op.Cit., p.140 ; vasiliev :Op.Cit., p. 111,

[2]_ سعيد عاشور عبد الفتاح: أضواء جديدة على الحروب الصليبية، دار القلم، مصر، 1964، ص 109.

[3]_إسمت غنيم: المرجع السابق، ; vasileiv :Op.Cit.,t.2, p.111؛محمد عوض مؤنس: المرجع السابق، ص267. ص100

[4]ستيفان رانسيمان: المرجع السابق، ص 223- Diehl :Europe, pp. 135,136

[5]_ ستيفان رانسيمان: المرجع السابق، ص 233

[6]_ René, Grousset : Histoire des croisades,pp.176,177.

بل والأسوأ من ذلك، فان الصليبيون والقادة بعد تأسيس الأمبراطورية اللاتينية في الشرق، توقفوا عن تموين مسيحي الشام وفلسطين[1]، ونسوا تماما هدفهم الصليبي الذي خرجوا من أجله من أوطانهم. بعدما نعموا لوحدهم بالخيرات والثروات والإقطاعات. لم تظهر عليهم أية رغبة في مواصلة سيرهم إلى الأراضي المقدسة. أوالجهاد في سبيل المسيحية، أو حتى مساعدة إخوانهم في الشام، فقد كانوا حقا أنانيون في ذلك!

كما لم يتمكن الصليبيون والقادة الأوروبيون من تحقيق كل ماكانوا ينادون به قبل الحملة، إذ زعموا بتوحيد الكنيستين الشرقية والغربية، وأن تتبع كنائس الشرق لكنيسة روما. ولكن ذلك لم يتحقق، خاصة بعد تلك الهمجية والوحشية التي أظهروها في أعمال النهب والسلب التي مارسوها في القسطنطينية عقب سقوطها سنة 1204م. تلك الأعمال البربرية عمقت الكراهية، وزادت الإنشقاق بين العالمين الغربي والشرقي ، وذلك لسبب كان يراه البيزنطيون وجيها، حيث أنهم لم ينسوا ذكريات الهمجية والوحشية الصليبية بعد دخولهم العاصمة، وأن تلك الحركة الصليبية زادت من مرارة العلاقات بين الطرفين[2].

وكانت بيزنطة عبر تاريخها العريق والمجيد، سواء في أزهى مراحلها أو في أوهنها، جدارا عازلا للأعداء والأخطار الخارجية. وكانت دائما تسعى لحماية حدودها وفي ذات الحين، تحمي أوربا من الأتراك في الأناضول والبربر في الشمال. لهذا وصف المؤرخون الحملة الصليبية الرابعة التي استهدفت الإمبراطورية البيزنطية بالفاجعة في مجملها، لما نتج عنها من عودة الأخطار الخارجية منها الأتراك خاصة قبيلة "آل عثمان". ولعل السبب الوحيد في ذلك هو عدم استكمال اللاتين السيطرة التامة على الأقاليم البيزنطية، وعدم نضج قوتهم وقوة كيانهم السياسي. وأحسن دليل على ذلك هو قيام إمبراطورية بيزنطية جديدة في

[1] _ Ibid.,p.177.

[2] _ستيفان رانسيمان: المرجع السابق، ص 235.

نيقية[1]. فالحملة الصليبية الرابعة فتحت المجال واسعا أمام الأعداء سواء الأتراك العثمانيين أو للبيزنطيين للقضاء على الإمبراطورية اللاتينية في الشرق وحتى على أوربا.

لقد رسمت الحملة الصليبية الرابعة، أهداف الصليب الدنيوية والاستغلالية، والتي جردت الحروب المقدسة من محتواها الديني. وكشفت عن مخططات القادة الأوربيين التعسفية والاستعمارية. وبهذه الحملة أسدل الستار عن الحروب الصليبية، وبفضلها فشلت كل المساعي الصليبية، في إعادة تبني فكرة الحرب المقدسة (بالقدر الذي كانت عليه من قبل)، وتشجيع الأوربين على المشاركة في الحملات نحو الشرق.

ومن هنا يمكن القول أن سلوك الصليبين المسيحيين عقب سقوط القسطنطينية في سنة 1204م، كان انتهاكا لحرمة المسيحية، ويبدو واضحا، أنهم لايمتلكون من المسيحية إلا اسمها. وأن سلوكهم هذا أبعد ما يكون من مبادئ المسيحية و روحها. وأي وازع ديني كان لديهم ليمارسوا كل تلك الهمجية والوحشية ضد إخوانهم في الدين. ولقد أحسن أحد المؤرخين وصف تلك الحوادث حيث قال: "(...)عن هذه المآثم، يرتعش العقل ويحمر وجه البشرية من الخجل[2]".

ب_ نتائج الحملة على الصليبين وأوروبا بصفة عامة:

وقد استفادت أوروبا اللاتينية من ثراء القسطنطينية وغناها بما جلبه الصليبيون من نفائس وأموال. التي انتشرت فيمختلف بقاع غرب أوربا. حيث نقل الصليبيون التحف الأثرية والأواني الذهبية والفضية، ومحارق البحور، وألبسة رجال الدين والرهبان الفاخرة، وتلك الزرابي المطرزة بالذهب والفضة. ولقد استخدمت كل من ألمانيا وإيطاليا وفرنسا، تلك القطع والتحف الأثرية المسروقة من القسطنطينية زينة للكنائس الأوربية[3].

ولأن القسطنطينية مدينة النفائس والثروات، فقد حظيت البندقية بنصيب الأسد. إذ استولت على أضخم القطع الأثرية التي تزين ميدان سباق الخيل في العاصمة البيزنطية.

---

[1] _ نفسه، ص ص. 232،235.

[2] _ ميخائيل زابوروف: المرجع السابق،ص.278.

[3] _ Bréhier :Op.Cit.,p.166. ; vasileiv :Op.Cit.,t.2, p.111,112 ; نسيمة بلخير: المرجع السابق، ص68.

وهي الأحصنة البرونزية الأربعة، التي حملها الدوق دوندولو معه إلى البندقية وأضحت زينة لكاتدرائية القديس مرقس[1].

_ موقف البابا من سقوط القسطنطينية:

وبعد أن وصلت أخبار دخول الصليبين إلى القسطنطينية، وأعمال النهب والسلب التي مارسوها في المدينة وعلى أهلها، استاء البابا استياء شديدا لذلك، ناهيك عندما سمع بتتويج بلدوين الأول إمبراطورا على المملكة اللاتينية الجديد، وتعيين أسقف على الكنيسة الشرقية. فقد شعر أنوسنت بإهانة كبيرة، لأنه كان يؤمن بحقه في تعيين الإمبراطور و الاشراف على تتويجه وذات الشأن بالنسبة للأسقف. فكيف يحدث ذلك دون أن يكون له الشرف في الانتخاب، والتعيين، والتتويج؟

ولذلك أوفد البابا رسالة إلى القادة، يندد فيها بتصرفاتهم الوحشية في القسطنطينية؛ وأبدى استياءه الشديد فيها. لكن الصليبيين بعثوا إليه سفراء يستسمحونه ويعدونه: بوضع غنائم الحملة، وثروات القسطنطينية التي سخروها لخدمة الحملة الصليبية بين يدي البابوية. وعلى أساس ذلك، عبر البابا أنوسنت الثالث عن موقفه اتجاه الصليبين، وأبدى تأييده للإمبراطور اللاتيني الجديد، وكشف عن سروره لتوحيد الكنيستين ضمن كنيسة روما.

كما أظهر استعداده للدفاع عن الإمبراطورية الجديدة؛ وعلى اثر ذلك قرر انوسنت الثالث منح الغفران للصليبين والبنادقة سوية[2] .

---

[1] _ نفسه، Marion,Kaminiski:op.cit., p92.

ميخائيل زابوروف: المرجع السابق، ص.277؛ ; Gerard : Op.Cit., p.142

[2] _ نسيمة بلخير: المرجع السابق، ص ص 79.76 ؛ محمود سعيد عمران: الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2002، ص 293 ؛ انظر تفاصيل الرسائل و المحادثات بين الطرفين عند : (Bréhier : Op.Cit., p.171 ; Grousset :Op.Cit., p.447,448.)

[2] – ابن كثير: المصدر السابق، ص .32.

(*)_ وهم 10 كبار الفرسان و10 من البنادقة؛ الموسوعة الشاملة، مج10، ص275 ؛إسمت غنيم: المرجع السابق، ص99.

تقسيم الغنائم والأسلاب:

لقد كلف الصليبيون خلال عمليات السلب والنهب التي دامت ثلاثة أيام[2]، مجموعة من الأشخاص(*)لحراسة الغنائم في إحدى كنائس القسطنطينية. ويذكر المؤرخون أن حجم تلك الغنائم التي جمعت في الكنيسة، كان هائلا ويفوق 20مليون فرنك ذهبي.

لكن هؤلاء الوكلاء لم يلتزموا بالأمانة، لأنهم سرقوا كل ما رغبوا فيه من الحلي و الثروات. كما سرق كبار الأعيان الغنائم الثمينة وكل المجوهرات والحرير والأقمشة المطرزة. والجدير بالذكر، أن كل تلك الأسلاب نعم بها الغرب الأوروبي عندما بيعت في أسواقه التجارية. ولم تبق إلا الأواني والأوعية الفضية المجردة التي تقاسمها أفراد الجيش الصليبي. وينبغي الإشارة ، إلى أن نصف تلك الغنيمة الكبيرة، استحوذ عليها البنادقة الذين اختاروا القطع الثمينة والأسلاب القيمة[1].

توزيع الإقطاعات والولايات:

وبعد أن استقرت الأوضاع في القسطنطينية، عمل الصليبيون والقادة الأوروبيون على تثبيت أقدامهم في الشرق، ومن أجل تدعيم أسس الإمبراطورية اللاتينية وتجسيد وجودها؛ وجب عليهم تقسيم الإقطاعات والأراضي البيزنطية لتتم بذلك السيطرة المطلقة على الإمبراطورية.

وبموجب إتفاقية مارس 1204م، تكونت لجنة مؤلفة من إثني عشر عضوا، منهم ستة أعضاء بنادقة وآخرون صليبيون(*). ليتم التقسيم بينهم كما اتفق على ذلك. على أن تكون حصة الإمبراطور ربع الممتلكات وثلاثة أرباع يتقاسمها بالتساوي البنادقة والصليبيون[2].

لذلك كان نصيب الإمبراطور بدوين خمس أثمان من القسطنطينية، وإلى جانبها جنوب تراقيا "Thrace"، والجزء الشمالي من آسيا الصغرى، وامتدت ممتلكاته إلى تزورولون"" في الجنوب، وعلى ضفتي البوسفور، وبعض مناطق من بحر مرمرة ،

[1] _ Clari : Op.Cit., pp.95,96 ; Villehardouin : Op.Cit., p.101 ; Diehl :Europe,p.135.

[2] _ Ostrogorsky : Op.Cit., p.445; Diehl :Europe,p.136.

(*)_ ولقد كان المؤرخ فيلهاردوين من بين الأعضاء الفرنسيين.

وهيليسبونت"Hellespont"، وبعض من جزر بحر إيجه وهي: ليسبوس"Lesbos" و شيوس"Chios" وكذا ساموس"Samos"[1] .

وانحصر نصيب بونيفاس دو مونفرات على بعض من أراضي أسيا الصغرى، لكنه رفض أخذ تلك الأراضي، لأنه كان يطمع في إمارتي سالونيك ومقدونيا. لذلك طلبها من الإمبراطور. غير أنّ هذا الأخير، رفض ذلك في بادئ الأمر. وبعد صراعات دارت بين بدوين وبونيفاس وتدخل الدوق؛ نال بونيفاس ما كان يصبوا إليه، وحكم مملكة سالونيك التي تضم عدة مناطق من أهمها: مقدونيا"Macédoine" وتساليا"Thessalie"[2].

هذا إلى جانب أنه تم توزيع الإقطاعات على كبار القادة وأكثرهم ثروة وأقدمهم خدمة في الجيش[3]، واختص صغار النبلاء بإقطاعات تتناسب مع مكانتهم وأهميتهم[4]. في حين تقاسم كبار البارونات والقادة الصليبيون الأراضي على النحو التالي:

تحصل هنري دو الفلاندرو ودي هانو"Henri de Flandre et de Hanaut" على أدرايميت"Adramytion".

بينما حاز لويس دو بلوا"Louis de blois" على نيقية "Niceé". في حين أضحت فيليبوبوليس"PHilipoppolis" يحكمها روني وتريت "René de trith" وأصبح هوج دوسان بول "Hugure de saint paul" قائدا على ديديموتيكو"Didymoteicho"[5].

تأسيس الإمارات اللاتينية والممالك البيزنطية:

وبهذا تأسست إمارات لاتينية حلت محل الإمبراطورية البيزنطية، وأما الإمارات فانها أضحت دويلات إقطاعية غربية.

---

[1] Grousset : Op.Cit.,p.447 ; Ostragorsky : Op.Cit.,p.445 ;Vasiliev : Op.Cit., t.2, p.113 ;,Byzantion,t.35,1965,F.1.

[2] Clari :Op.Cit.,p.104 ;Byzantion : Ibid ; Bréhier : Op.Cit., p.168.

[3] انظر تفاصيل توزيع الإقطاعات (Clari : Op.Cit.,pp.102,103. ؛ الموسوعة،مج10، ص295.)

[4] ستيفيان رانسيمان: المرجع السابق، ص.225.

[5] Bréhier : Op.Cit., p.168.

وينبغي الإشارة إلى أنه بقيت ثلاث ممالك بيزنطية صامدة بعد سقوط العاصمة. حيث احتفظت عائلة انجيلوس بقيادة ميشال"Michel"، بالمناطق الممتدة من دورازو إلى كورانث "corinthe" أقام فيها حكما عسكريا في إقليم إيبيروس"Epire" في غرب اليونان بشبه جزيرة البلقان[1].

بالإضافة إلى تكوين امبراطورية نيقية "Niceé" في الجهة الغربية من آسيا الصغرى، تلك المحاذية لمملكة قونية ويحكمها ثيودور لاسكاريس "Théodore lascaris".

ولقد اعتبرت هذه الامبراطورية البيزنطية، من أقوى أعداء اللاتين الذين يمثلون للإمبراطورية اللاتينية الجديدة تهديدا مباشرا. كما تأسست إمارة تريبزون "Trébizonde" على ساحل الجنوب الشرقي لبحر الأسود، ويتزعمها "آل كومنين"[2].

وبتأسيس هذه الكيانات الثلاثة المعادية للإمبراطورية اللاتينية الجديدة، بدا جليا لصليبيون ضرورة تقوية وجودهم بالمنطقة، وأهمية توحيد صفوفهم و تعزيز نفوذهم لضمان البقاء والإستمرارية في الشرق و القدرة على تحدي خطر الأعداء....لكن هذه الغاية لن تتحقق أبدا، لأن هذه القوى الثلاث سرعان ما استعادت تلك الممالك عافيتها وقوتها.

2/_ توسع وتطور تجارة البندقية بعد 1204م:

أ_ مكتسبات البندقية من الحملة الصليبية الرابعة:

لقد أشادت المصادر التاريخية، بالغنائم التي جنتها البندقية إثر سقوط العاصمة البيزنطية في 1204م. فبموجب اتفاقية مارس من نفس السنة، استحوذت مدينة البندقية على ثلث أثمان من القسطنطينية، وعلى كنيسة "آيا صوفيا"[3]، أشهر كنيسة في الإمبراطورية، كما استولت على مساحات من الأراضي الخصبة، وأفضل الموانئ وأحسن المواقع الإستراتيجية التي كانت بيزنطة فيما مضى تتمتع بها[4].

---

[1]_ Vasiliev :Op.Cit.,t.2,pp.120,121 ;Ostrogorsky : Op.Cit., p.445.

[2]- Vasiliev :Op.Cit.,t.2,pp.120,121 ; Ibid. ; محمود سعيد عمران: المرجع السابق،ص .293 ؛

[3]_ عادل زيتون: العلاقات الإقتصادية، ص75 ; Bréhier : Op.Cit., p.168 ; Diehl : République,p.50

[4]_ Gérard : Op.Cit., p.159.؛ انظر الى ممتلكات البندقية بعد الحملة الصليبية الرابعة في لخريطة رقم : ،ص

وقد تحصلت البندقية على منطقة إبيريا "Epire"، وأكارنانيا "Acarnanie" ، وإيتوليا "Etolie"، مع مدن دورازوا "Durazzo"، وأرتا "Arta"، ورجواز "Raguse". وهذا إلى جانب الجزر الأيونية، من أهمها جزر كورفو "Corfou" وكيفالونيا "Céphalonie" وسانت مور "Saint Maurre"، وزانت "Zanté"[1]

وتوسع نفوذ جمهورية البندقية إلى البيلوبونيز "péloponése"، فشملت المدن التالية: بتراس "petras" ، وكالفونيتا "Calvantya"، وإستروفا "Ostrova"،ومودون "Modon"، إلى جانب لاكيدومونيا "Lacedomonie"، وكورون "Coron".

كما أصبحت البندقية تسود جزر جنوب غربي بحر إيجه مثل ناكسس "Naxos" وأندروس "Andros" وجزيرة إيوبيه "Eubée"، وعلى الخصوص مدنها أوريوس "Oreos"، وكاريستوس "Karistos". وإلى جانب مضيق الدارنيل "Dardanelle"، وبحرمرمرة "Prépontide" وأهمها: غاليبولي "Gallipali"، ورودستو "Rodosto"، وهيراقليا "Héraclée". وحازت البندقية على أجزاء من إقليم تراقيا "Thace" أهمها: أندرينوبل "Andrinople"، وجزيرة "Créte"، هذه الأخيرة التي اشترتها البندقية من بونيفاس دو مونفرات ب1000 مارك من الفضة في أوت سنة 1204م[2].

وإذا تمعن الباحث في المواقع التي غنمتها البندقية إثر سقوط القسطنطينية في سنة 1204م يجد أنها أماكن إستراتيجية، ومواقع بحرية جد مهمة، تخدم مصالح المدينة التجارية. خاصة مع العلم، أنها تقع على الطريق البحري الكبير الذي يربط البندقية بالقسطنطينية[3].

---

[3]- محمد مؤنس عوض: المرجع السابق، ص270. ; Heyd : Op.Cit.,t.1,p .270 ; Ostogorsky : Op.Cit., pp.445.446

[2]_ Heyd : Op.Cit.,t.1,p.270,Ostrogorsky :Op.Cit.,pp 445,446 ;

Bréhier :Op.Cit., p169, ; Freddy :Op.Cit,p.42 ؛ عادل زيتون: المرجع السابق، ص75.

[3]_ نسيمة بلخير: المرجع السابق، ص ص 83،84 ؛ Heyd :Op.Cit,t.1,p.270. ; Dichl : République,t.1,p52

وعلاوة على ذلك، فقد منح للبندقية حق الإشراف على المضايق والممرات البحرية التجارية المؤدية إلى العاصمة (القسطنطينية)[1].

ولكل ذلك لقب دوق مدينة البندقية أنريكو دوندولو "Enrico Dandolo" ب:"سيد ربع ونصف ربع الإمبراطورية البيزنطية". هذا اللقب الذي بقي متداولا بين أدواق البندقية إلى غاية القرن 14م.**Seigneur d'un quart et demi de l'Empire grec**[2]

كما أطلق لقب "بودستا"(*) على الممثل البندقي في القسطنطينية "Podesta"[3]، وذلك بحكم القوة التي يتمتع بها و النفوذ الواسع الذي ينسب إليه و إلى جمهوريته. ولقد أشادت معظم المصادر بكون الدوق دوندولو، صاحب الفضل في هذا النعيم الذي تمتع به اللاتين في الشرق، وفي القسطنطينية بالتحديد. فهو المؤسس الفعلي لتلك الإمبراطورية. هذه الشخصية التي نالت تقدير واحترام معظم القادة الصليبين والأوروبيين، حتى البابا أنوسنت الثالث؛ لأنه سخر كنيسة الشرق لخدمة البابوية وكنيسة روما[4]، وذلك لسياسته الناجحة في ضمان الربح الوفير لأوروبا والبابوية.وقبل ذلك كله، للبندقية !

---

[1]_ إسمت غنيم: المرجع السابق، ص .106؛ Ibid.

[2]–عادل زيتون: العلاقات الإقتصادية، ص.75 , .Ostogorsky : Op.Cit ; Diehl :Europe,p.137 p.446 ;Vasiliev :Op.Cit.,t.2,p.114.

(*)_ لقب يفيد القوة والنفوذ والسلطة التي يتمتع بها الحاكم أو الدوق، أنظر (Michel, moure : Op.Cit. ;p.4

[3]_ عادل زيتون: العلاقات الإقتصادية، ص.75.

[4]_ Vasiliev :Op.Cit.,t.2,p. 114 ;Bréhier : Op.Cit., p.169 ; Diehl : République,t.1,pp.52,53.

ب_ توسع ممتلكات البندقية بعد سنة 1204م:

بعد سقوط العاصمة البيزنطية في سنة 1204م، انقسمت الإمبراطورية إلى عدد من الدويلات اللاتينية وأشهرها: الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، ومملكة سالونيك وإمارة أخيه "Achaie" في البيلوبونيز التي يتزعمها اتو دو لاغوش "Othon de la Roche"، وإلى جانب دوقية آثينا وطيبة "Athéne et Thébes" في وسط اليونان[1].

وتذكر المصادر أن البندقية، كانت المستفيدة الأولى من الحملة الصليبية الرابعة. نظرا لما حازت عليه من ممتلكات وأقاليم في عدة مناطق من بحر إيجه، والجزر الأيونية، وعلى سواحل الأدرياتيك، وجزيرة كريت. فنتج عن ذلك أن توسعت حركاتها التجارية، لكن البندقية لم تتمكن من الإحتفاظ بكل ما غنمته جراء سقوط العاصمة البيزنطية وذلك لسببين رئيسيين هما:

أولا: كبر وشساعة الأقاليم التي تحصلت عليها، وصعوبة بسط نفوذها والتحكم السياسي والإداري عليها[2].

ثانيا: لكون المدينة بحرية، قوية الأسطول، وواسعة النفوذ والسيطرة على المجال البحار، وخبيرة بالملاحة والمعارك البحرية. لكن على العكس من ذلك، كانت القوات البرية على درجة كبيرة من الوهن والضعف مقارنة بقوة الأسطول[3].

ومن أجل ذلك سعت البندقية إلى الإحتفاظ بالمواقع الإستراتيجية والموانئ فقط، وأقطعت ما تبقى من الأراضي للعائلات الأستقراطية التي بسطت نفوذها فيها وثوراتها[4].

وقبل الحديث عن تلك العائلات، يكشف الباحث عن المناطق التي احتفظت بها البندقية. حيث احتفظت بدوقية دورازو "Durazzo" التي تأسست في سنة 1205م.

2_ محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص293؛ عادل زيتون: المرجع السابق، ص80 ؛ ستيفان رانسيمان: المرجع السابق، ص227.

2_ Gérard : Op.Cit., p.160 ; René, Grousset :Op.Cit., p.467.

3_ Heyd : Op.Cit.,t.1,p.270.

4_ Gérard : Op.Cit., p.160 ; René, Grousset :Op.Cit., p.467.

وتتطلب من البندقية ضم المناطق التالية: ايبيريا "Epire"، وأكارنانيا "Acarnanie" وايتوليا"Etolie"؛ والدخول في صراع طويل مع ميشال أنوجيلوس"Michel Ange".غير أن الحرب لم تحسم الأمر بين الطرفين، فاضطرا إلى التفاوض. هذا الذي أدى إلى الإتفاق على السماح للبنادقة بممارسة نشاطها التجاري في إقليم إيبيريا وباقي المدن[1].

كما تمكن البنادقة بفضل قوتهم من فرض الهيمنة السياسية والتجارية على المناطق الممتدة على سواحل مضيق الداردانيل والبوسفور. وهناك مارست البندقية حق التبادل التجارية وفرضت السيادة على أهم المدن البحرية التي ستساعدها في توسيع نطاق تفوقها التجاري[2].

ولم تتمكن البندقية من السيطرة التامة على جميع أقاليمها التي بلغ طولها 7000كم وعدد سكانها 8ملايين بالتقريب. لهذا استحال على حكومتها إدارة هذه الممتلكات، مما أدى بمجلس الشيوخ البندقي الى السماح بغزوها من قبل البنادقة والعائلات الأرستقراطية وفتحها على حسابهم وإمكانياتهم الخاصة[3].

_1 Heyd : Op.Cit.,t.1,pp.270,271.

_2 René, Grousset :Op.Cit., p.467.

_3 Gérard : Op.Cit., p.160 ; Daru :Op.Cit.,t.1,p.345.؛ ستيفان رانسيمان: المرجع السابق، ص227.

ممتلكات البندقية في أرخبيل السيكلاد:

استجاب البنادقة لهذا النداء بكل حماس، وغزوا أرخبيل السيكلاد، وهي: ناكسوس "Naxos"، وباروس"Paros"، وملوس"Melos "، وكذا هورينيي"Horiné"، وحكمتها عائلة: مارك سانودوا "Marc Sanudo" الإستقراطية، واحتفظت بتلك الجزر مدة أربعة قرون[1].

وتذكر بعض الدراسات، أن مارك ساندو تولى دوقية ناكسوس "Naxos"(*)، في سنة 1207م، بعد أن اجتمع هو والبنادقة بالقسطنطينية، وخرجوا في حملة لغزو أرخبيل (Cyclades). فاستولى "سانودو" عليها وتقاسمها مع رفاقه. وتحصل مارك دوندولو " Marc Dandolo" على جزيرة أندروس "Andros"،واستولى الإخوة جيريميا وأندرية غيزي"Germia et Andrea Ghisi" على جزر ميكينوسوتينوس " Mykonos et Tinos". بينما تقاسم دومنيك ميشال وبيتر و جويستيانو " Dominico Michel et Pietro Giustinian" جزر كيوس و سيروفوس "Kios et Sériphos"[2].

واستولى ليوناردو فوسوكو"Leonardo a Fosco" على جزيرة نامفيا "Namfia"(*). وإلى جانبها حاز جاكوب باروزي "Jacopo Barozzi" جزيرة كبيرة في الجهة الجنوبية من الأرخبيل وهي ساتورين "Samtorin". لكن كل تلك الممتلكات لم تكف رفاق "Sanudo"؛ فحاولوا الاستيلاء على عدد أكبر من الجزر في المناطق المجاورة للأرخبيل، فسيطروا على ستمباليا"Stampalia" وباتجاه الجنوب الغربي، حازوا سيرغو "Cerigo"، وسيرقوتو "Cériggotto" ، وزاد عليها، جزر ليمنوس "Lemnos"، وسكيروس "Skyros"، وسكوبولوس "Skoplos"، وسكياتوس "Skyathos"، وخليدرومي "Khllidromi" في الجهة

1_ Ibid ; Gérard : Op.Cit. , p.160.

(*)_ لأنها من أهم وأكبر جزر الأرخبيل.

2_ Heyd : Op.Cit.,t.1, p.274 ; Gérard : Op.Cit., p.160.

(*)_ وهي حاليا تحمل اسم أنافي "Anaphé "

البحرية من جزيرة إيوبيا "Eubée" ، هذه المناطق كلها أضحت من نصيب الإخوة "Ghis"[1].

وتجدر الإشارة، إلى أن هذه المستعمرات التي تحصلت عليها البندقية في جزر الأرخبيل، رافقتها مستوطنات ومحميات بندقية أو إيطالية أخرى. بعد أن سمحت لهم باستيطان تلك الجزر والعيش فيها، إقامة التجارة التي وجب الحفاظ عليها من القراصنة الذين وضعوا في الأرخبيل أعشاشا لهم. فكانوا الخطر الوحيد الذي أقلق البندقية في تلك المنطقة.

ممتلكات البندقية في الجزر الأيونية "Iles Ioniene":

تقع الجزر الأيونية في البحر الأيوني وتتبع اليونان، وهي تتألف من مجموعة من أربع جزر كبرى وعدد من أخرى صغيرة، أما الكبرى: فهي كورفو "Corfou" ،ليوكارس "Liocoris" كافالونيا، وزانتي"Céphalonie et Zanté"[2].

لقد استطاعت البندقية أن تفرض سيادتها على جزيرة سان مور"Saint Mouré" وكورفو"Corfou" بعد صراع مرير مع أهلها المتحالفين مع الجنوبيين. وقام دوق البندقية بمنح هذه الجزيرة وبعضا ممن جاورها إلى عشرة نبلاء يحكمونها وراثيا بموجب الشروط التي تم الإتفاق عليها مسبقا[3].

واسترجع "ميشال أنوجليوس"، قائد إقليم إيبريا"Epire" (1214م، 1254م) هذه المدينة، رغم محاولات البندقية المستمرة للسيطرة عليها، لأنها تعتبر من أهم جزر البحر الأيوني[4].أما بالنسبة إلى باقي الجزر الأيونية، والتي منها: كيفالونيا "Céphalonie" و"Zanté"، اللتان تخضعان للنورمان منذ سنة 1185م، أصبحتا بعد سقوط الإمبراطورية

1_ René, Grousset :Op.Cit., pp.546,551 ;Heyd : Op.Cit.,t.1, p.275.

2_ الموسوعة العربية العالمية ومؤسسة أعمال الموسوعة، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1999، مج3، ص571.

3_ لتفاصيل أكثر يرجى العودة إلى نفس المرجع. ; Heyd : Op.Cit.,t.1, p.272

4_ Grousset :Op.Cit., pp.564,565 ;Heyd : Op.Cit.,t.1, p.272.

البيزنطية، من نصيب البندقية. فأعلن حاكمها ماتيو "Mattéo" في سنة 1204م ولاءه للدوق البندقي ودفع ضريبة سنوية له، ذلك بعد اتفاق جرى بين الطرفين[1].

ممتلكات البندقية في جزر الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط:

1-في البيلوبونيز (péloponése):

ولقد استحوذت البندقية على الجنوب الغربي من شبه جزيرة موري "Morée"، وبعد صراع مرير تغلبت على القراصنة في موانئ كورون ومودن، وأضحت السيدة على منطقة الجنوب من البيلوبونيز . والجدير بالذكر هنا، هو أن وليام دو "Champlite"، وفيلاردوين "Geaffero de villehardouin" قد أسسا في شبه جزيرة "Morée" مملكة أخيه "Achaie". لذلك تم ترسيم الحدود بين ممتلكات لكل طرف. فسمح للبنادقة بالسيطرة على ما تبقى من البيلوبونيز. كما تحصلوا من قادة مملكة أخيه على وعود تقضي بمساعدة البنادقة وحمايتهم ومنحهم الكنيسة والإستقرار في تلك المناطق[2].

امتلاك البنادقة لجزيرة كريت "Créte":

ولقد حازت البندقية منذ سنة 1148م على حق ممارسة التجارة في جزيرة كريت*،هذا الحق الذي منحه إياها الأمبراطور مانويل كومنين. وبعد سقوط الإمبراطورية البيزنطية، أضحت هذه الجزيرة من نصيب بونيفاس و ومونفرات، بموجب اتفاقية التقسيم التي اجريت بين الصليبين والبنادقة في مارس سنة1204م. لكن البندقية اشترت جزيرة كريت منه،

4- جزيرة كيفالونيا قد منحت لعائلة النبيلة، هذا بالطبع مخالف لما قاله هايد Heyd : Op.Cit.,t.1, p.272_ وهنا يشير إلى أن

1- Heyd : Op.Cit,t1, pp.271,272 ;René, Grousset :Op.Cit, p.569 ; Ostrogorsky :Op.Cit, pp.445,446.

(*)-جزيرة كريت أو أقريطش: وهي من جزائر الروم ، ونظرها الى صاحب القسطنطينية، وبينها وبين جزيرة صقلية مسيرة سبع مئة ميل ، وطولها نحو من ثلاث مئة ميل؛ انظر الى: أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني: رحلة ، دار صادر، بيروت، 1907، ص ص 11، 12.

ب1000 مارك فضي في أوت من نفس السنة[1]. مقابل أقاليم بيزنطية هامة يعطيها دوندولو لبونيفاس(*).

ومن أجل أن تبسط البندقية سلطتها على"كريت"، وجب على البنادقة غزوها أولا. لأن المصادر ذكرت أن الجزيرة وقعت في يد الجنويين، بقيادة الكونت"" في سنة 1206م[2]، هذا الأخير الذي لم يجد صعوبة في السيطرة عليها، وفرض النظام فيها وذلك قبيل أن تشتري البندقية الجزيرة.

لذلك وجهت البندقية أسطولا إلى كريت أين استولى على اقطاعات واسعة منها، بعد فترات مطولة من الصراع مع الكونت"أنريكو بسكادري"، وبعد سلسلة من الحروب والمفاوضات بين البندقية وجنوة، حازت جمهورية البندقية على جزيرة كريت في سنة 1212م[3].

لكن الخطر يبقى دائما يهدد الوجود البندقي في كريت خاصة بعد ظهور الثورات الداخلية لأهلها، الذين ثاروا عدة مرات ضد النظام البندقي وفي فترات مختلفة. بتحريض من الجنويين ومساعدة أباطرة نيقية. غير أنّ البندقية، كانت دائما تستتب الأمن في تلك الجزيرة[4].

وأمام خطورة الوضع، عمدت حكومة المدينة إلى اتخاذ إجراءات أمنية، وتوسيع نفوذها داخل الجزيرة، وتوزيع قواها البرية وإقطاع أجزاء من أراضيها إلى بعض مواطنيها خاصة منهم الفرسان المحاربين. كما سمحت بالاستيطان للمقيمين والتجار، وتذكر المصادر

1_عادل زيتون: المرجع السابق،ص ص،65،260

(*)_ انظر تفاصيل ذلك)Heyd :Op.Cit.,t.1, pp.762

1- Ibid. ; Grousset : Op.Cit., p.566 ; عادل زيتون: المرجع السابق، ص ص.260،261،، ويذكر هذا المؤرخ أن حاكمها هو كونت مالطا .

2- Heyd:Op.Cit.,t.1, pp.278,274; Grousset :Op.Cit., p.566; Diehl:République,p.55; Fréddy: Op.Cit.,p.43.

3- عادل زيتون: المرجع السابق، ص ص.263 فما ;Heyd : Ibid.,p.279 ; Diehl :Op.Cit., Republique, p.56_ بعدها، انظر تفاصيل ثورات أهل كريت : (نفسه؛ Grousset: Op.Cit., pp.566,567)

4- نفسه؛ Heyd: Op.Cit., t.1, p.279 ;

أن هؤلاء المستوطنين، كانوا محاربين يقمعون الثورات ويدافعون عن الجزيرة. وفي وقت السلم كانوا تجارا محترفين[1].

وفرضت البندقية، نظامها الإداري على جزيرة كريت، التي عينت لها دوقا اتخذ اسم "دوق كريت" أو دوق كونديا[5] "Candie" باعتبار أنها عاصمة الجزيرة.

كما قسمت هذه الأخيرة إلى ثلاث مقاطعات كبرى وهي: مقاطعة "Candie" ومقاطعة "Réthima" ومقاطعة "Sithie". وهكذا باتت إدارة الجزيرة ضمن النظام البندقي. وأضحت كريت من ممتلكات البندقية على الرغم من الصعوبات والثورات، فقد جسدت بها السيادة اللاتينية عليها[2].

البندقية في جزيرة إيوبياEubée:

تقع جزيرة إيوبياEubée في بحر إيجه، وهي جزيرة يونانية، تدعى في العصور الوسطى بنيقروبونت "Négropont"[3]. ولقد استولى على تلك الجزيرة أحد جنود مونفراتخلال حملاته إلى اليونان والبيلوبونيز[4]. وقد قام بونيفاس بتقسيم نيقروبونت إلى ثلاث إقطاعات كبرى على البارونات[5].

وكان من أشهر هؤلاء البارونات، رافانودالكارسيري "Ravano delle Carceri" وهو من أصل فيرونا "Vérone"، صاحب إقطاع"Kristos". هذا الأخير قام بالمثول أمام الحكومة البندقية ليعلن قبوله التلقائي بالحكم البندقي على إقطاعه في سنة 1209م[6]، وما نتج عنه من عداء كبير مع بونيفاس[7].

1_عادل زيتون: المرجع السابق، ص261 ؛(توجد في نفس الصفحة تفاصيل أكثر عن النظام البندقي المفروض كريت)

2- نفسه، ص 264؛ . . Grousset : Op.Cit, p..566,567

3- عادل زيتون: المرجع السابق، ص264. ; Grande la rousse universell,t6, p.4008 ;

4_ Heyd: Op.Cit,t1, p.281.

5_ عادل زيتون: العلاقات الإقتصادية، ص264 ; Grousset :Op.Cit, p.545

6_Ibid

7_Byzantion, t.35 ,F1 ,p.239.

لكن يذكر المؤرخون أن هذا الولاء من "Ravano" وقع بعد وفاة بونيفاس. وتجاهل هذا الأخير حق البندقية في الجزيرة، باعتبار أنها كانت من نصيبه في معاهدة التقسيم لسنة 1204م[1].

والمهم في هذا المقام هو العرض المغري الذي قدمه البارونات لدوق البندقية. والمتمثل في الولاء المخلص لحكومة الجمهورية. يقدم كل سنة ضرائب تقدر ب21 هيبربيرون[2] من الذهب إلى جانب هدايا ثمينة توضع بين يدي الدوق. والأهم من ذلك فقد تحصلت البندقية على حق ممارسة التجارة في الجزيرة وحق الملكية التي تشمل الكنيسة وحي كامل وممثلين إداريين، بالإضافة إلى استمرار العلاقات بين الطرفين بالوراثة والزواج[3].

ووافقت حكومة البندقية على هذا العرض السخي، وأعلنت حمايتها على نيقروبونت، وعينت حاكما عليها وأعطته لقب "بايلو" وممثلين آخرين. ونظرا لحصانة الجزيرة، فقد حافظت عليها البندقية طويلا[4].

ولم تنحصر ممتلكات البندقية عند "Négropont"، إنما امتدت إلى شمال الإقليم، واستولت على ألميروس"Almyros" في خليج فولو "Volo"، وهناك احتفظت مدينة القديس مارك بمستوطناتها القديمة، وحافظت على أملاكها وكنيستها خلال فترة الحكم اللاتيني في الشرق[5].

ممتلكات البندقية في جزر بحر مرمرة:

ورد في اتفاقية تقسيم الإمبراطورية البيزنطية، أن منطقة تراقيا "Thrace" كانت من نصيب البندقية وكذا جزر غاليبولي "Gallipoli"،ومونتيانا "Muntinianae"، وسيجوبوتاموس "Sigopotamos". لكن ظلت جزيرة غاليبولي من أهمها، وعمدت البندقية

1_ عادل زيتون: المرجع السابق، ص264.

2_نفسه.

3_ Byzontion, t.35,F.1,p.239, 240 ; Heyd: Op.Cit.,t.1, pp.282,283.

4_ عادل زيتون: المرجع السابق، ص264 ؛551, Grousset :Op.Cit., pp.556 .

5_ Heyd: Op.Cit.,t.1, p.284. ,

إلى اقطاعها إلى جاك فيارو "Jacques viaro" ومارك دوندولو"Marc Dondolo" الذي ترأس دوقية تحمل اسم الجزيرة (Gallipoli). هذا إلى جانب استيلاء البنادقة على أهم موانئ بحر مرمرة الممتد بين البوسفور والدردانيل، وكانت أهمها: بانيوم "Panium" ، ورودوستو"Rodosto"، وهريقلية "Héraclée"[1].

بالإضافة إلى ذلك، فقد حازت البندقية على أهم جزيرة في إقليم تراقيا وهي اندروينونبل "Andrinople"، التي كانت في البداية بأيدي الفلامن. لكنها سرعان ما انضمت إلى ممتلكات الجمهورية ضمن الأقاليم التابعة لها. وذلك بعد أن أعلن حاكمها ثيودور بارناس "Théodore Branas" الولاء للدوق في سنة 1206م.[2]

أهمية كورون ومودن بالنسبة للبندقية:

يقع مينائي كورون ومودن "Coron et Modon" على خليج مسينا في شبه جزيرة البيلوبونيز في الحوض الشرقي للبحر المتوسط[3]. وارتأى الباحث لافراد عنصر لهما ضمن مجموعة ممتلكات البندقية في الحوض الشرقي للمتوسط، نظرا لأهميتهما.

وحصلت مدينة البندقية على كورون ومودن إثر تقسيم الإمبراطورية في سنة 1204م، وتمكنت المدينة من بسط نفوذها على المينائيين بداية من سنة 1206م. وعينت حكاما بنادقة عليهما[4].

وأشاد معظم المؤرخين بأهمية هذين الموقعين، ليس فقط بدورهما التجاري، إنما أيضا لأهمية وإستراتيجية موقعهما. فهما محطتان تجاريتان للبندقية، بداية من مدينتها إلى

1_ Grousset :Op.Cit., p.467 ; Diehl :République,p.56 ; Grande la Rousse –. Ibid.,p.285. Universel,t.10,p.6683.

2_ Heyd: Op.Cit.,t.1, p.285 ; Diehl :République,p.58.

3_عادل زيتون:المرجع السابق، ص.268.

4_نفسه.

كريت واليونان والقسطنطينية والبحر الأسود، ووصولا الى مصر والشام وآسيا الصغرى[1]. وقد وصفتهما الدراسات الحديثة، بأنهما بمثابة "عيون البندقية"، أي عبارة عن موقع مراقبة ونقطة تجسس لكل البحار والأرخبيل، وعلى الأعداء في مختلف الجهات[2].

وباعتبار أنهما، ميناءين طبيعيين، فقد كانا محطات استراحة للسفن بمختلف اتجاهاتها. ولكونهما أيضا مسلحان طبيعيا، وذات مناعة وحصانة قوية، فغالبا ما تلتجأ إليهما الأساطيل، للاختباء من أهوال البحرومن خطر الأعداء. مع العلم أنه من السهل تحويلهما إلى محطات عسكرية. كما أقامت عليهما البندقية عدة مستوطنات خلال القرنين 13 و 14م.[3]

ممتلكات البندقية في القسطنطينية بعد 1204م:

لقد تحصلت البندقية ومنذ سنة 1082م على امتياز امتلاك حي كامل في القسطنطينية، ومنح لهم ألكسيس كومنين ذلك الحي على طول الشاطئ الجنوبي للقرن الذهبي[4].

وبعد سقوط القسطنطينية في سنة 1204م، احتفظت البندقية بمستوطنتها القديمة في نفس الموقع، وامتلكت المدينة المستودعات، والأسواق، والبيوت. وازداد بهاعدد كنائسها وأديرتها. وامتدت فيها ممتلكاتها من القرن الذهبي إلى جانب قصر بلاكرن "Blaquerne"[5]. وبما أن البندقية امتلكت(3/8) ثلث من العاصمة (القسطنطينية)، فمن الطبيعي أن تصبح

1_نفسه.

2_ Heyd: Op.Cit.,t.1, p.272 ; Grousset :Op.Cit., p. 564 ; Vasiliev :Op.Cit.,t.2,p.117.

3_Ibid.

4_ عادل زيتون: العلاقات الإقتصادية، ص 114.

5_نفسه ; Heyd: Op.Cit.,t.1, pp.285,287

مركز الممتلكات البندقية[1]. ونظرا لغنى القسطنطينية وقوة البنادقة في الإمبراطورية الجديدة، فقد تعززت مكانتهم فيها ؛ مع العلم بأن تجارة المدينة كانت تتطور وتتوسع بشكل أسرع م

ج_توسع وتطور تجارة البندقية بعد سنة 1204م:

لقد توسعت شبكة معاملات البندقية التجارية، وازدادت وتيرة نشاطها في مختلف الأقاليم اللاتينية بعد سنة 1204م.

ونظرا لدهاء البندقية، في احتفاظها بأحسن الأقاليم وأجودها وأفضل الموانئ. وذلك لسبب واحد وهو غنى وخصوبة تلك الأراضي، وجودة ثرواتها. فقد تحصلت البندقية من ورائها على أفضل المنتوجات. والتي هي:

أولا: الحبوب:

ونظرا لأهمية جزيرة كريت الطبيعية، فظروفها المناخية جعلتها ملائمة لزراعة الحبوب، فقد صدرت هذه الجزيرة القمح والحنطة للتجار البنادقة. الذين نقلوا تلك المحاصيل إلى أوربا[2]. وكذلك استوردت البندقية الحبوب من "نيقروبوت" اقليم إيوبيا، إلى جانب كورن ومودن[3].

ثانيا: الزيت:

لقد استفادت البندقية كثيرا من أقاليمها، لتحصيل هذه المادة الضرورية في العصور الوسطى وقد كانت تلك الأقاليم غنية بأشجار الزيتون لذلك توفرت فيها الزيوت بمختلف أنواعها. ولقد جادت كل من مملكة آخيه "Achaie" ونيقروبونت و إقليم موري ،كورن ومورن، وكذا جزيرة كريت بهذا المحصول[4]. والجدير بالذكر هنا، هو أن البندقية لم تتحصل

1_ Diehl :République,p.58.

2_عادل زيتون: العلاقات الإقتصادية، ص.262; Heyd: Op.Cit.,t.1, pp.280

3_نفسه،266 ; Heyd: Op.Cit.,t.1, pp.283

4_عادل زيتون: المرجع السابق، ص262 ; Ibid., p.273,283

على الزيت والزيتون من هذه الأقاليم فقط، إنما كانت تستورده من المغرب بكميات كبيرة، لتصله إلى جميع مناطق أوروبا[1].

ثالثا: الفواكه الجافة:

لقد صدرت مملكة أخيه العنب والتين المجففين إلى البندقية، وتم استيراد سلع أخرى من جزر الأرخبيل[2]،ومن السواحل المغربية لغنى تلك الأراضي، وجودة محاصيلها وتنوعها ، بالإضافة الى الجوز واللوز والفستق؛ فقد كان الإيطاليون بما فيهم البنادقة يقبلون على شرائها بكثرة، ولا تخلوا موائدهم من هذه الفواكه[3].

رابعا: الخمور:

واستوردت البندقية اجود أنواع الخمور من جزر قبرص الغنية بالكروم، وكريت ونيفرويونت وكذا كورن ومودن، وجزيرة "Mourré"[4].

خامسا: العسلوشمع العسل:

كان العسل في العصور الوسطى، من أغنى المنتوجات وأجودها، وانتشرت تربية النحل في العديد من الأقاليم اللاتينية؛ فعلى سبيل المثال: تستورد البندقية هذا المنتوج من مملكة آخيه، وجزر الأرخبيل، وجزر اليونان، ومن نيقروبونت، وجزيرة كريت، وتبيعه في أسواق أوربا[5].

سادسا: المنسوجات (الحرير والقطن):

حازت صناعة الحرير في القرون الوسطى اهتمام العديد من الحرفيين، ونالت تجارتها رواجا كبيرا، واحترفت هذه الصناعة مدن أوربا، وكانت الجمهوريات الإيطالية بما فيها

1- Mas-lattrie :Relation et Commerce de l'AfriqueSeptenrionale avec les Nation, Chrétiennes,Firmin Didot, Paris, 1886,p.377.

2_ Heyd: Op.Cit.,t.1, pp.272،273.

3- ؛ بشاري لطيفة:العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من Mas-lattrie :Op.Cit., .p.379 القرن7 إلى القرن10هـ(16.13م)، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011، ص ص 100،199.

4_ عادل زيتون: المرجع السابق، ص262 ؛ 253، 268، 273،283.p.p ,Heyd: Op.Cit.,t.1

5_ نفسه; Ibid.

البندقية تعمل على تصدير واستيراد هذا المنتوج الهام من المنسوجات حيث تقوم بتصديره إلى المغرب[1]، باختلاف نوعية القطعة من حيث الجودة والصبغة والصناعة، وكانت البندقية تستورد الحرير من مملكة آخيه، ومن نيقروبونت بنوعيه الخام والمصنع[2]. وتستورد البندقية القطن من جزر الأرخبيل وجزيرة قبرص الغنية بإنتاج المنسوجات الصوفية الملونة، هذه المنتوجات التي ينقلها البنادقة إلى مصر والشام[3].

سابعا: السكر والملح:

بلغ السكر درجة كبيرة من الأهمية في العصور الوسطى ، حيث يزرع ويصنع في جزيرة قبرص والتي تصدره عن طريق البنادقة إلى أوروبا. وهو نوعان: سكر مسحوق وآخر بلوري[4].

كما تستورد البندقية هذا المحصول من جزيرة كريت. ويذكر بعض المؤرخين أن السكر يصل إلى هذه الجزيرة عن طريق آسيا الصغرى[5].

أما بالنسبة للملح، فكانت البندقية تنتجه بكميات قليلة لا تكفي استهلاك كامل أوربا، لذلك كانت تسعى إلى توفيرهذه المادة الهامة، في الموانئ المغربية من طرابلس والقيروان وفي حوض البحر المتوسط، وجزيرة قبرص أيضا[6] .

ثامنا: المعادن:

لقد كانت حاجة البندقية للمعادن كبيرة من أجل صناعة الأسلحة وسك العملات الذهبية أو الفضية وإلى غير ذلك. لذلك كانت تصدر جزيرة قبرص النحاس، وتوفر لها جزيرة كريت الذهب والحديد والقصدير وما إلى غير ذلك من المعادن[7].

1_بشاري لطيفة: المرجع السابق،ص207.

2_ عادل زيتون: المرجع السابق، ص283 ; Heyd: Op.Cit.,t.1, pp.272،273

3_نفسه، ص ص 253،254 ; Heyd: Op.Cit.,p.276

4_ نعيم زكي فهمي: المرجع السابق، ص ص242،243 ؛ عادل زيتون: المرجع السابق، ص253.

5_ نفسه، ص262 ؛ نعيم زكي فهمي: المرجع السابق، ص ،243

6. Mas-latrie :Op.Cit.,p.375 ; عادل زيتون: المرجع السابق، ص.253.

7_نفسه، ص 263.

وبالإضافة إلى ذلك، فقد كانت البندقية تستورد الأجبان ومشتقاته من جزيرة كريت الغنية بتربية الحيوانات، وإلى جانب ذلك فكانت تتحصل على حبات الأرجوان والقرمز من مملكة آخيه ومن ميناء "Coron". وتصدر جزر الأرخبيل للبندقية، الكبريت والرخام من جزر نيسيروس "Nisytos"، ومن جزيرة باروس "Paros" ليبيعه البنادقة في "خيوس" ، ليصل إلى البندقية ومنها إلى أوربا[1].

وبهذا النشاط الواسع النطاق، تمكنت البندقية من تطوير نشاط تجارتها وتقوية نفوذها التجاري بتلك المناطق بعد أن أعملت على إقرار السلم واستتباب الأمن فيها على الرغم من المخاطر العديدة التي تواجهها من قراصنة وأباطرة نيقية منافستها جنوة.

دور التجارة في تطوير البندقية:

لقد أكدت غالبية الدراسات على المكانة المرموقة التي اكتسبتها البندقية إثر سقوط العاصمة البيزنطية بأيدي اللاتين في سنة 1204م. لأن قوة الجمهورية وعظمتها ازدادت بفضل تطور نظامها التجاري.

هذه التجارة التي جابت معظم أنحاء الأقاليم البيزنطية التي أضحت لاتينية. ولم تتوقف عند هذا الحد فحسب، بل انتشرت معاملاتها التجارية حتى في نيقية، بعد أن عقدت معاهدات تجارية معها في سنة 1214م.[2]

وساهمت التجارة في تطوير البندقية، فبفضل المعاملات التجارية فرضت البندقية سيطرتها السياسية على سواحل الأدرياتيك ودالماسيا، وعلى جزيرة كريت وجزر الأرخبيل، إلى جانب الجزر الأيونية. هذا بالإضافة إلى ممتلكاتها في القسطنطينية وآسيا الصغرى[3].

كما تعاملت البندقية مع المسلمين في الموانئ العديدة من مصر، الإسكندرية، ودمياط وفي الشام ودمشق، وكذا موانئ بلاد المغرب من تونس، وطرابلس وبجاية ووهران[4].

1_ Heyd: Op.Cit.,t.1, p.p.272،273،280،276

2_ Ostrogorsky :Op.Cit., p.453.

3_ pirenne :Op.Cit ., p.77 ; Vasiliev :Op.Cit.,t.2,p.113.

4_ Yves,Renourd :Op.Cit .,p.54.

والجدير بالذكر هنا أن هذا التوسع التجاري قد رافقه نفوذ سياسي وعسكري، هذا الذي أدى بالبندقية إلى إقامة مستوطنات عديدة لجاليتها في عدة مناطق من أقاليمها أو بعد عقد معاهدات مع أصحاب دول أخرى[1].

وبحكم ذلك، أصبحت البندقية من أقوى مدن أوربا الغربية تجاريا، ومن أكبر الدول التي امتلكت كل تلك الأقاليم خارج حدود دولتها. هذا ما سمح لها بتأسيس التجارة الدولية أو العالمية[2]. وقد أطلق عليها هذا الإسم، نظرا لممتلكات الواسعة ذات النفوذ السياسي والعسكري والتجاري. ولأن جمهورية البندقية امتهنت مهنة التجارة واحترفت فنون الحوار والديبلوماسية، وكانت لها علاقات عديدة مع دول العالم الوسيط، حتى أنها أدت دور الوسيط التجاري بين الشرق والغرب[3]. لكن في هذه المرحلة وبعد سنة 1204م، تعدت البندقية دور الوسيط، لتصبح هي المتحكمة في الشرق البيزنطي بعد سقوط عاصمته (القسطنطينية).

ومنحت الحملة الصليبية الرابعة، فرصة ذهبية للبندقية لتفوز بالسيادة على الأقاليم والبحار من المتوسط إلى البحر الأسود وبحر مرمرة وباقي الخلجان. وحظي البنادقة بالمجد والشهرة بعد ربح أفضل لتجارتهم[4].

وعرفت البندقية كيف تستغل هذه الظروف، وكيف تسير مصالح دولتها التجارية أولا وفوق أي إعتبار؛ لأن التجارة منحت للمدينة تلك القوة والجاه خلال العصور الوسطى[5] .

فباسم التجارة وحدها سعت البندقية لتحل محل القسطنطينية، وتستولي على أقاليم الإمبراطورية وتستحوذ على أملاكها.وباسم التجارة، عاشت البندقية في أفضل حالات الغنى والرفاهية والنعيم. وباسم التجارة أسست البندقية إمبراطورية استعمارية لها في الشرق الذي

1_ pirenne :Op.Cit., p.77.

2_ Yves,Renourd :Op.Cit ., p.55,56.

3_ Ibid.;Heyd: Op.Cit.,t.1, pp.276.

4_ Pirenne :Op.Cit ,.p.77 ;Sestier :Op.Cit.,p.14 ;Diehl :Op.Cit., p.28.

5_ Diehl :République, p.p.28,29,94.

أصبح لاتينيا بعد سنة 1204م. تلك الإمبراطورية التي احتكرت في ظلها التجارة وتحكمت في الموانئ والممرات البحرية والطرق التجارية[1].

لهذا، يمكن تثمين دور التجارة في تطوير البندقية خلال القرنيين 12م و13م، فخلالهما بلغت البندقية أوج تطورها وذروة نموها التجاري وامتد نفوذها السياسي في الأقاليم التي أسستها بعد الحملة الصليبية الرابعة.

1 – زكي النقاش:العلاقات الإجتماعية والثقافية والإقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحملات الصليبية، دار الكتاب، لبنان،1958،ص.186.

الخاتمة

الخاتمة:

كشف موقع البندقية الجغرافي، عن أهمية المدينة و الدور البارز الذي قامت به في العصور الوسطى. اذ أن وقوعها في اوروبا و على رأس الأدرياتيك؛ مكنها من اكتساب القوة والنفوذ، خاصة ما يتعلق بالجانب التجاري. وباعتبارها مدينة بحرية، فقد أحسنت البندقية استغلال هذا البحر؛ الذي يعتبر مصدر نشأتها وأساس بقائها و استمرارها.

فقد تأسست البندقية بعد غزوات الجرمان و الفرنجة في منطقة " فنيسيا " من بداية القرن الخامس الى بداية القرن الثامن للميلاد. مما أدىبسكان تلك المنطقة الى الهجرة الى المستنقعات، احتماء من العدو ثم انتقلوا بقيادة "بارتيباشيو"الى ريالتو هروبا من قوات "بيبين". ويعتبر ريالتو، النواة الأولى لتأسيس مدينة البندقية .هذه المدينة التي أعلنت ولاءها للامبراطورية البيزنطية؛ وقبولها بحكمهاعن بعد. فكانت النتيجة ،أن تحصلت البندقية على نوع من الاستقلالية وحرية التسيير الاداري، هذا ما أكسبها قوة.

ومن الملاحظ، أن عدة عوامل اجتمعت وساهمت في تطور البندقية. حيث أدى موقعها الجغرافي المتميز دورا كبيرا في النهوض بالمدينة، خاصة عندما تمكنت بحريتها من تطهير سواحل دالماشيا من القراصنة السلاف. كما منح لها هذا الموقع المتوسطي عدة ثروات: كالملح، والأسماك والأخشاب الموجودة في غابات دالماشيا.

وأحسنت البندقية استغلال الأحداث التاريخية التي عاشتها أو تأثرت بها؛ تلك التي ساهمت في تحديد مسار المدينة نحو التطور. والمقصود هنا هي : فترة الحروب الصليبية؛ التي جادت على البنادقة بالمال و الثروات والنفوذ. بالاضافة الى ذلك، براعة و دهاء رجال حكومة البندقية في تطبيق نظام حكم صارم، شمل معظم الميادين الحياتية، مثله الدوق بنفوذه الواسع في المدينة و زيادة على تحلي البنادقة بالصبر.

كما ساهم الأسطول مساهمة فعالة في تطوير المدينة. فقد اعتنت الحكومة بأسطولها و بدار صناعة السفن ، اذ كرست لها كل الوقت والجهد والمال لانتاج أفضل السفن التجارية والحربية.

و رغم أن تحالف البندقية مع بيزنطة كان شكليا. بحيث طغت عليه المصالح المتمثلة في الدفاع عن حدود كل دولة ومواجهة خطر العدو المشترك. فقد جمعت بينهما التجارة، فالبندقية بحاجة الى أسواق بيزنطة و موانئها و كذا خيراتها. بينما تستفيد هذه الأخيرة في الترويج لسلعها في أسواق الغرب .

والجدير بالذكر، أن هذه المصلحة المشتركة لم تتوقف بين الطرفين؛ فقد استغلت بيزنطة قوة البندقية البحرية لمواجهة خطر النورمان. الذي بات يهدد أمن وسلامة تجارة البندقية في حوضي البحر المتوسط. وهكذا تحالف الاثنان ضد عدو واحد جرئ، لا يخشى الصعاب. وتمكن البنادقة والبيزنطيون من الانتصار رغم طول مدة الصراع.

وفيما يتعلق بغنائم البندقية من وراء ذلك التحالف؛ فنلاحظ أنها تحصلت على امتيازات كبيرة من ألكسيس كومنين سنة 1082م. فبفضلها تمكن البنادقة من بسط نفوذهم التجاري في الامبراطورية وفي عاصمتها. كما منحت لهم تلك الاعفاءات؛ حرية تجارية تامة خاصة في القسطنطينية، تلك الحرية التي تحولت الى قوة سياسية خطرة على بيزنطة فيما بعد.

وقد أدركت المؤرخة " انا كومنين" خطر تلك الامتيازات و نتائجها السيئة على بيزنطة. هذه الامبراطورية ، التي تفضل دعوة الأجانب لمساعدتها والدفاع عن حدودها ضد الأعداء الكثر؛ مقابل أموال، وثروات، وامتيازات تضمن لدولهم القوة والسلطة داخل أقاليمها، بل حتى في عاصمتها. أليس من الأحسن أن تستغل تلك الأموال في اصلاح أوضاعها الداخلية والعمل على تقوية جيوشها وتجديد أساطيلها بدلا من هدر تلك الثروات لكسب حلفاء، طالما كانوا يطمعون فيها ويضمرون لها السوء.

ولاحظت من خلال البحث، أن فكرة احتلال القسطنطينية لم تكن وليدة الحملة الصليبية الرابعة. بل كانت جذورها أقدم من ذلك؛ اذ تعود الى محاولات النورمان العديدة احتلال العاصمة البيزنطية بقيادة روبرت جويسكارد وأولاده من بعده. كما سعى الألمان أيضا بزعامة فريدريك باربروس وابنه هنري السادس، الى تنفيذ مشروع انهاء الحكم البيزنطي، وذلك خلال فترات الحروب الصليبية الأولى.

لكن مساعيهما باءت بالفشل. وكذلك بالنسبة لمحاولات البندقية اجتياح القسطنطينية، حين أوقف الأباطرة البيزنطيون امتيازاتها الضخمة في تلك البلاد.

وأظهرت حكومة البندقية شجاعة و قوة وحنكة سياسية، لأنها بالرغم من فشل محاولتها؛ فقد شهرت السيف و أقامت الحرب حتى استرجعت امتيازاتها. ولم تثن هذه الهزيمة من عزم البنادقة وعلى رأسهم الدوق من اعادة الكرة والمحاولة مجددا لانهاء الوجود البيزنطي.

لذلك تبقى الحملة الصليبية الرابعة، المحاولة الكبرى والأخيرة لتحقيق ذلك الهدف. هذه الحملة التي أعد لها الغرب العدة اللازمة ، وتم الاشهار لها كما يجب . ويتضح منخلال البحث؛ أن الحملة الصليبية الرابعة مرت بأربعة مراحل كبرى. حيث انحرفت الحملة نحو " زارا" لأول مرة، تحت ظروف صنعتها البندقية ؛ ليتغير مسارها جذريا من زارا الى القسطنطينية بدلا من مصر .

هذا التغيير الذي كان محل جدل واسع بين الدارسين: هل كان صدفة، أم كان مشروعا مخططا من قبل؛ وتم تنفيذه عند نجدة الأمير البيزنطي. وعلى الرغم من كثرة الدراسات؛ فان الاختلاف ظل قائما وربما يستلزم الحسم فيه دراسات أخرى أكثر عمقا .

لتنتقل الحملة الصليبية الرابعة من زارا الى استرجاع العرش البيزنطي لألكسيسأنجيلوس؛ و تنتهي في آخر المطاف باسقاط القسطنطينية واجتياح الامبراطورية البيزنطية من طرف اللاتين في سنة 1204م.

ومن اللافت للنظر في هذه الأحداث، أن الحركة الصليبية على العموم، فشلت جراء ما وقع في هذه الحملة. ففكرة الهجوم على بلد مسيحي بدلا من مصر أو فلسطين، جرد الحركة الصليبية من فحواها الديني، وكشف ما هو مستور وراء الدعوة الدينية للمشاركة في الحملات. و سلط الضوء، عن ذلك الغفران الذي زعمت الكنيسة أنها تمنحه للصليبين؛ عندما يشاركون في الحملة ضد فلسطين. فقد كانت هذه الحملة في الحقيقة، فاجعة وكارثة على الحركة الصليبية.

ويبدو واضحا، أن بيزنطة تأثرت بالغ الأثر بالحملة الرابعة ،. فالصليبيون عاثوا فيها خرابا و دمارا، وأعملوا فيها النهب والسلب و الحرق والسرقة. ويتضح من خلال ما ورد في البحث، أن هذه الاعمال التخريبية مست كل بقعة من هذه المدينة الاثرية ومن سكانها : رجالا ونساء، ورجال الدين؛ الى كنائسها و أديرتها وقصورها، بل حتى مكتباتها وقبور القدسيين والأباطرة البيزنطيين؛ لم تسلم من شرهم ومن شر ما يفعلون.

كما نتج عن الحملة الصليبية الرابعة، انقسام الامبراطورية البيزنطية الى ممالكو دويلات منها اللاتينية ومنها البيزنطية. فاللاتينية انحصرت في القسطنطينية، وفي مملكة آخيه و دوقية آثينا و طيبة . أما الممالك البيزنطية ؛ منحصرة في نيقية، وامارة تريبيزوند وكذا في اقليم ابيروس.

واتضح من خلال الدراسة، أن استفادة الصليبين والبنادقة وكافة آوروبا، كان على جانب كبير من الأهمية . حيث اغتنت آوروبا من كنوز القسطنطينية، التي وصلت اليها بفضل التجار البنادقة خاصة.

والجدير بالذكر هنا، هو أن البندقية كانت المستفيد الأول من هذه الحملة، ومن ثروات و كنوز عاصمة المدائن –آنذاك– . فقدوضعت يدها على أثمن القطع و التحف، وعلى أفضل الممتلكات و على أخصب الأراضي البيزنطية؛ باعتبارها صاحبة الفضل في هذا النعيم.

كما تقاسم القادة الصليبيون نصيبهم من الامبراطورية بعد ما أخذ الامبراطور حصته المتفق عليها مسبقا. بالاضافة الى توزيع الاقطاعات على الجند و الفرسان.

ويستنتج من هذا ، الأهمية التي اكتستها اتفاقية تقسيم الامبراطورية ، التي تمت ما بين القادة والبنادقة في مارس 1204م و ذلك قبيل سقوط القسطنطينية. هذه الاتفاقية التي كانت بمثابة دستور جديد لامبراطورية لاتينة جديدة. أو أنها كانت مخططا سياسيا ذات أبعاد ثابتة وواضحة.

لأن هذا المخطط، يسلط الضوء على نوايا الصليبين و البنادقة على حد سواء تجاه بيزنطة؛ كما يكشف عن تدبير مسبق وأهداف بعيدة ، تلك التي ترمي الى اسقاط القسطنطينية. لأن دقة ما ورد فيها من حصرالأقاليم، و تقسيم ممتلكات بيزنطة بين القادة؛ يدل على أنه كان مشروعا احتلاليا احتوته الحملة الصليبية الرابعة.

وتبين من خلال اتفاقية التقسيم تلك، أن البندقية اكتسبت عدة ممتلكات وأقاليم، توزعت بين مدن البوسفور والبيلوبونيز ومدن الداردانيل وبحر مرمرة. الى جانب اقليم تراقيا، وكريت، وثلث مدينة القسطنطينية. لكن ولصعوبة تسيير و ادارة كل تلك الأقاليم، عمدت البندقية الى الاحتفاظ بأهم وأجود المناطق فحسب، وأقطعتما تبقى منها لعائلاتها الاستقراطية. وفي الجوهر اذا، انحصرت ممتلكاتها في الجزر الأيونية، وجزر الأرخبيل، وجزر الحوض الشرقي، وكذا كورن ومودن.

وتكشف هذه الممتلكات عن حيوية النشاط التجاري، وعن ازدهار تجارة البندقية بعد سنة 1204م. وذلك بتنشيط معاملاتها التجارية في تلك الجزروالموانئ ، فقد تحصلت البندقية على الحبوب وأجود أنواع الخمور، والى جانبها العسل وشمع العسل ومختلف المنسوجاتبما فيها الحرير. واستوردت البندقية منهاأيضا: الفواكه الجافة والزيتون والزيت والمعادن بما فيها الذهب. بالاضافة الى الأرجوان والقرمز و الأجبان و الكبريت.

واتضح جليا من خلال هذه الدراسة، أن في هذه المرحلة أسست البندقية امبراطورية مترامية الأطراف جمعت بين الدول في الشرق وبين الموانئ الكبرى في غرب اوروبا وشرقها

وبين العالم الاسلامي ، خاصة مصر والشام وبلاد المغرب. ووحدت بين بحار العالم وقتئذ، من البحر المتوسط الى البحر الاسود؛ و بحر مرمرة و مضيق الداردانيل والبوسفور البيزنطي. هذه كانت البندقية بعد أن عملت جاهدة على اسقاط القسطنطينية البيزنطية وارجاعها لاتينية. و بفضلها أيضا دخلت تجارة هذه المدينة مرحلتها العالمية والدولية. بعد أن فرضت نفوذها التجاري و السياسي على أكبر عدد من المناطق، والدول، والموانئ، والممرات البحرية، والمضائق.

وبهذه التجارة قفزت مدينة القديس مرقس قفزة نوعية نحو التطور والمجد والسيادة على العالم في العصور الوسطى. فعن حق، كانت التجارة السبب الأول وليس الوحيد في بلوغ البندقية هذه المكانة المرموقة آنذاك.

الملاحق

نص من " حولية دير مونت كاسينو عام 1017م". يبرز بداية ظهور النورمان في جنوب ايطاليا:

في السنة السابعة من رئاسته للدير (1) ارتأى النورمان أمر فتح منطقة أبوليا تحت قيادة الزعيم ميلو(2). كيف و بأية مناسبة جاء النورمان أولا إلى هذه الأصقاع و من هو ميلو و ما أصله و ما غرض محالفته لهؤلاء النورمان . هذه هي الأخبار التي يجب ذكرها. بعد مضي حوالي ست عشرة سنة حل بمدينة سالرنو أربعون حاجا من النورمان و هم عائدون من بيت المقدس. و كان النورمان رجالا ذا قامة طويلة و منظر جميل و خبرة عسكرية كبيرة. و قد وجدوا المدينة حين نزلوهم بها محاصرة من طرف المسلمين . و ثارت ثائرتهم لنداء الله فطلبوا السلاح و الجياد من غيمار الذي كان وقتذاك أميرا على مدينة سالرنو ثم لم يلبث أن انقضوا بغتة على المسلمين المحاصرين فقبضوا على بعضهم و لاذ الباقون بالفرار و سجلو بذلك بمساعدة الله انتصارا باهرا. و قد صرح النورمان بعدئذ أن ما بذلوه من عون لسكان مدينة سالرنو كان في سبيل الله و المسيحية فحسب. فرفضوا أخذ الهدايا المقدمة لهم كما أبوا الاستقرار في هذا البلد. ومن ثم بعد أن عقد الأمير (3) مجلسا حضره هؤلاء النورمان أوفد سفارة إلى نورمنديا و على منوال مهارة نارمس (4) حملها بالتفاح و الكبادة و اللوز و الجوزة المذهبة و الأقمشة الأرجوانية و عدة خيول المزينة بالريش المصنوع بالذهب الصافي و هذا كله هدايا غرضها إغراء رجال نورمنديا و حملهم على الهجرة إلى أرض تقدر على إنتاج مثل هذه الكنوز الرائعة.

ارجع :

رشيد تومي : المصدر السابق، ص 342.

الملحق الثاني

نص للمؤرخة آنا كومنين تصف فيه القائد النورماني" روبرت جويسكارد ":

"... يعود أصل و شهرة روبرت الى شدة دهائه وكثرة حيله ومكره، والى تميزه بالخداع (...). هذا روبرت النورماندي الأصل وذات المولد المبهم. اجتمعت في شخصيته قوة الطموحات؛ وحدة الذكاء ودقة النباهة (...). كانت أكبر أحلامه وكل رغبته في الوصول الى الثروة والمكانة المرموقة التي يتمتع بها الرجال الأقوياء. فلا أحد ولاشئ يستطيع أن يوقفه أو يغير مساره تجاه تحقيق أهدافه ومشاريعه؛ حيث كان يتبع من اجل ذلك، نظاما صحيحا ومنتظما، ومتوازنا، يفي بغرض بلوغه قمة طموحاته.

أما عن قامته، فهي تفوق قامة كبار الجنود المحاربين طولا؛ وجمال سماته الجسدية واضحة، حيث كانت بشرته ملونة؛ وشعره أبيضا أو أشقرا، وبالنسبة لأكتافه فهي عريضة، وعيونه فاتحة وكأنها تطلق أضواء منها.(...) لذلك فهو من رأسه حتى رجليه، ذات شكل جسدي حسن وجميل، ويمتاز بالدقة والأناقة (...). فهو يتمتع بمزاجقوي، و يحب فرض شروطه وطاعة أوامره.

انظر:

Anne Comnéne : Op.Cit , t.1, livres I–IV, p.38.

الملحق الثالث

الرسالة التي وجهها البابا إنوسنت الثالث للشعوب المسيحية في سبيل استنهاض همتهم للمشاركة في الحملة الصليبية الرابعة

نص الرسالة:

" لم يتوقف بيت المقدس منذ ضياعه عن التضرع للسماء وحث المخلصين على رفع المهان الذي لحق بالسيد المسيح... ووسط هذه الكارثة، ينعم الأمراء بالحياة ويغرقون في الملذات مسرفين في النعم التي أنعمت السماء عليهم بها، وهم لا يعلمون أن أعداءنا يهينونا ويحتقروننا وهم يقولون: أين إلهكم الذي لا يستطيع تخليصكم من أيدينا؟، لقد دنسنا معبدكم والأماكن المقدسة وكسرنا قوة الفرنسيين والإنجليز والألمان وقهرنا الإسبان فماذا بقي لنا الآن أن نعمل؟ سوى أن نستولي على ما تركتموه في بلاد الشام ، ونفرض سيطرتنا حتى نصل إلى الغرب ، كي نمحي اسمكم وذاكرتكم إلى الأبد... أظهروا أنكم لم تفقدوا شجاعتكم أعطوا لأجل قضية الرب كلما أخذتموه منه وإذا امتنعتم في هذه الفرصة المستعجلة عن خدمة يسوع المسيح فأي عذر ستقدمونه أمام محكمته العظمى؟ ، فإذا كان الرب يموت من أجل الإنسان فهل يخشى الإنسان أن يموت من أجل ربه؟، ويرفض أن يمنح حياته الفانية وأمواله الزائلة في هذا العالم لمن يفتح لنا كنوز الحياة الأبدية...".

المصدر:

نسيمة بلخير: المرجع السابق، ص 104.

الملحق الرابع

مرسوم البابا إنوسنت الثالث القاضي بفرض ضرائب على الكنيسة من أجل الحملات الصليبية على الشرق. صدر المرسوم من خلال الخطاب الذي بعث به البابا إلى رئيس الأساقفة ورجال الدين في إقليم « Magdeburg »، حررت الرسالة في 31 ديسمبر 1199م.

نص الرسالة:

لقد قمنا بمناقشة موضوع المساعدة إلى الأراضي المقدسة مع إخواننا، ولكي لا نبدوا وكأننا نضع أعباء ثقيلة على أعناق المشاركين والتي لا نرضى أنفسنا أن نحملها ولو بأصبع واحد من أصابعنا ، فنكون بذلك غير قدوة ونقول بأفواهنا ما لا يطابق أعمالنا. ولهذا فقد قمنا بترتيب وبموافقة الأساقفة ورجال الدين الآخرين القائمين بالعمل الرسولي ، بفرض ضريبة العشر "أي عشر إيراداتنا" من الأموال وغيرها لتكون خصيصا لمساعدة المقاطعات الشرقية؟ كما قمنا بإسقاط جزء ليس بالقليل من هذا العشر لسد احتياجاتنا لأن مواردنا الأخرى لم تكن تكفينا ، ولما كانت الظروف الحالية أكثر خطرا عن العادة المألوفة ، فإن هذا الأمر يتطلب منا نفقات عالية ومرتفعة. ولابد أن نوضح لكم نيتنا وأهدافنا وذلك من خلالكم أنتم، وهي علامة تدل على الكرم ليقتدي بقدوتها « The Laity » أي العامة من الناس الذي بدأ يعمل ويدرس به !

وعلى الرغم أننا لا نستطيع أن نعطي أو نقدم شيئا يخصنا، إلا أنه يجب على الأقل أن نرد إليه جزءا قليلا مما يمكله إليه، والذي برحمته قد أعطانا كل شيء، ولكي نحدد المساعدة الضرورية للأرض المقدسة سواء من الرجال أو المؤن ، فإننا نقترح أن نرسل إلى هناك ابنينا المحبوبين. وهما الكاردينال سوفرد « Soffered » من St. Praxedis وكذلك رئيس شمامسة St. Maria وهو يدعى « Peter » من « Via-latar- » وقد قمنا بوضع شارة الصليب على صدرهما بالفعل وسوف يقومان بقيادة جيش السيد ، حيث يكونان بالنيابة عنا، فيمكن أن يلجأ إليهم كل واحد باعتباره الرئيس والسيد.

ولأننا نشعر جيدا أن هذا ليس كاف بل قليل ، وفي الحقيقة قليل جدا لمواجهة الاحتياجات والمتطلبات الكثيرة جداً لهذه المقاطعة ، فنوصيكم جميعا في تلك الرسائل الرسولية ونصدر أوامرنا بشدة إلى كل منكم تحت تهديد القانون المقدس وبالنيابة عن الرب الرحمن الرحيم وبقوة الروح القدس أن تعيدوا إليه 40/1 من إيراداته الروحية من الأموال والدخول العينية لمساعدة الأرض المقدسة ، بعد سداد الديون.

ونحن بإيماننا وبرحمة الرب الرحيم وسلطان الرسل المباركين بطرس « Peter » وبولس « Paul » نقوم بتخصيص 1/ 40 من الضرائب الدينية المفروضة على رجال الدين والأساقفة والتابعين لهم الذين يقومون بدفع 1/ 40 عن رضا وإخلاص طالما لا يمارسون الخداع والغش، بل ويؤيدون هذه النفقات بتكريس وورع،ويجب أيضا أن تعرف أن أي إنسان يرفض أن يعطى في مثل هذه الظروف الملحة مثل هذه المساعدة الزهيدة لخالقه ومخلصه، والذي منه إستقبل جسده وروحه وكل شيء من خير ما يمتلكه فإنه يستحق اللوم والتوبيخ بعنف. ونحن الذين نعمل ونتصرف بالنيابة عن الله في الأرض. فلا نستطيع تحت أي ظروف أن نخفي خطرا أو خطأ يقع، ولا يجب أن نعتقد أننا نعتزم أن نستخدم ذلك لنفرض قانونا عليكم فوق طاقتكم، بل يجب أن تؤمنوا أنه من الآن فصاعدا أنكم ستقومون بدفع 1/ 40 كواجب أو تقليد ! علاوة على ذلك لا نتمنى لكم أن تسقطوا وتهلكوا في أمر كهذا، بل أننا نحزن على أنه هناك أزمة حلت بنا في مثل هذه الحاجة الملحة، بل ندعو جميعا ألا تحل مثل هذه الأزمات مرة أخرى.

ومع ذلك، فإنه إذا لم يكن من الممكن جباية هذه المساعدات في « Magdeburg » في مثل أحوال الاعتداءات أو أية عوائق أخرى واضحة فنحن نأمركم أيها الأخوان رئيس الأساقفة والأساقفة في الكاتدرائية على أن تنظموا لتتقابلوا دون تأخير في اثنين أو ثلاثة أماكن من إقليم « Magdeburg » وتناقشوا بين بعضكم البعض مراحل ومبادئ المهمة الرسولية بخصوص ما يتعلق بتقديم المساعدات للأرض المقدسة، وبعد العودة ينبغي أن ينادي كل منكم إلى عقد اجتماع في أبرشيته مباشرة ويأمر بسلطاننا كل رؤساء الأديرة وكل البيوت المعفاة وغيرها، الأساقفة الثانويين ورجال الدين القائمين الذين يعيشون في الأبرشية على أن تقدم إيراداتهم ودخولهم من

الأموال والدخول العينية بحساب دقيق، ولابد أن يرسلوا دون تأخير أو تأجيل خلال ثلاثة أشهر من الإعلان الذي أعلن لهم، وهو أن يقوم الواحد منهم بدفع 1/ 40 مع الأسقف نفسه وعديد من رجال الدين كشهود في مكان ما بالأبرشية ذاتها، ثم يقوم بجمع بعض الصديقين وأهل الرأي والمشورة للحماية والأمن.

ونحن نصدر أوامرنا إليكم أيها الإخوان من الأساقفة ورؤساء الأساقفة أن تنفذوا وتقوموا بهذا العمل بنفس الحزم والقوة. غير أنه يجب أن نستثني من هذه القاعدة العامة الرهبان والنساكين « Cis- Premonstra Lension ,Terciaun » والأملاك الموقوفة « Grandmortire » والـ« Carthusian » حيث أنه قد أرسل إليهم وصايا خاصة بهذا الأمر. ونحن لا نتمنى ولا نأمل أن الذين يتحملون الآلام بضعف دخولهم من الأموال والدخول العينية أن يتجرؤوا ويجازفوا بمخالفة هذه الأوامر، حيث أنه من المحتمل ألا يدفعوا 1/ 40 من ممتلكاتهم كاملة، وربما يكون ذلك بسبب جهله أو عدم التروي والتأني، ولكن يجب أن يقوموا بالدفع كاملا طالما قاموا بدفع القليل بطريق الخطأ، وإذا قدر الله، إن فكر أحد وامتنع عن دفع أي جزء من 40/1 من ممتلكاته بسبب جهله، فإنه يجب أن يعفى من العقوبة تماما بسبب خطأه. طالما قد قدم عن رضا كفايته، ولا يندهش أحد أو ينزعج أننا قد أمرنا بذلك تحت هذه التهديدات منذ أن تطلبت منا الضرورة القصوى هذا العمل، ذلك لأنه على الرغم، من أن الخدمة إلى الرب يجب أن تقدم وتكون طوعاً لا كرها، إلا أننا قرأنا في الإنجيل عن الضيوف في عيد الزواج، الذين أمر السيد المسيح بإجبارهم على الدخول ! ونحن نأمركم علاوة على ذلك أيها الإخوان، رئيس الأساقفة والأساقفة أن تأخذوا نفس النسبة 1/ 40 وتقوموا بجمعها بإخلاص داخل أبرشياتكم بناءا على الخطة المذكورة عاليه على أن تودع في مكان أمن، وترسلوا لنا شرحا وتوضيحا بذلك في أسرع وقت ممكن خلال مراسلتكم ورسلكم.

وبالإضافة إلى هذا نصدر أوامرنا بأن يوضع صندوق مفرغ ومغلق في كل كنيسة أو يكون له ثلاثة مفاتيح، الأول: يكون تحت مسؤولية الأسقف. والثاني: تحت مسؤولية كاهن الكنيسة. والثالث: يكون تحت مسؤولية بعض العلمانيين الأتقياء. ويجب أن ينصح كل مخلص بأن يضع صدقاته من أجل غفران خطاياه، ويعتمد المقدار الذي

يضعه على ما يلهمه السيد المسيح أن يقدمه، ويجب أن يعلن هذا العمل مرارا وتكرارا وبشكل عام كل أسبوع وفي كافة الكنائس من أجل غفران الخطايا والآثام خاصة أولئك الذين قدموا عروضا، كما تسمح لكما أيها الإخوان،رئيس الأساقفة والأساقفة أن تستبدلوا منحة الصدقات من أجل تحقيق التوبة المفروضة على هؤلاء الذين يرغبون أن يتقدموا ويحضروا لمساعدة الأرض المقدسة بأمتعتهم مع تقديم النصيحة لأولئك الرجال من أصحاب الرأي السديد الذين ينظرون إلى مركز ووضع الإنسان في الحياة وأن ما يقدمونه هو رمز ومقياس لتقواهم.

وبالإضافة إلى ما تقدم، سوف نقوم بوضع أخوين إلى جانبكم لتعضيدكم، أحدهما من إسبتاليه بيت المقدس والأخر من فرسان الداوية، واثنين من العلمانيين الأتقياء وآخرين من الفرسان من أصحاب الحكم السديد أو بعض الرجال المحاربين الذين حملوا شارة الصليب. ولو لم يستطع الصليبيون توفير ما يلزم للرحلة فإنه يجب توفير منحا مناسبة من أجلهم من نفس الأموال بعد تلقي تأكيد منهم أنهم سوف يستمرون في الدفاع عن الأراضي الشرقية لمدة عام أو أكثر، ويكون هذا بناءا على مقدار المنحة،وأيضا لا قدر الله لو أنهم ماتوا في الطريق لا تتحول المساعدات التي تلقوها إلى استخدامات أخرى، ولكن يجب أن تخصص للمحاربين،أما عند عودتهم فإنه لا يجب أن يعفوا من تأكيد عما صنعوه للرجال المحاربين حتى يظهروا لكم رسائل من الملك أو البطرق أو من رؤساء الإسبتالية في بيت المقدس وفرسان المعبد أو من مندوب خاص بنا ليعطوكم دليلا على إقامتهم.

ولأن الموقف الحرج والصالح العام يتطلب من الشعب المسيحي أن يبادر إلى الأرض المقدسة دون تأخير، ويجلبون معهم المساعدات ليس فقط من الموارد المادية بل أيضا من الأفراد المعادين للوثنيين، فإننا نأمركم ونقودكم بكل ما في الكتاب من معنى "الخطاب الرسولي" من حث وتشديد وحكمة ووعي للأفراد وذلك بتقديم المساعدات من الرجال المناسبين لتلك المهمة وتشجيع وإقناع المخلصين كما يتمكن هؤلاء الذين يحاربون من أجل المسيح وحمل الصليب باسم السيد المسيح « Of Hosts » بينما تهب البقية الباقية صدقاتهم بإخلاص بسبب أعمالهم، ولا تيأسوا من رحمة الله وقوة وسلطة الرسولين المباركين بولس وبطرس « Paul and Peter » ،إذ

الملحق الخامس

رئيس دير الرهبان مارتان الباريزى « Martin of Pairis »
يبشر بالحملة الصليبية إلى الأرض المقدسة في سبتمبر عام 1201م
دون التقرير في 1207م (أغسطس)

نص الرسالة:

"أيها السادة استمعوا إلى كلماتي، والتي لم تكن في الحقيقة إلا كلمات السيد يسوع المسيح نفسه الذي هو صاحب هذه الكلمات وما أنا إلا الوسيلة الضعيفة. فالمسيح هو الذي يتكلم إليكم اليوم بكلماته من خلال فاه ويشكو لكم من الخسائر التي وقعت عليه، فقد طرد المسيح خارج مكانه المقدس، ومن مقعده في السلطة حيث ألقى به خارج هذه المدينة التي خصها لنفسه بدمه، يالها من خسارة؟! !

إن المكان الذي وعد به الرسل المقدسين منذ القدم هو ذلك المكان الذي سوف يأتي إليه ابن الله بجسده، والذي فيه ولد، وأراد الله أن يكون فيه طفلا في المعبد إلى أن اشتد عوده وعلم كثيرا حيث ظهرت قدرته ومعجزاته ونظم العشاء الرباني من الجسم والدم المقدس المعظم مع تلاميذه. ثم عانى ومات ودفن، ثم نهض مرة ثانية، وبعد ثلاثة أيام صعد إلى السماء.وفي اليوم العاشر أنزل روحه المقدسة عليهم في ألسنة من النيران؟ .واليوم يحكم هذا المكان أمة متوحشة ! يالله من بؤس ! ويالله من سبب للشكوى ! يالها من فاجعة. هذه الأرض المقدسة التي باركها السيد المسيح بخطاه وعالج فيها المرضى وأعطي ومنح البصر للأعمى وطهر المجذومين وأحيا الموتى ! نفس الأرض المقدسة كما أقول قد سقطت في أيدي رجال أشرار فحطموا الكنائس ودنسوا المعابد ووقع عرش المملكة وسلطتها في أيدي الوثنيين، تلك الخشبة المقدسة الموقرة التي يتكون منها الصليب وتقع في دم المسيح.

قد أخفاه هؤلاء الناس الذين يعتبرون رسالة الصليب بالنسبة لهم حماقة، وأنه تقريبا كل رجالنا الذين اعتادوا على العيش في هذه الإمبراطورية المسيحية إما قتلهم سيف العدو أو اضطروا إلى الاستسلام للأسر الطويل، وتمكن القليل منهم من الهرب

بهذه القوة نتحد، ونؤمن بأن الله قد أنعم علينا، رغم أننا لا نستحق ذلك، ثم أننا نمنح ونهب كل هؤلاء الذين استسلموا لعناء هذه الرحلة شخصيا وعلى نفقاتهم غفران كل خطاياهم وآثامهم، وهم الذين قد تبرموا عليها من قلوبهم وعبروا عنها أيضا بالكلمة واللسان.

وللعدالة، فإننا نعدهم بالمكافأة لأعظم اشتراك في الإنقاذ الداخلي، أما بالنسبة لهؤلاء الذين لا يشاركون أو يساهموا شخصيا، ويرسلون فقط الرجال المناسبين ليبقوا هناك مدة عام على الأقل وعلى نفقاتهم الخاصة بما يتناسب ومستوى معيشتهم ويتساوى معهم أيضا هؤلاء الذين يحققون عهد الآخرين في الحج، وهم الذين ذهبوا على نفقة هؤلاء الآخرين،فنحن نمنحهم غفرانا كاملا أيضا لكل خطاياهم وآثامهم، ونتمنى أن يشارك الجميع في غفران الخطايا بقدر مساعدتهم وعمق تقواهم فيهبوا جزءا مناسبا من دخولهم لمساعدة الأرض المقدسة".

هنا تنتهي الرسالة الأولى.

المصدر:

نسيمة بلخير : المرجع السابق ، ص105.

من هذه الكارثة التي حلت ونزلت بعكا « Acre » أو الأماكن الآمنة الأخرى، وهم هناك يعانون من الهجمات المتكررة من البربر؟ تلك هي الحاجة الملحة للسيد المسيح الذي ندعوه من أجل أن يدعوكم اليوم من خلال صوتي وأساليبه، كما أنه يبادر المحاربين الأقوياء لمساعدة المسيح اليوم ليسجلوا أسماءهم إلى جانب فرسان المسيح،فبادروا لكي تلتحقوا بأنفسكم معا إلى جانب رفاقكم للنجاح الأكيد وأطرح إليكم اليوم قضية المسيح، وفي أيديكم ذلك، ولذلك أنقل إليكم كلمات المسيح لكي تجاهدوا لاستعادته إلى ميراثه الذي طرد منه عنوة وبقسوة.

وكي تخيفوا أنفسكم بالشرور والفضيحة التي ابتلت بها شعوبنا بسبب جيوش الوثنيين، أريد منكم أن تستدعوا وتتذكروا الأحداث القريبة، تذكروا الزمن والوقت عندما قامت البعثة المشهورة بقيادة الأمير النبيل « Godfrey » والأمراء الآخرين من الفرنسيين والألمان، عندما قام هؤلاء الناس الجاحدين كما يفعلون الآن بقتل وأسر كل المسيحيين واحتلوا الأرض المقدسة وصيدا وصور وأنطاكية ذاتها، ومدنا أخرى محصنة، والأكثر من هذا عرش مملكة بيت المقدس. ورغم الصراع الإسلامي الذي استولى على العرش العظيم بالقوة ومعظم الأرض، غير أن عكا وأنطاكية لازالت لنا ولازلنا نتمسك بمدن أخرى قوية وحصينة والتي دافع عنها المحاربون الأجلاء. والشكر والفضل لقواتنا والله والمقدس، ويمكن بذلك استرداد العرش الشهير في بيت المقدس إلى جانب مدن أخرى.

ولكن إذا كنتم تتساءلون عما تأملونه كمكافأة يقينية على هذا العمل العظيم، فإني أعدكم بالتأكيد بأن أي شخص يتخذ شارة الصليب ويقوم باعتراف مقبول وجيد، سوف نغفر له خطاياه تماما، وفي أي مكان وأي زمان، مهما كانت الأحوال لم يترك فيها أحد موقعه، سوف يفوز بحياة خالدة، وسوف أعلن عن حقيقة تلك الأرض التي تستعدون من أجلها، فهي أغنى بكثير من تلك الأرض التي تعيشون عليها، كما أنها أكثر خصوبة منها أيضا. وسوف يجد الإنسان منكم مياها متوفرة تعين على الحياة بشكل أفضل من هذه الحياة هنا،حتى الأشياء الدنيوية فهي أكثر مما تعيشون وتحيون فيها هنا.

والآن عليكم أن تلاحظوا يا إخواني العهد والميثاق بهذه الروح والتي تتضمن وعداً أكيدا بمملكة السماء وأملاً عظيما في الازدهار الدنيوي. وأنني لأضع وأغمس نفسي لأكون رفيقا في هذه الرحلة، وهذا العناء.

وأتمنى أن أشارك أوقاتا طيبة وأوقات عصيبة معكم طالما نسعد بالرب. ولذلك يا إخواني، اتخذوا شارة الصليب المنتصرة بعقول مستنيرة لتنالوا القوة وتتلقوا مكافأة عظيمة وخالدة مقابل خدمة قصيرة وقليلة".

انظر:

نسيمة بلخير: المرجع السابق، ص 109 وما بعدها.

الملحق السادس

نص من كتاب الجغرافية للزهري يصف فيه مدينة القسطنطينية و أسوارها :

" (...) وفي هذا الصقع من المدائن: قسطنطينية ، وهي من بنيان قسطنطين بن ميلا ، ولاسمه نسبت. (...)، وهي من أحسن مدائن الأرض وأغربها عمرانا وبنيانا. يدور بها سبعة أسوار، كل سور منها يزيد على صاحبه في العلو قدر قامة. وقد تشابكت أبراجها بصناعة وهندسة حتى أن الرجل يكون في وسطها فيدور مع السور الأول من داخلها؛ فاذا هو مع السور الآخر من خارجها. فيظن أنه قد خرج ، فبينما هو كذلك يدور اذ يرى نفسه في وسطها. فلا يزال الجاهل بها يتحير فلا يجد منها مخرجا. وهذه المدينة طيبة الهواء و الماء. وهي على بحرين، فالجانب القبلي على بحر الروم و الجانب الشرقي على بحر الخليج."

ارجع :

أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري (ت.6هـ): كتاب الجغرافية وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوي على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراسخ، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر، ص ص.73،74.

الملحق السابع

نص من رحلة ابن بطوطة يذكر فيها كنيسة آيا صوفيا:

".... الكنيسة العظمى .... وهي تسمى عندهم آيا صوفيا بفتح الهمزة والياء آخر الحروف... ويذكر أنها من بناء آصف بن برخياء.... وهي من أعظم كنائس الروم ، وعليها سور يطيف بها. فكأنما مدينة، وأبوابها ثلاثة عشر بابا. ولها حرم ميل عليه باب كبير ولا يمنع أحد من دخوله. وقد دخلته مع والد الملك... وهو شبه مشور ، مسطح بالرخام، وتشقه ساقيه تخرج من الكنيسة . لها حائطان مرتفعان نحو ذراع، مصنوعان بالرخام المجزع المنقوش، بأحسن صنعة، وأشجار منتظمة عن جهتي الساقية.

ومن باب الكنيسة الى باب هذا المشور معرش من الخشب مرتفع، عليه دوالي العنب في أسفله الياسمين والرياحين، وخارج باب هذا المشور قبة مصاطب وحوانيت أكثرها من الخشب يجلس بها قضاتهم وكتاب دواوينهم (...) .

والساقية التي ذكرناها تنقسم الى قسمين، أحدهما يمر بسوق العطارين ، والآخر يمر بالسوق حيث القضاة والكتاب. وعلى باب الكنيسة سقائف يجلس بها خدامها (...)، وشبيه عيسى عليه السلام ، وهو على باب الكنيسة مجعول في جعبة ذهب طولها نحو عشرة أذرع، وقد عرضوا عليها جعبة ذهب مثلها حتى صارت صليبا.

فهذا الباب مصفح بصفائح الفضة والذهب وحلقتاه من الذهب الخالص. وذكر لي أن عدد من بهذه الكنيسة من الرهبان والقسيسين ينتهي الى آلالاف. وأن بعضهم من ذرية الحواريين. وأن بداخلها كنيسة مختصة بالنساء (...) ".

انظر:

شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي: رحلة ابن بطوطة، المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الاسفار، تحقيق: عبد الهادي التازي، سلسلة التراث، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية، مج2، 1417، 1997، الرباط، المغرب، ص ص254،255.

خريطة رقم 01

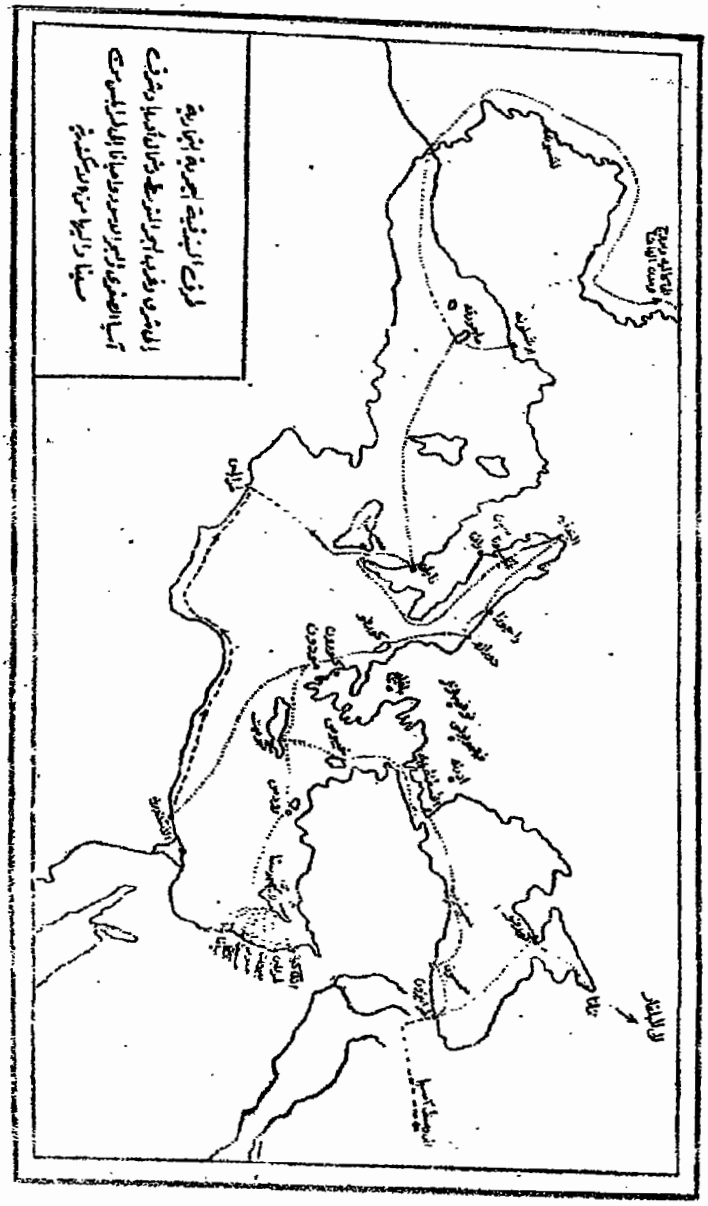

نعيم زكي فهمي : المرجع السابق ، ص 58.

خريطة رقم 02

مملكة النورمان في القرن الثاني عشر الميلادي

ارجع الى :

رشيد تومي، المرجع السابق، ص 351.

خريطة رقم 03

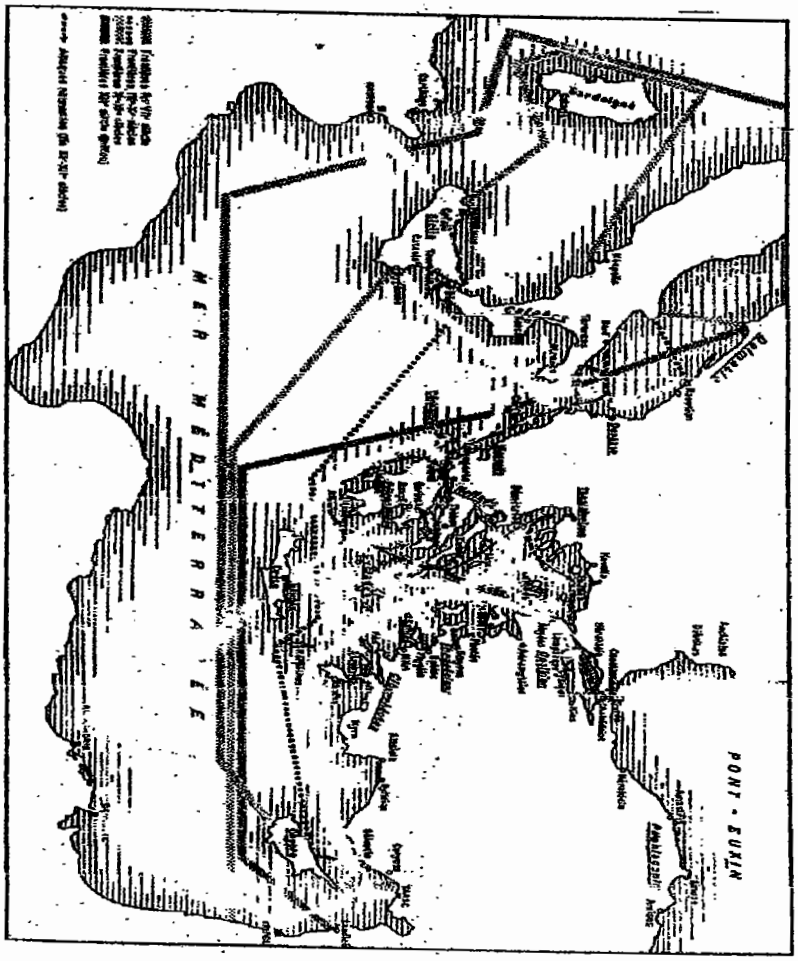

ارجع الى :

رشيد تومي، المرجع السابق، ص 353.

خريطة رقم 04

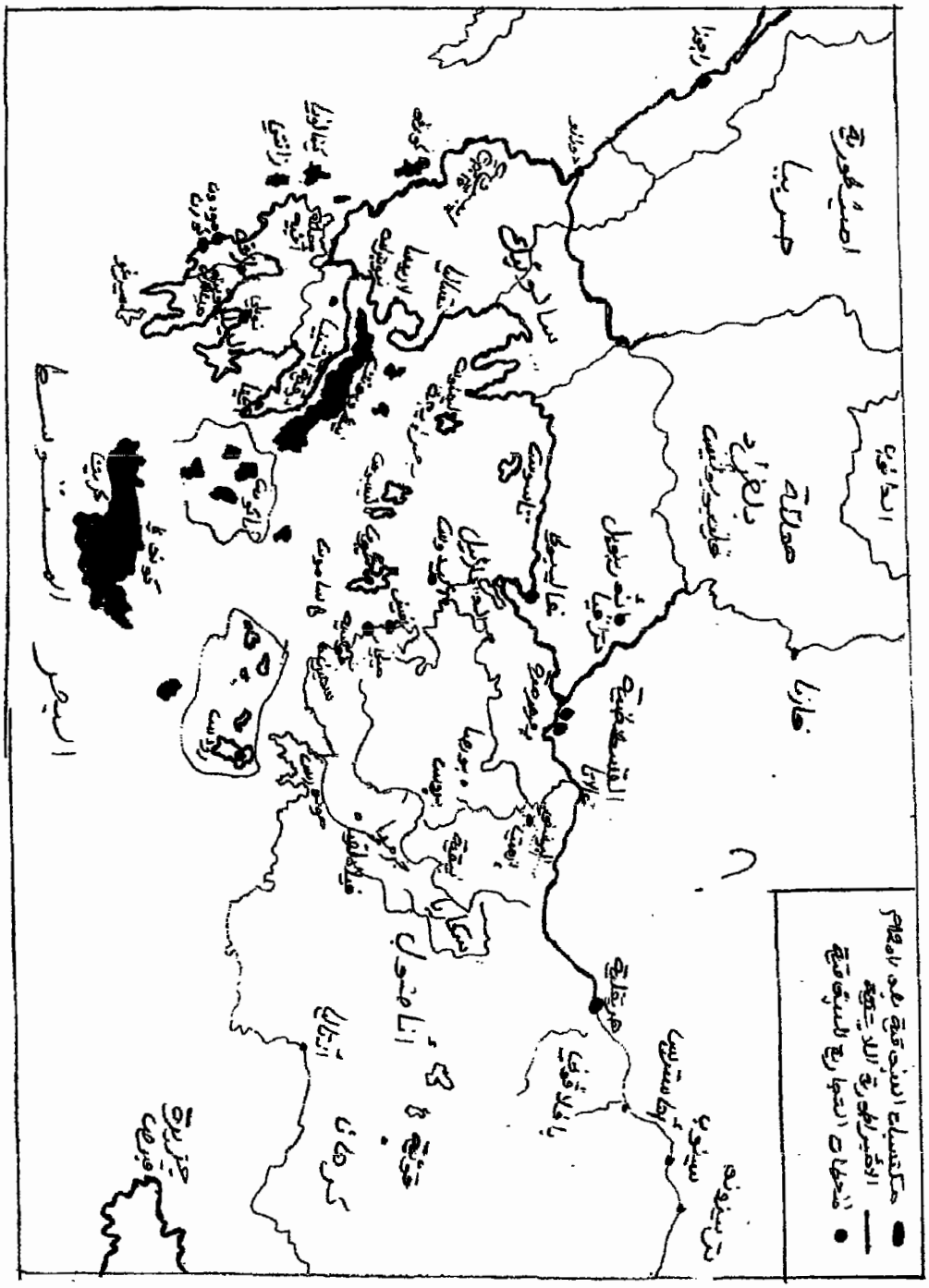

Larousse, T.3, p. 1597

خريطة رقم 05

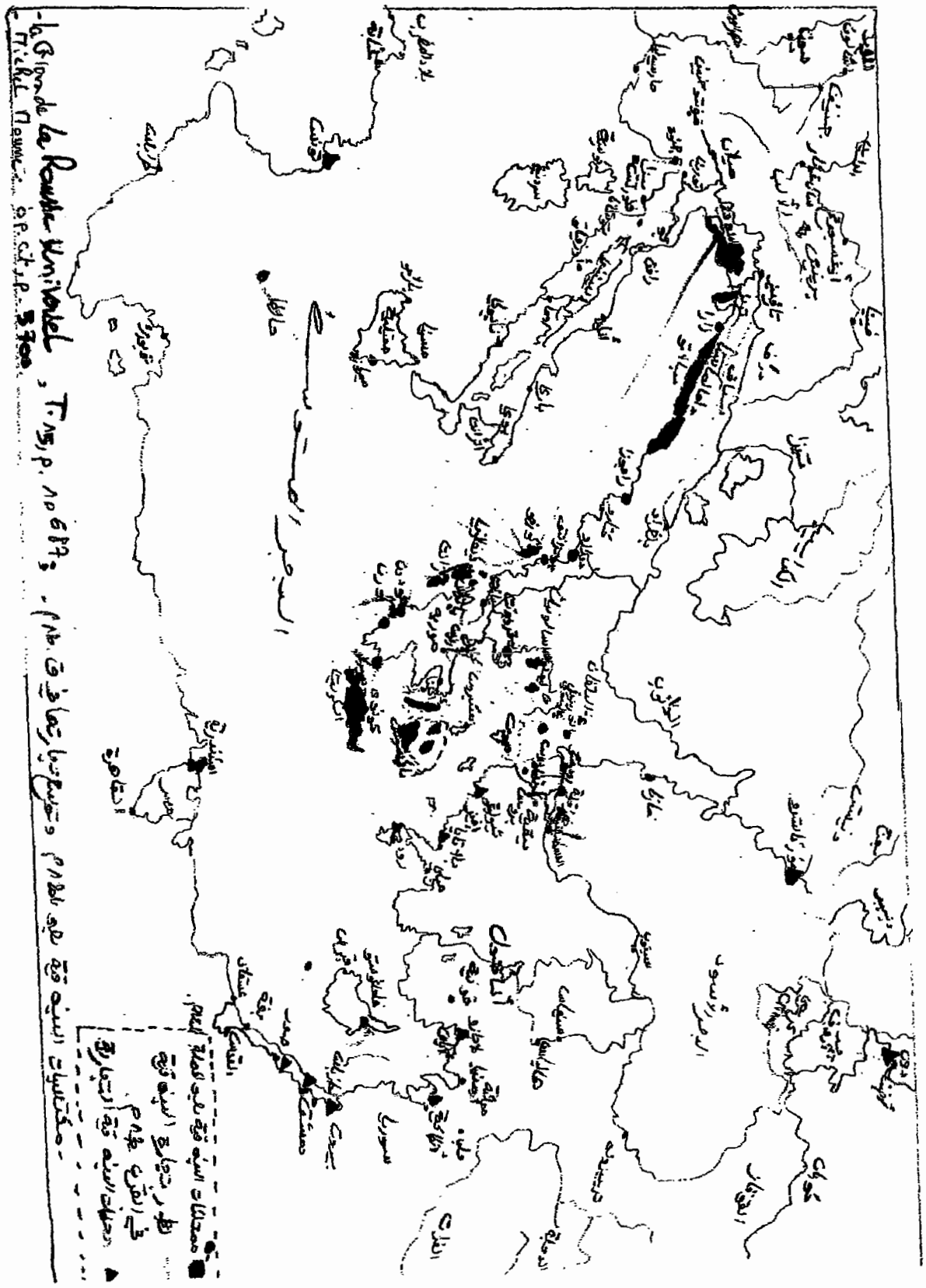

205

خريطة رقم 06

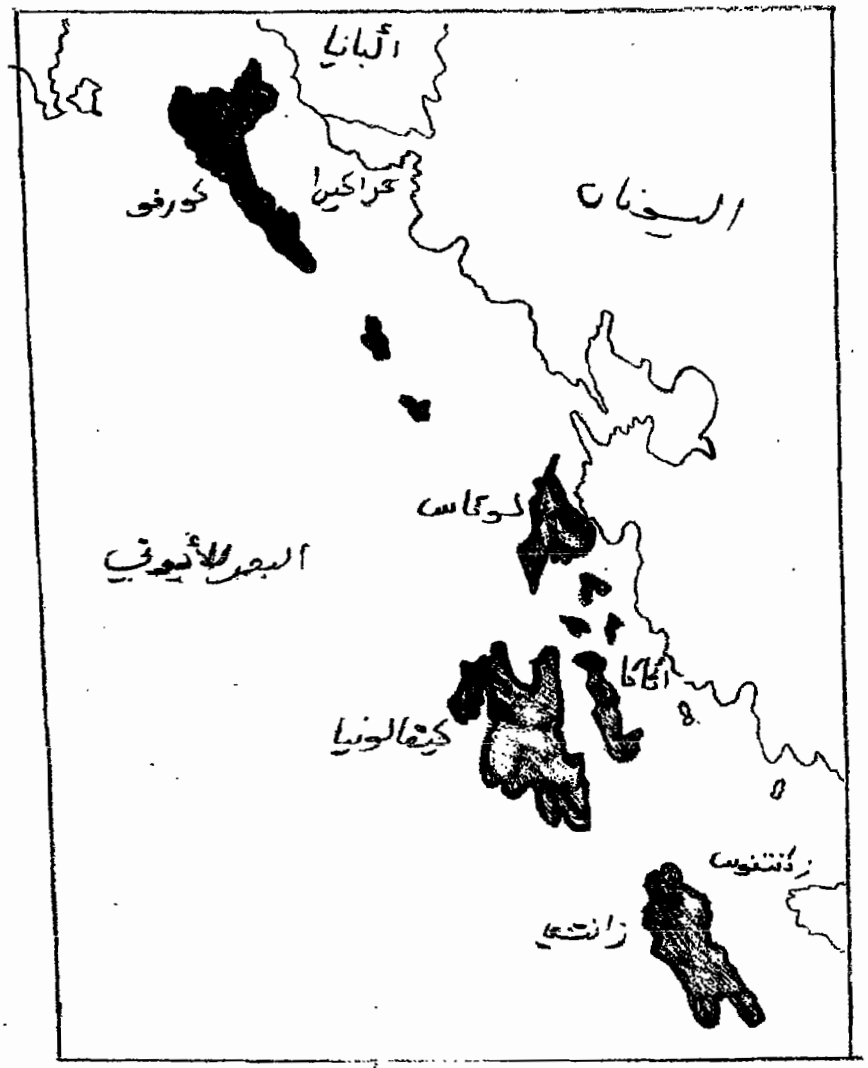

الجزر الأيونية التي تحصلت عليها السنية في بلاد سقوط القسطنطينية

الموسوعة العربية العالمية، مج 3، ص. 671.

خريطة رقم 07

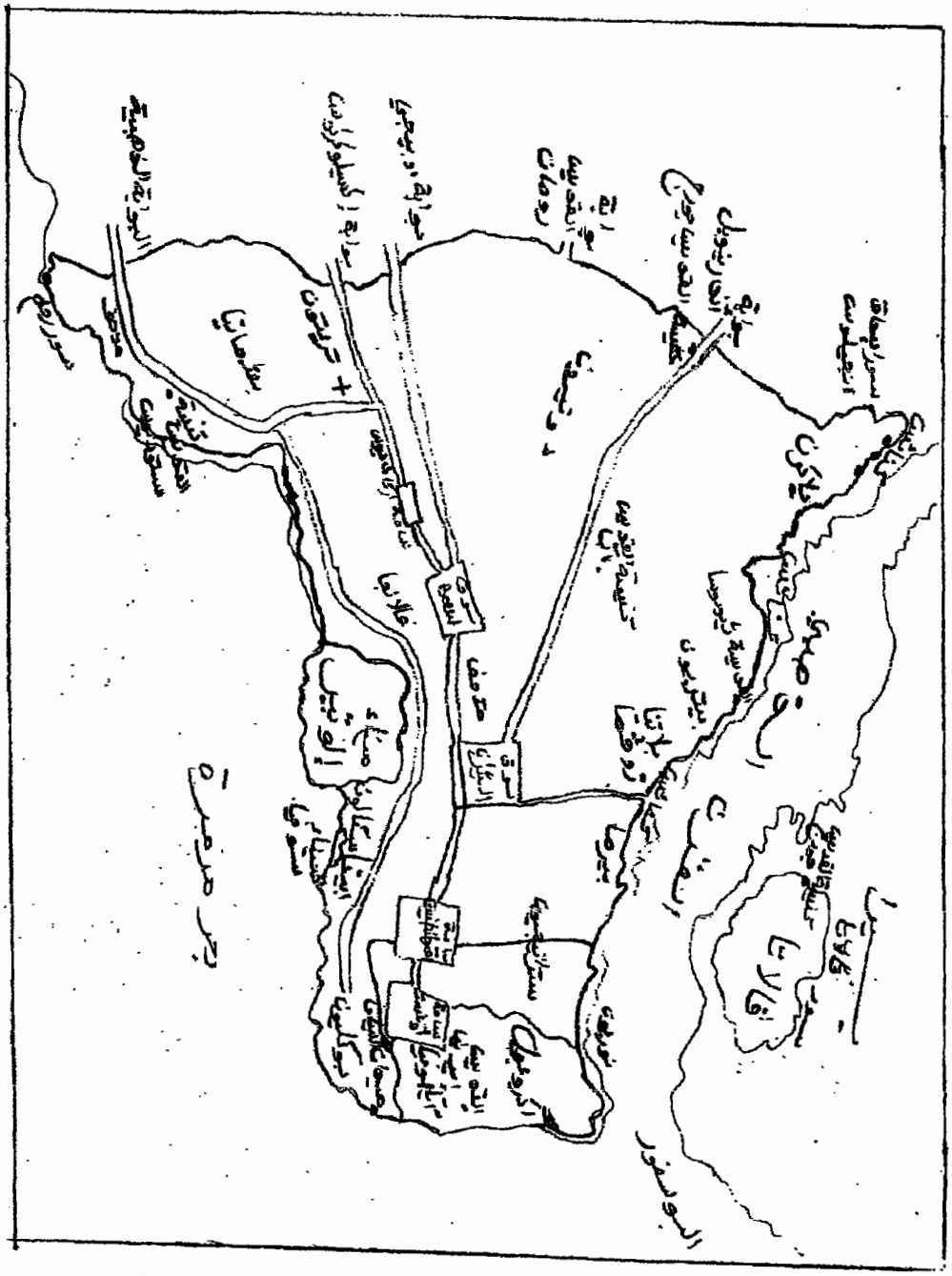

Larousse, T-3 - p-2548

قائمة البيبليوغرافيا

قائمة البيبليوغرافيا

1- المصادر :

أ -المصادر العربية:

1. ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، (ت.230هـ): الكامل في التاريخ، راجعه: محمد بن يوسف الدقاق، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1998، مج9.
2. ابن بطوطة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي،: رحلة ابن بطوطة ، المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: عبد الهادي التازي، سلسلة التراث، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المغرب، مج2، 1997.
3. بن جبير أبو الحسين محمد بن احمد الكناني (ت.619هـ): رحلة، دار صادر، بيروت، 1907 .
4. الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ا (ت.6هـ): كتاب الجغرافية وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوي على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراسخ، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.
5. بن كثير أبو الفداء الحافظ الدمشقي (ت.774هـ): البداية والنهاية ، الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1997.

ب- المصادر الأجنبية:

6. Clari, Robert : La Conquete de Constantinople, Honoré Champion, Paris, France, 1956.
7. Comnéne, Anne : Alexiade, (Régne de l'EmpreurAléxis I Comnéne) , trad. Bernard, Leib, les Belles Lettres, Paris, France, 1937, t.1 , 2.
8. Gaffot, Jaques : Le Discours du voyage de Venise a Constantinople, contenant la querele du grand Seigneur contre la Sophi : avec élégantediscription de plusieurs lieux villes , citez de la Gréce, et choses admirables en elles, Palais du Paris, France, 1550.
9. Kinnamos, Jean : Chronique, trad. J.Rosenblum, Belles lettres, Paris, France, 1972.
10. Strabon : Géographie, imprimerie Royale , Paris, France, 1816, T.4, partie 2.
11. Villehardouin, George : La Conquete de Constantinople, Garenier Flammarion, Paris, France, 1969.

2- المراجع:

أ - المراجع العربية:

12. باركر ارنست: الحروب الصليبية ، تر: السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية.
13. بشاري لطيفة: العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد امارة بني عبد الواد من القرن السابع الى القرن العاشر الهجريين (13-16م)، منشورات وزارة الشؤون الدينية، 2011.
14. بن عميرة محمد: منهجية البحث التاريخي، دار هومة، الجزائر، 2012.
15. جودة حسين: جغرافية آوروبة الاقليمية، منشأة المعارف، مصر،1996.
16. حاطوم نور الدين: العصر الوسيط في آوروبة، دار الفكر، دمشق، لبنان، 1982، ج.2.
17. رانسيمان ستيفان: تاريخ الحروب الصليبية، تر: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ج3، 1980.

18. زابوروف ميخائيل: الصليبيون في الشرق، تر: الياس شاهين، دار التقدم، موسكو، 1980.
19. زيتون عادل: العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، بحث في النشاط التجاري للجمهوريات الايطالية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط في القرنين 13و14م، دار دمشق، لبنان، 1980.
20. العلاقات السياسية والكنيسية بين الشرق والغرب اللاتيني في العصور الوسطى، دمشق، لبنان، 1980.
21. شنوذة الثالث: تناظر الاله الانجيلي مرقس الرسول القديس والشهيد.
22. عاشور سعيد عبد الفتاح: أضواء جديدة على الحروب الصليبية، الدار المصرية، مصر،1964 .
23. عمران محمود سعيد: الامبراطورية البيزنطية و حضارتها، دار النهضة، لبنان، 2002.
24. عوض محمد مؤنس: الحرب الصليبية الرابعة و مسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية، دار المعارف، مصر، 1982.
25. غنيم اسمت: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في آواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة، مصر، 1973.
26. قاسم عبده قاسم: الخلفية الايديولوجية للحروب الصليبية ، عين، مصر ، الطبعة الأولى ، 1999.
27. لوفران جورج: تاريخ التجارة منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
28. الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، تر: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، لبنان، 1995، مج10.
29. النقاش زكي: العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب و الافرنج خلال الحروب الصليبية، دار الكتاب، لبنان، 1958.

ب- المراجع الأجنبية:

30. Bailly Aguste : La Sérénissime République de Venise, Arthéme Fayard, Paris, France, 1946.
31. Bréhier Louis : Le monde Byzantin, la Civilisation Byzantine, Albin, Michel, Paris, France, 1950.
32. Bréhier L : L'Eglise et l'Orient au Moyen Age, les Croisade, Victor le Coffre, Paris, France, 1907, 2ed.
33. Chalandon, Ferdinand : Essai sur le Régne d'Aléxis Ier Comnéne (1081-1118), Picard et fils, Paris, France, 1900.
    Les Comnénes : Jean II Comnéne (1118-1143), et Manuel I Comnéne (1143-1180).
34. Daru, Pierre : Histoire de la République de Venise, Firmin, Didot, Paris, France, 1821, t.I, II.
35. Diehl Charles: Une République Patricienne Venise, Flammarion,Paris , France, 1928.
36. Diehl Charles et autres : Histoire de Moyen Age, Europe Orientale (1081-1453), PUF, Paris, France, 1945.
37. Fennebresque, J : La Petite Venise . Histoire d'une corporation nautique, Picard et fils, Paris, France, 1892
38. Formaleoni Vicenzio : Essai sur la marine ancienne des Vénitiens, trad, Le Chevalier d'Henin, Formaleoni, Venise, 1788.
39. Frolow,A : Recherches sur la déviation de la IVe croisade vers Constantinople, PUF, Paris, 1955.
40. Heyd William : Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age, Leipzig, Paris, France, 1886, T.I, II.
41. Galibert Leon : Histoire de La République , J.Claye, Paris, France, 1854.
42. Gibbon Edourad : Décadance et Chute de l'Empire Romain, A.Desrez, Paris, France, T.I , II.
43. Grousset René : l'Empire du Levant , Histoire de la Question d'Orient, Payot, Paris, France,1979.
44. Histoire des Croisades et du Royaume de Jérusalem, Perrin , Paris, France
45. Lindhal Kai Gurry : Les Continents en couleurs : Europe, Hachette, Paris, France, 1966.
46. Maalouf Amin : Les Croisades vues par les Arabes, Jean Claude Lattés, ed, J'ai lu, Paris, France, 1983.

47. Mas latrie, (ML) : Des traités de paix et de Commerce avec les Arabes d'Afrique septentrionale au Moyen Age , 1866, T.2.
48. Molmenti, (PG) : La vie Privée à Venise depuis ses premier temps jusqu'à la chute de la republique, Librairie ancienne et modernes, Venise, 1882.
49. Marion, Kaminiski : Venise, Art et architecture ,h.F.Ullman, Allemagne, 2010.
50. Ostrogorsky, Georges : Histoire de l'Etat Byzantin, trad : J. Gauttard, Payot, Paris, France, 1977.
51. Pirenne , Henri :Les Villes et les Institution Urbaines, Alcan, T.II.
52. Les Villes du Moyen Age, Essai d'Histoire Economique et sociale, Maurice Lamentin, Bruxelles, 1927.
53. Renouard Yevs : Les Hommes d'affaires Italiens au Moyen Age,1949.
54. Sapori Armand :Le Marchand Italien au Moyen Age, Armond Colin, Paris, France, 1952.
55. Sismondi Simond : Histoire des République Italiennes du Moyen Age, Funne, Paris, France, 1840, T.II.
56. Sestier Riviére : Venise et les Iles de la lagune, Horizons de France, Paris, France.
57. Tessier Jules : La Quatriéme Croisade, La diversion sur Zara et Costantinople, Ernest Le Boux , Paris, France, 1955.
58. Thiriet Freddy : Histoire de Venise, «Que Sais-je », PUF, Paris , France,1969.
59. Vasileiv,AA, Histoire de L'Empire Byzantin, trad, P.Brodin, A.Bourguina, Picard, Paris, France, 1932, T.I ,II.
60. Walter Gérard :La Ruine de Byzance (1204-1453), Albin Michel, Paris, France, 1956.
61. Zorzi Alvise : Une Cité, Une République, Un Empire : Venise, Fernand Nathan

3- القواميس و الموسوعات:

أ –باللغة العربية:

62. بعلبكي منير: موسوعة المورد، دار العلم، مصر، ط1، مج10، 1983.
63. الجلاد وحيد: الموسوعة العربية العلوم الانسانية التاريخ والجغرافية و الآثار (البندقية)، مج5، 2012.
64. داغر أسعد: قاموس داغر، فرنسي عربي، نوفل، لبنان، 2002.

65. غربال محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم، مصر، 1965.
66. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط2، مج20، 1999.
67. وجدي محمد فريد: دائرة المعارف الاسلامية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، مج2، 9، الطبعة الثالثة.

ب- باللغة الفرنسية:

68. Claude Gauvard et autres : Dictionnaire de Moyen Age, PUF, France,2002.
69. Encyclopédie Universelle, sous la direction de Paul Guérin, Paris, France, T.6 , 1986.
70. EncyclopédieaUniversalis : Paris, France, 1996, plusieurs tomes.
71. Grand Larousse Universel, Paris, France, 1997, plusieurs tomes.
72. La Grande, Encyclopédie, societé des savants et des gens de lettres, France, 1886.1902.
73. Mourre,Michel : Dictionnaire Encyclopédique d'Histoire, Bordas, 1996.

4- المجلات:

1. Byzantion : Revue international des Etats Byzantines, Paul,Grindor, et Henri Grégoire, T. 35, F.1, 1965.

4- الرسائل الجامعية:

74. بلخير نسيمة: انحراف الحملة الصليبية الرابعة وقيام الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية 600-657هـ (1204-1261م)، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 2008،2009.
75. تومي رشيد: العلاقات الخارجية لمملكة صقلية في عهد النورمان منذ وفاة الملك روجر الثاني الى سقوط المملكة 1154-1194م، دكتوره غير منشورة، اشراف : لقبال موسى، جامعة الجزائر، 2005، 2006.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الإهداء

كلمة تقدير وعرفان

المقدمة 02

الفصل الأول: تأسيس جمهورية البندقية

I/ تأسيس مدينة البندقية: **13**

1 -<u>الموقع الفلكي والجغرافي</u> **13**

2- اقليم فينيتو 14

3- خليج البندقية..... 14

4- أصل البنادقة..... 15

5- وصف مدينة البندقية 17

2- <u>غزوات المتبربرين على منطقة فينيسيا</u>: **18**

غزوات الجرمان **18**

1 - غزوات الجرمان 18

2- هجرة السكان 19

غزوات الفرنج..... **20**

1 - أسباب الغزوات على فينيسيا 20

2 - غزو بيبين على منطقة 22

3 - المساعدات البيزنطية للبندقية..... 23

II/ القديس مرقس ، سيد البندقية: **27**

1 - تعريف القديس مرقس..... 27

2 – جهوده التبشيرية 27
3 – علاقة القديس مرقس بالبندقية 28
4 – القديس مرقس سيدا على البندقية 29
III/ عوامل تطور مدينة البندقية: 31
1 –العوامل الطبيعية 31
2 –الأحداث التاريخية 32
3 –العوامل السياسية 33
4 – إدارة الدولة 37
5 –العوامل البشرية 38
6 – قوة الأسطول 40

الفصل الثاني: التحالف البندقي البيزنطي ونتائجه

I/ التحالف البندقي البيزنطي:
1 –**عوامل الترابط بين الطرفين: 57**
أ – موقع المدينة الجغرافي 57
ب – أسباب التحالف بين البندقية و بيزنطة 57
2 –**العدو المشترك: 62**
أ – خطر النورمان على بيزنطة 63
ب– خطر النورمان على البندقية 66
ج– أهداف النورمان اتجاه بيزنطة 66
د – مشروع الدوق روبرت الانتقامي 67
3 –**التحالف العسكري بين بيزنطة والبندقية ضد النورمان 70**
II/ الصراع مع النورمان:
1 –التحالف العسكري: 72

أ – المرحلة الاولى 72
ب– المرحلة الثانية 76
2–الصعوبات التي صادفت الطرفين: 80
أ – الصعوبات التي واجهت النورمان..... 80
ب– الصعوبات التي واجهت البندقية 81
3 –الصراع بعد الدوق جويسكارد: 81
II/ نتائج التحالف بين البندقية وبيزنطة:
1 – الامتيازات: 86
أ –في عهد بازيل الثاني 86
ب– في عهد ألكسيس كومنين..... 87
2 – سوء العلاقات بين الطرفين: 93
الفصل الثالث: الحملة الصليبية الرابعة
I/ أسباب الحملة الصليبية الرابعة
1 –جذور فكرة احتلال القسطنطينية: 97
أ – محاولات النورمان احتلال المدينة 97
ب– محاولات الألمان احتلال المدينة..... 97
ج– محاولات البنادقة احتلال المدينة 100
II/ دور البندقية في الحملة الصليبية الرابعة
1–جذور الحملة الصليبية الرابعة
أ– الأوضاع العامة قبيل الحرب الصليبية الرابعة..... 102
ب– الإعداد للحملة..... 103
الإعداد للحملة الصليبية الرابعة:..... 117
أ–دعوة البابا أنوست 3 للحملة 117

ب–تحديد وجهة الحملة 120
ج–المفاوضات مع البندقية 120
2 – مراحل الحملة الصليبية الرابعة 124
أ – الانحراف الأولي للحملة 124
ب –تغيير مسار الحملة 130
ج – استرجاع العرش البيزنطي 136
3– سقوط القسطنطينية البيزنطية: 142

الفصل الرابع: دور الحملة الصليبية الرابعة في تطور تجارة البندقية

1 – نتائج الحملة الصليبية الرابعة 152
أ **–** نتائجها على بيزنطة 152
ب– نتائجها على الصليبيين وأوروبا بصفة عامة 156
ج– موقف البابا من سقوط القسطنطينة 157
2 – توسع وتطور تجارة البندقية بعد سنة 1204م 160
أ **–**مكتسبات البندقية من الحملة الصليبية الرابعة 160
ب– توسع ممتلكات البندقية بعد سنة 1204م 163
ج – تطور تجارة البندقية بعد سنة 1204م 172
د – دور التجارة في تطور البندقية 178
الخاتمة 180
الملاحق 186
الخرائط 201
البيبليوغرافيا 208
فهرس المحتويات 216